

شعر المتنبوذين فى الهند

الشعر على ضفاف المتوسط

ملتقى المسرح المستقل

كشاف أدب ونقد ٢٠٠٣

الوضع الثقافى فى فلسطين

البطريرك.. والتشريفة.. والفينيق

إلياس فتح الرحمن: ضد الاقتلاع



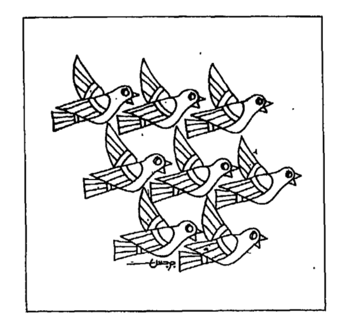
أدب ونقد

مجـــلة الثقافة الوطنية الديمقراطية

شهرية يصدرها حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي

تأسست عام ١٩٨٤ / السنة الواحدة والعشرون.

العـــــــــدد ٢٢٢ / فبراير ٢٠٠٤



رئيس مجلس الادارة: د.رفعت السعيد

رئيـس التحـريـر: فـريـدة النقــاش

مـديــر التحــريـر : حلمـى ســالـم

مجلس التحـرير : إبراهيـم أصلان / د.صلاح السروي/ جرجس شكرى / طلعت الشايب / على عوض الله / غـادة نبيـل / كمـال رمـزي / مصطـفى عبـنادة / مـاجـد يـوسـف

المستشارون
د. الطـــاهر مـــكي / د. أمينـــة رشـــيد
صـــلاح عيسى/ د. عبد العظـــيم أنيس

شارك في هيئة المستشارين ومجلس التحرير الراحلون
د. لطيفة الزيات/ د.عبد المحسن طه بدر
محمـــد رومـــيش / ملك عبـــد العـــزيز

الغلاف
أحمـــد الســـجيني

أعمال الصف والتوضيب
نسرين سعيد إبراهيم

تصحيح : أبو السعود على سعد
الرسوم الداخلية للفنانين أشرف ابراهيم وجرجس ممتاز

الاشتراكات لمدة عام
باسم الأهالي / مجلة [أدب ونقد]: داخل مصر ٥٠ جنيها
البلاد العـــربية ٥٠ دولارا / أوروبا وأمريكا ٧٥ دولارا
الطباعة
شركة الأمل للطباعة والنشر
الأعمال الواردة إلى المجلة لا ترد لأصحابها سواء نشرت أو لم تنشر
يمكن إرســـال الأعمـــال على العنـــوان البريدي أو البريد الالكتروني:
adabwanaqd@yahoo.com
موقع [أدب ونقد] على الانترنت: adabwanaqd.4t.com

ترجو المجلة من كتابها ألا يزيد عدد صفحات المادة المرسلة عن عشر
صفحات أو ثلاثة آلاف كلمة

المراسلات : مجلة (أدب ونقد) ١ شارع كريم الدولة / ميدان طلعت حرب / الأهالى
القاهرة / هاتف ٢٨/٢٩/ ٥٧٩١٦٢٧ فاكس ٥٧٨٤٨٦٧

محتويات العدد



حفرت يوما كاملا تحت أنقاض بيت ضرب بالقذائف وسوته البلدوزرات ، عثرت على جثمان ولم أعرف فى البداية أنه لصديقى " محمود الطوالبى " . مع استمرار عملية الحفر وجدت بقايا أغذية أطفال ، وبعدها وجدت جثمانا ممزقا لطفل صغير ، وإلى جواره مشبك ضفيرة شعر ، وبعد عدد أيام من الحفر عثرت على جثمان طفلة.

كنت وسط الجحيم وأشعر بالذنب لأننى لم أكن حاضرة المذبحة لعلنى كنت ساعدت واحدة مثل " مريم " صديقتى وأنقذت طفلة رضيعة على الأقل ..

يدهشنى فهم الطفل الفلسطينى لهذه الأوضاع على وجهها الصحيح بينما العالم كله يرفض الفهم

هذا مقطع من شهادة حية للأيرلندية كويفا بيترلى ذات الثلاثة والعشرين عاما عندما توجهت إلى مخيم " جنين " قادمة من قرية " أم الفحم " فى أبريل ٢٠٠٢ بعد وقوع المذبحة التى ارتكبها الجيش الإسرائيلى ورفضت حكومة إسرائيل حينها استقبال اللجنة الدولية التى شكلها الأمين العام للأمم المتحدة للتحقيق فيما جرى فى المخيم الذى صوره السينمائى الفلسطينى إسرائيلى الجنسية فى فيلم تسجيلى صادرته إسرائيل.

يسوق الروائى " جميل عطيه إبراهيم " هذا المقطع فى مقدمة روايته الجديدة " المسألة الهمجية " أما المفكر البريطانى الباكستانى الأصل " طارق على " فينظر إلى الأطفال الفلسطينين والعراقيين من زاوية أخرى فى كتابه الجديد " بوش فى بابل " وعنوانه الجانبى " إعادة استعمار العراق " ويتساءل : كيف سوف يفكر طفل فى الخامسة هرب من رصاصات قتلت أباه وإخوته وشوهت أمه أمام عينيه حين يكبر أم أنهم لن يسمحوا له بأن يكبر ؟ هل يكون هذا ياترى هو السبب الذى يجعل جيش الدفاع الإسرائيلى يوجه رصاصاته للأطفال؟ هل يتعمدون قتل " إرهاب " المستقبل ؟ أم أنها تحية العسكريين الإسرائيليين لمالثوس الذى رأى فى الحروب وسيلة للتخلص من فائض السكان.

إنها عملية منظمة لتحطيم الفلسطينيين كقوة سياسية وتتواطأ الولايات المتحدة لإنجاز هذا العمل غير عابئة بآلام الفلسطينيين.

ويتطور وضع مشابه فى العراق حيث يستخدم الجنود الأمريكيون البولدوزرات فى تدمير بيوت لمعاقبة أسر بكاملها قد يكون أبناؤها انخرطوا فى المقاومة.

وتذكرنا بفلسطين صور الصبية الذين ربطت أذرعهم إلى ظهورهم بينما يستجوبهم جنود الاحتلال الأمريكيون أما صور الأطفال الذين جرى انتقاؤهم بعناية ليقبلهم السياسيون الزوار فتعيد إلى الذاكرة

صور الحقب الكولونيالية القديمة.

ومن بين أكثر تلك الصور إثارة للتقزز فى الحرب على العراق كانت صورة " تونى بلير " رئيس الوزراء البريطانى وشريك بوش فى العدوان وهو يقبل طفلا عراقيا ، ويقول الكاتب المسرحى البريطانى هارولد بنتر :.. إن بلير لم يقبل جسدا تقطعت أطرافه فى العراق أو آخر تعرض للتشويه الكامل بسبب الحرب الهمجية التى شنوها على العراق.

يجد أطفال البلدان المحتلة أو تلك التى دمرتها الحروب أنه من الصعب عليهم والمؤلم إيلاما شديدا لهم قبول الوجود الأجنبى الذى يخلق مشكلات كبرى لذويهم . وفى سنة ١٨٥٧ وفى أثناء الإنتفاضة الكبرى الأولى فى الهند ضد الإحتلال البريطانى تحول الأطفال إلى سعاة بريد شجعان ومتحمسين ومقبلين ، يحملون الرسائل إلى القرى المجاورة . وفى نهاية الخمسينيات وأوائل الستينيات اندلعت الحركة الوطنية الجزائرية فى مواجهة المستوطنين وسادتهم ولعب الأطفال مابين الثامنة والعاشرة دورا فعالا.

ولدى زيارتى لهانوى سنة ١٩٦٦ – يضيف " طارق على" وفى ذروة القصف الأمريكى للشمال الفيتنامى أتذكر أننى وجدت المدينة غريبة ومقفرة كما لو أنها مدينة أشباح . وفيما بعد أدركت السبب .. فلم يكن بها أطفال ، كان قد تم إخلاؤهم ونقلهم لأماكن أكثر أمنا ضد رغبتهم غالبا ، وتبين لى الأمر حين زرت القرى الداخلية وهناك وجدت الأطفال وأخذ معلموهم يشكون لى بمرارة لأن الأطفال كانوا يرفضون أن يتلقوا الدروس فى المدارس المؤقتة التى أقيمت فى الكهوف والمخابئ . وكانت الطريقة الوحيدة لإقناع التلاميذ بالانتظام فى الدراسة هى وعد بانجاز واجباتهم المدرسية فى قلب الطائرات أو الهيلوكوبتر الأمريكية التى سقطت ، وأخذ الأطفال ينجزون واجباتهم على هذا النحو . كذلك فعل المدرسون الفلسطينيون حين استخدموا كلا من الدبابات الإسرائيلية والحجارة فى التعليم.

وأتذكر أنا الآن أن أحد الضباط الإسرائيليين أخذ يحكى بعد مذبحة " جنين " قائلا إنه حين وجد أطفالا فلسطينيين يبحثون فى قلب الخراب والأنقاض عن كتبهم وكراساتهم ويلتقطونها كأمل أيقن أن إسرائيل لابد مهزومة لأن شعبا يبحث أطفاله فى قلب الموت عن كراساتهم لن يموت.

فهل يمكن لوردة أن تنبت فى الجحيم .. يقول لنا التاريخ .. نعم وإن كانت هذه الوردة سوف ترتوى بأنهار الدموع فى فلسطين والعراق .. فى أفغانستان وفى مصر .. فى رواندا وفى الكونغو .. فى البلدان المحتلة والبلدان التابعة حيث ينخر الفقر كالسوس فى عظامها.

أخذت أسأل نفسى لماذا سحرنى موضوع الطفولة هذا وانجذبت اليه كأنه كعبة رجاء أو كنز للأمانى والوعود. وفتشت عن إجابة فى قلبى فوجدتنى أتطلع إلى المستقبل وهؤلاء الأطفال حاضنته ورجاؤه . ذلك المستقبل الذى تصنعه الآلام فى الأمم المحتلة والتابعة إذ يخنقها الاستغلال والإستبداد والفساد ، ويسرى الهوان كالسم فى عروقها دون أن يقتلها تماما وان كان يهد حيلها وينهك روحها فتكاد تذوى

كأنها موشكة على الموت ، لكن الأطفال يولدون.

ففى الدول المحتلة عدو واضح تتجه صوبه المقاومة ، ويعرف الأطفال طريقهم إليه دون بوصلة .. يعرفون ذلك فى همسات ذويهم ، وفى حقدهم المكتوم على الأجنبى الدخيل، وفى الغضب الذى يرتسم على ملامحهم دون كلام تعبيرا عن رفض شعب مغلوب على أمره وقد كان يوما فخورا بذاته وحضارته وتاريخه شأن الشعب العراقى ، ودءوبا صبورا وباسلا شأن الشعب الفلسطينى ، وقويا وراسخا فى الأرض كشجرة قديمة، تواضعه كبرياء شأن الشعب الفيتنامى وجسورا وعصيا على الترويض كالشعب الجزائرى وزاهدا طويل النفس ومقاتلا عند الحاجة شأن الشعب الهندى.

أما فى البلدان التابعة مثل بلدنا التى أنهكها الفساد والقمع فان الأمور تختلط وتتميه ويلبس القاهر ثياب الوطنية، وينسج شبكة واسعة جدا من الأكاذيب والأوهام وينظمها ويبثها عبر الإعلام الجبار المراوغ الذى يحول إلى أبطال حفنة من كبار الملاك والنهابين باسم رجال الأعمال وكبار الساسة باسم الحزب الحاكم مزيفا حقيقتهم جميعا كطفيليات تنهش جسد الشعب وتنتفخ ثراء من امتصاص عرقه ودمه .. وتشيخ طفولة الوطن ، وتذبل وروده ، ويمشى فى طرقاته المتربة كهول صغار السن على حد تعبير أمل دنقل. كهول لايتلقون الرسائل ولاينقلونها. وتعجز الحركة الوطنية الديموقراطية بثقافتها ومؤسساتها الصغيرة وأحزابها المحاصرة عن إشاعة مفهوم الاستعمار الداخلى الذى ابتكره عالم الاجتماع الكويتى " خلدون النقيب" منذ سنوات لوصف حالتنا فلم يصبح مفهوما متداولا أو أداة فعالة فى إسقاط هيبة هؤلاء الذين يتلاعبون بنا ويحتالون علينا ويسرقوننا فى وضح النهار دون خجل ويدهسون طفولتنا بأحذيتهم الثقيلة وهم ماهرون فى إخفاء الجرائم الكبرى التى إرتكبوها فى حق هذا الوطن وحولوا أحلامه الكبرى إلى تراب وقش .

ومع ذلك فهناك فى الأعماق الغائرة لضمير شعب هو من بناة الحضارات الكبرى العظام يتخلق الأمل حاملا الوعود لملايين الضائعين والمحطمين يمهس لهم فى الأعماق أن استيقظوا وغنوا واحملوا معكم أغنياتكم .. أطفالكم فحملها ليس بالثقيل ..

ولن يعرف البوليس أين ستحبل الأرض الصغيرة بالرعود المقبلة..

فاحملوا الأغنية .. إحملوا الأغنية..

المحررة

افتتاحية (١)

أدب ونقد - دلالات ورؤى

د. صلاح السروى

عندما ظهرت مجلة «أدب ونقد» بأول أعدادها عام ١٩٨٤ متخذة شعارا لها : " مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية " ، كانت تخيم على مصر والمنطقة العربية أجواء كامب ديفيد والضغوط من أجل التطبيع (خاصة الثقافى) مع رسرائيل ، تحت مظلة التبعية الكاملة للولايات المتحدة . من هنا جاء هذا الشعار مترجما - على نحو بالغ القوة - لنزوع وطنى وشعبى عارم نحو المقاومة والرفض .. وكان أحد أهم أشكال هذه المقاومة وهذا الرفض هو مواصلة بناء ثقافة الاستنارة العقلانية والتقدم.

والآن بعد عشرين عاما من الفعل المثابر الدؤوب يحق لنا أن نعيد طرح هذا الشعار للمناقشة ومراجعة مدى راهنيته ، وفى نفس الوقت جرد حساب هذه المجلة المناضلة ومراجعة مدى توفيقها فى تحقيق هذا الشعار.

أولا : هل لازال شعار " من أجل ثقافة وطنية وديمقراطية " ضروريا ومناسبا ؟

إن المتابع للمتغيرات العالمية - التكنولوجية والسياسية - يمكن أن يتوصل دون كبير عناء إلى المعطيات التالية : ١- إن التطورات التكنولوجية المذهلة المتمثلة فى ثورة الاتصالات والسيطرة الهائلة للميديا الاعلامية الفضائية الغربية ، إنما تطرح تحديا مرعبا لكل ثقافات البلدان الطرفية (غير الغربية ، وربما غير الأمريكية عامة) من حيث تعرضها لامكانية التهميش داخل مجتمعاتها ذاتها وربما المحو الكامل مع مرور الوقت ، لصالح هيمنة ثقافة الرأسمالية الأمريكية ذات الطابع الاستهلاكى والحسى والعدوانى.

٢- يتلازم ذلك مع جهود حثيثة تبذلها إدارة المجمع الصناعى العسكرى الحاكم فى أمريكا لفرض هيمنة حقيقية ومباشرة على العالم ، بالعودة إلى أكثر الوسائل عدوانية ووحشية بما يتجاوز وسائل الاستعمار القديم ، متمثلة فى الغزو العسكرى المسلح والاحتلال المباشر لأراضى الغير ، تحت مزاعم مكافحة الارهاب الأصولى (الذى خلقته وبذرت حباته هى بالذات فى فترة الحرب الباردة) . ناهيك عن إرسال المبعوثين للتفتيش على الحكومات ، وصولا إلى زحف القوات

الأمريكية بكل أسلحتها المعروفة وغير المعروفة للقبض على رؤساء الدول (الذين صنعتهم هى بالذات) (نورييجا وصدام) ، وإقالة آخرين نصبتهم هى بالذات (للمرة الثالثة) – (شيفر نادزة الذى وضعته هى على رأس الدولة فى جورجيا مكافأة له على خدماته الجليلة فى المساعدة على انهيار الاتحاد السوفيتى) . فاذا بها تصبح مصدر الشرعية والمنوط بها سن المعايير وتصويب السياسات.

حيث نحصل من ذلك كله على نتيجة مفجعة ألا وهى أن المكاسب التى بذلت وقدمت من أجلها البشرية ملايين الضحايا ، مثل مفاهيم الاستقلال الوطنى وسيادة الدول على أراضيها وحرمة الحدود السياسية ، لم تعد تعنى شيئا فى عصر الهيمنة الأمريكية.

من هنا لابد أن نعتبر أنفسنا فى حالة حرب حقيقية.

ومن هنا تتبدى لنا الآن الأهمية الاستثنائية لهذا الشعار القديم – الجديد.

" من أجل ثقافة وطنية ديمقراطية " . فلابد لنا من مواصلة هذا الدرب وحماية منطلقاته الانسانية والتقدمية.

غير أن هذا لن يكون فعالا وناجزا إلا عبر التطور الدائم دون توقف . لقد قدمت أدب ونقد جهودا رائعة وداعية للاعجاب حقا – قياسا بامكاناتها المادية المتواضعة – بصدد تفعيل وحفز الامكانات الكامنة لدى صفوة أبناء هذا الوطن من المفكرين والمبدعين . واستبسلت بحق فى نضالها ودفاعها عن ثقافة الاستنارة والعلم والديمقراطية ، وقامت بطرح مختلف الرؤى والاتجاهات من منطلق الولاء للوطن وللحرية. ولكن لازال يتعين عليها القيام بجهة أكبر فى تعميق هذا المجرى وتطوير الأداء فيه فالتحدى هائل : سواء من لدن أصحاب ثقافة الظلام أو أصحاب ثقافة التبعية والأمركة . ولن يتم هذا التطوير إلا بمزيد من الارتباط بالقوى الفاعلة والحية فى الشارع السياسى والثقافى.

فلا زلت أؤمن بأن لافاعلية للفكر إذا لم يرتبط بحركة الجموع ." فالنظرية عندما تنزل إلى الجماهير تتحول إلى قوة مادية ".

" أدب ونقد " .. الحرية !

ماجد يوسف

في مواقف معينة، إذا طلب منك الحديث ، عن أشياء حميمة ، أو عن صلات وثيقة ، أو علاقات تاريخية .. لاتعرف كيف تقيمها من فرط قربها منك .. ولصوقها بحياتك .. وتوحدك بها .. وألفتك لها ولوجودها وحضورها ، وهكذا كان الأمر عندما طلب منى كتابة هذه الكلمة عن " أدب ونقد" .. " فأدب ونقد" بالنسبة لى ليست مجرد مجلة .. أو فكرة .. أو مشروع ساهمت فيه بانتاجى وأفكارى .. بل هى – بلا أدنى مبالغة – جزء من هوية .. وعمر من أمل ، ومكون من مكونات الذات .. بكل ماتمثله من حرية .. وجرأة .. وانفتاح عقلى .. واستنارة .. لم تكن " أدب ونقد" بالنسبة لى مجرد منبر .. أو ساحة للنشر .. بل هى مقوم من مقومات كينونتنا .. قسمة من قسمات جيلنا .. بل هى كذلك – فيما أظن – لأجيال سبقتنا وأخرى لحقتنا .. هى هذه المدرسة الحقيقية لحرية التفكير والتعبير .. وورشة للعمل المخلص المبرأ – من والمجرد عن – المنافع الصغيرة – أو الكبيرة – والمصالح الشخصية العابرة .. وهى مدرسة للوطنية الحقة .. والمصرية المنفتحة على ثقافتها العربية – وثقافات العالم كله – أخذاً وعطاءً .. تأثيراً و" تأثراً .. تحتفل بالجديد باستمرار .. وتمد – أبدا – لبراعم تتفتح .. وأزهار يانعة تورق بالتشجيع والحياة حتى تستوى على سوقها شجرات باسقات تواصل العطاء وترفد المسيرة .." أدب ونقد " كانت – وستظل دائما باذن الله – الواحة الظليلة للديمقراطية الحقة .. ديمقراطية الفكر ، وحرية الرأى ، وانفتاح الأفق ، وانفساح المدى باتجاه المستقبل .. قلبت الأرض .. وهزت الجوامد .، وقلقلت الحواجز .. وزلزلت الأفكار .. بحثاً عن الأفق المغاير .. والسماء الأخرى .. والقارات الجديدة (بكل المعانى) لم تعن بتقديم أجوبة جاهزة .. وأنساق ناجزة ، بل استفزت باستمرار بكارة

السؤال باتجاه البحث ، وراودت الاحتمال بهاجس الكشف .. راجعت ولم تتراجع .. ولسان حالها يقول .. ان القدرة على طرح السؤال الصحيح .. وإثارة علامات الاستفهام والتعجب فى وقتها وسياقها .. لهو الشرف الحقيقى للوجود ، والمعنى المضمر للحياة والكون .. بل إن الإجابة فى هذا السياق – إن كان ثمة إجابة – لهى فتح لقوس سؤال جديد برؤية ديالكتيكية لاترى الثبات إلا نقطة انطلاق لتغير لازم ، وتبدل لازب ، وجدل لاينى بين الواقع والفكر .. والفكر والمستقبل .. والمستقبل الذى هو الابن الرشيد والمرشد للحظة الراهنة.

استوينا فى ظلالها كتابا ، وأينعنا فى حديقتها شعراء ، وتخرجنا فى جامعتها باحثين ونقاداً.

ولاتسل عن شعورى الشخصى بالقيمة والمعنى عند اختيارى عضوا فى مجلس تحريرها أنا الذى مازلت انظر إلى نفسى وإلى عملى الشعرى والنقدى نظرة الهاوى الذى يجلله الإحساس الدائم بالنقص ، ويعتوره الشعور الملازم الموجع بالبحث عن الكمال الإبداعى والنقدى المفقود أبدا!!

" أدب ونقد " .. هى " الأدب " فى جوهر علاقته الناقدة للحياة بكل معانيها وزخمها وعمقها وصيرورتها.

وهى " النقد " بكل دلالاته فى ميدان الأدب .. وميادين الاجتماع والفكر والتراث والثقافة بعامة.

وهى المنبر الذى زاوج باستمرار .. بين ما تشاء من مفاهيم " الأدب " و" النقد " وبين مفهوم حاكم لا وجود لأدب حقيقى ولا لنقد مؤثر دونه .. وهو مفهوم الحرية .. ولذلك ،، كانت وستظل فى ضميرى – وضمير أجيال تترى – .. هى أدب ونقد الحرية بكل مضامين هذه العلاقة ومستوياتها.

هنيئاً لها ولنا فى عيدها وعيدنا..

الذى هو فى نفس الوقت عيد للمفكرين الأحرار فى كل مكان وزمان.

شهادة

عشرون عاماً على أدب ونقد

ماجدة سليمان

بينى وبينها بضع سنوات .. هى الصغيرة وبعد مرور عشرين عاماً (هى عمرها الآن) ، صرت أنا الصغيرة فى حضرتها..

فهى التى صارت تعلمنى تاتا تاتا خطى العتبة.

بيد أن المشكلة ليست فى العتبة .. المشكلة هى ذلك الفراغ الذى يتربص بنا خلفها .. وكان على أن أعيش شيئاً من تحررى على صفحات (أدب ونقد) جسرى فوق هذا الفراغ إلى واقع آخر .. حتى ولو كان هذا الواقع هو جزيرة روبنسون كروز..

وكم شعرت أن ممارسة عادة المشى بعينى فوق ورق (أدب ونقد) الخريفى تمشياً مع عادة ريفية نسائية هى ترك الطفل الجميل على حاله الذى صحا من نومه عليه .. وهكذا إلى أن يشتد عوده ، ويصبح قادراً بذاته وحدها على مواجهة العيون المستديرة بوسع مخيف ..

وكم شعرت بأن هذه العادة - عادة المشى بكلمات تشاكس واقع معاكس فوق ملعب ورقى هو المشتل الذى أجرب فيه (قارئة أو كاتبة) زراعة ألف باء الحرية..

لماذا لا يكتمل المعنى ؟؟؟!

لمرة ثالثة وأخيرة أحاول

كم شعرت بأن هذه العادة صارت لعبتى المفضلة .. بيد أن متابعتى لأزمة المكتوب على جبين الورق ، والذى لابد وأن تراه العين محفوراً بالعديد من الرقابات جعلتنى أشفق على فتيات الكتابة المصرية .. فالى أين يذهبن ؟!

إلى أين يذهبن ليمارسن فن تشبيك الحروف ببعضها البعض وصنع نص يملأنه بقليل من بهجة هى لهن كالماء الذى جدتهن تحمله من حواف النهر المقدس إلى بيوتهن لتروى ظمأهن

وفى النهاية يعود النهر المقدس غير آنفاً مما فعلته النساء بمائه المتعب من رحلة طويلة عبر قارة كانت إلى عهد قريب مجهولة التفاصيل ..

ما كل هذا الشجن الذى انتابنى ؟

ومن هو ذا أو من هى ذى التى دفعتنى إلى هذا الشجن الملبد بالغيوم .

إنها أختى الصغيرة الكبيرة (أدب ونقد) التى بلغت من العمر عشرين ربيعاً وعشرين صيفاً وعشرين شتاءً

* الأدب فى عصر الميديا

جرجس شكرى

* حين فكرت فى هذا المشروع «الكتابة فى عصر الصورة أو الميديا » كان ما يشغلنى هو سيطرة الصورة وسلطتها على كل مفردات الحياة ، وبالتالى الذوق العام للمتلقى واستبعدت تماماً فكرة الصراع بين الأدب والميديا ولا زلت ، لأن الأمر ليس صراعاً ، بل ما أقصده بالتحديد هو أن الأدب فى عصور ما قبل الميديا- ويمكن أن نطلق عليها عصور الصمت -كانت له سمات وملامح تتناسب وذلك العصر أما الآن فى عصر الميديا فأختلف الأمر تماما، وكان الهدف من المشروع الذى تقدمت به للمؤسسة الثقافية السويسرية «بروهلفيسيا» مناقشة هذا الاختلاف وهو شكل ومضمون الأدب فى هذه اللحظة التى نحياها ، فى ظل عصر الميديا وسلطة التقنية الصناعية.

وفى مقارنة سريعة بين العصرين نرى أنه فى عصور الصمت السابقة كانت المعالم تبدو للدنيا أوضح وأكثر تحديدياً .. فكانت الحدود صارمة بين الفرح والحزن / بين الصمت والصوت، بين الظلمة والنور ، أو بين القرية والمدينة ، وكان التباين بين هذه الأشياء مثل التباين بين الصيف والشتاء ، ويذكر تاريخ هذه العصور أن المشهد الواقعى يتميز بالعنف والقسوة والعلانية بدءاً من مشهد الوعاظ إلى تنفيذ أحكام الإعدام فى الشوارع ومشاهد التعذيب العلنى فى عصر كان يميل إلى اختراع أسلوب لكل شئ، فكانت حفلات الزواج ومراسم الموت ترتقى إلى مرتبة الطقوس

والأسرار المقدسة فقوة المشهد الواقعي كانت عنيفة عنف الانطباع الذى كانت تتركه الكلمة المنطوقة . وهذا ليس مقتصراً على حضارة دون أخرى بل تشابه إلى حد كبير أوربيا وعربيا . ويذكر التاريخ العربى كما الأوروبى أيضا مشاهد التعذيب العلنى والإعلام فى الشوارع مع اختلاف المظاهر ولكن الاتفاق فى مبدأ العلنية.

والآن فى عصر الصورة تراجعت هذه الأفعال العنيفة والطقوس الصارمة من أرض الواقع وانتقلت إلى الصورة «الميديا» التى أصبحت بدورها واقعا آخر أو واقعا زائفا كما يسميه رولان بارت hiper Rreality فالمجتمع أصبح عبارة عن كائن يستعد لالتقاط صورة فهو يكيف نفسه كموضوع للتصوير وأصبح الإنسان المعاصر يستعيض بالنسخة عن الأصل وبما يحاكى الواقع عن الواقع نفسه فى عصر أصبحت فيه السلطة للدال «الوسيط أو الصورة» وليس للمدلول الأصل أو الواقع .حين أصبحت الصورة معيار الواقع ومحك الحكم عليه بل أصبحت واقعا ثانيا وأكثر واقعية من الواقع الحقيقي. ووفقا لهذه المقارنة السريعة أنتجت عصور الصمت أدبها الذى تواصل معه الجمهور فى ظل شروطها التى كانت والآن حين أحاول أن أعبر شارعاً على سبيل المثال أحاول أن أقارن بين ما أكتب وصورة هذا الشارع وأسأل نفسى «ماذا ستفعل اللغة «الكتابة» فى هذا الضجيج والعشوائية وكل المتناقضات المتجاورة التى يجمعها مكان واحد ؟ وكيف تستطيع اللغة أن تلتقط هذا المشهد ؟ وهل هى قادرة على خلق أساليب جديدة لمجاراة هذا المشهد فى الواقع الذى استعاض عنه الناس بواقع آخر هو الميديا؟.

كنت أطرح هذه الأسئلة على نفسى قبل أن تبدأ ورشة العمل بين الجانب المصرى والسويسرى ،وتخيلت أننا سوف نناقش هذه الأسئلة وأهمها :كيف أصبح للمتلقى ذوق آخر وشعور مختلف فى ظل سلطة الميديا؟.

وجاءت المحاور لتؤكد هذه الفكرة وكان أولها :

كيف تقترب لغة الأدب من صورة الواقع اليومى ؟ .. هل الأدب قادر على الإمساك بصورة هذا الواقع ؟.. هل بإمكانه التقاط هذه الصورة التى تنقلها الميديا.؟.

وأضاف الجانب السويسرى محوراً آخر عن دور الأدب فى العالمين المختلفين «العربى والأوروبى بعد أحداث ١١ سبتمبر وحرب أفغانستان والعراق؟ وأيضا كيف يعمل سوق الأدب فى كل من أوروبا والعالم العربى؟ شارك من سويسرا ميرتس كلاوس وبيتر شتام ، ومن مصر إبراهيم أصلان-محمود الوردانى-جرجس شكرى. وكان من المفترض أن يشارك الشاعر الفلسطينى غسان زقطان ولكن منعته السلطات الإسرائيلية من مغادرة الأراضى المحتلة .وبدأت المائدة المستديرة على هيئة ورش عمل بين هؤلاء الكتاب على مدى يومين ٧، ٨ /١٢ / ٢٠٠٣ ،وكان الختام بندوة هى مناقشة مفتوحة بين الجمهور وهؤلاء الكتاب أدارتها د. هبه شريف.

فى بداية ورشة العمل طرحت فكرة المشروع مرة أخرى ..مع عرض لأهمية الصورة التى كانت وما زالت من أهم الأشياء التى أفكر فيها منذ سنوات ، وأوضحت أن العنوان كان الكتابة فى

عصر الصورة وليس الميديا وأنا أعنى بالصورة الميديا غير إننى أفضل كلمة «الصورة » ولكن واجهتنا مشكلة الترجمة التى سوف تحيلنا إلى Photo أو Picture ..لذا (كانت الميديا أكثر دقة وسوف تعبر عن الفكرة . وحاولت أن أعرض لتتطور الصورة عبر العصور طبقا لريجيس دوبريه فى كتابه «حياة الصورة وموتها» كمدخل للمناقشة وخاصة من خلال عرضه لعصور الصورة الثلاث ،وهى : الصنم متمثلا فى التماثيل والفن فى اللوحات المصورة ثم البصر.. وهو الميديا. وفى العصور الثلاثة كان لها تأثير كبير وإن اختلف من عصر إلى آخر .. ثم طرحت السؤال الرئيسى حول كيفية اقتراب لغة الأدب من «صورة» الواقع اليومى ؟ وهل الأدب قادر على الإمساك بصورة هذا الواقع فى ظل سيطرة الصورة؟ وكيف تكون الكتابة؟ (بيتر شتام: هل تقصد بكلمة الإمساك بالصورة كتابة أدب واقعى؟

جرجس شكرى: «أقصد هذا تماما ،ولكن بالتحديد كما أوضحت : كل عصر طرح أدبياته من خلال مفرداته وفى عصر الميديا وسيطرتها كيف يكون الأدب»..

محمود الوردانى: علينا مناقشة شئ أبسط من هذا ، وهو أن من يصوغ الدنيا هى الميديا ،وتستطيع تشكيل وعى الناس والكذب عليهم وفرض ما تراه وهنا: كيف يتأثر الأدب فى هذا العصر الملئ بالأكاذيب؟.

ميرتس كلاوس: أود ونحن هنا فى هذه الحجرة فى مصر أن نتحدث عن حرية الميديا وتأثيرها على الأدب هنا؟ وأين أنتم من هذا وهل وسائل الميديا موجهة؟.

إبراهيم أصلان: لا يوجد إعلام غير موجه فى العالم كله ،والميديا أصبحت غير محلية ، بل هى قدرة أى محطة على التأثير من خلال الإنتقاء ، فمثلا إذا أخذنا ما يحدث فى فلسطين مثلا فمحطة الC.NN تستبعد ما يحدث للفلسطينيين وتركز على الجانب الإسرائيلى ، وسنجد العكس فى محطة الجزيرة ، ولا يوجد إعلام غير موجه ، ولكن القضية كيف يعمل هذا الإعلام طبقا لتوجهه.

-كلاوس: لاشك لا يوجد إعلام غير موجه ،وعلينا أن نحدد من من يخرج الكلام وإلى منْ ؟ فحين تشاهد الC.NN نعلم أنها تعمل لحساب جورج بوش ، أما الجزيرة فهى لسان حال العرب ، ولذلك لابد أن نتمكن ككتاب من التحليل والتفرقة.

أصلان: وجهة نظرى قريبة من ذلك، فالخطورة فى المنطق الذى يقود الميديا إنه منطق انتقائى يفكر ويتخيل بدلاً من الناس أما الكتابة كما أن أتصورها فتتيح للمتلقى إمكانية التخيل.

هبة شريف: أى تقصد أن هناك فروقاً أساسية بين الكتابة والميديا .

جرجس: دون شك فى استقبال كليهما لدرجة أنه يطلق على مستقبل الكتابة «متلق» ومستقبل الميديا «مستهلك».

الوردانى: علينا أن لا ننسى عولة الميديا فالخبر يبث فى استراليا فى نفس اللحظة يعلم به سكان القطب الشمالى فهذه نقطة تضاعف من خطورة الميديا ،والنقطة الثانية ..إنه لو نظرنا إلى التلفزيون المصرى على سبيل المثال فسنجد أنه لا يعرض سوى أفلام أمريكية فقط فهو جهاز شاخ

لدولة شاخت والناس لا تستطيع الانصراف عنه لأنها لا تملك وسيلة أخرى للترفيه أو التسلية.

أصلان: تأثير التلفزيون السلبى أشد خطراً لأنه بدلاً من لعب دور أكثر أهمية فى مناقشة مظاهر التخلف التى أصابت الشارع وبدلاً من تحجيمها وبث مظاهر أكثر عقلانية نجده ينتصر للمظاهر السلفية والأكثر تخلفاً.

هبة شريف: والدليل على ذلك أننا نعانى من الأصولية وهو يعيد انتاجها بدلاً من محاربتها.

كلاوس: بما أننا تعرضنا للنقاط السابقة حول دور التلفزيون السلبى فالسؤال كيف يمكن أن يكون أداة تنويرية وتثقيفية لها دور إيجابى.

بيتر: فكرة العولمة ليست بالفكرة السلبية عموماً بل يمكن من خلالها قراءة ثقافات بلغات أخرى وهذا جانب إيجابى.

جرجس: اتفقنا على أنه لا يوجد إعلام غير موجه فى أى مكان وهو موجه حسب السلطة التى تملكه .. ولنتفق أيضا على أن التلفزيون فى مصر شاخ ويعرض لنا ما يؤسس للتخلف . ولكن لا ننسى أن الغالبية العظمى من المصريين على مختلف مستوياتهم المادية والثقافية يستخدمون الأطباق اللاقطة ولاتقتصر مشاهدتهم على التلفزيون المصرى وربما تكون هذه الأطباق لدى الطبقات الفقيرة أهم من الاحتياجات الضرورية للحياة.

بيتر: وماذا عن مشكلة اللغة عند مشاهدة المحطات الأجنبية.

جرجس: لا يقتصر الأمر فقط على الترجمة العربية على الشاشة بل هناك محطات عربية عديدة تقوم بعمل دوبلاج للأفلام والبرامج لارتفاع نسبة الأمية.

الوردانى: أرغب فى أن أقول إن تأثير القنوات غير العربية على الناس غير مباشر بمعنى أنهم يتأثرون من خلال تفاصيل ساذجة مثل الموضة من خلال الأفلام على سبيل المثال.

بيتر: وهذه هى الخطوة التى أراها للميديا فى تهديدها للأدب لأن المتلقى سوف يتأثر بأشياء سأنجة ومصطنعه.

كلاوس: على الرغم من وجود تأثير سلبى للميديا ولكن هناك أمور إيجابية مثل التعرف على تفاصيل حياة الشعوب وأساليب الحياة.

جرجس: نحاول العودة إلى السؤال الذى طرحناه فى البداية وهو الأدب والميديا ..مع اتفاقنا جميعا على أن للميديا تأثيرا إيجابيا وسلبيا ، ولكن دعونا نناقش تأثير الميديا على الكتابة من ناحية الشكل .. ولماذا خطورة الميديا كما طرحتم سابقاً؟.

بيتر: إن فكرة التلفزيون بالنسبة لى تتمثل فى برنامج يعرض فى سويسرا وهو BIG Brother (الأخ الأكبر) عبارة عن مجموعة من الأفراد يعيشون فى منزل واحد ويعرض للتواصل بين الناس وكيف يتعاشون مع بعضهم البعض .وهنا لا أرى تنافس بين التلفزيون على سبيل المثال والأدب .. وإذا عدنا إلى الوراء وتذكرنا كيف كان الناس يضعون الكراسى أمام المنازل لكى يشاهد بعضهم البعض نجد أن الفكرة لا تختلف عن حالة مشاهدة التلفزيون

بالإضافة أننى لا أرى تنافسا بين الأدب والميديا فهما لا يتنافسان فى مجال واحد فمن يقرأ ظل يقرأ رغم طغيان الميديا..

جرجس: سوف اختلف مع بيتر قليلاً ، فربما من يقرأون -فى الأصل- لا علاقة لهم بالتلفزيون ولن يؤثر عليهم، ولكن المشكلة الأكبر هى الأجيال الجديدة ، وأقصد بالتحديد فى مصر ،حيث أصبح جيل بكامله يعتمد على الثقافة البصرية ولا يقرأ..

بيتر: الأمر لا يختلف كثيرا فى سويسرا فمن كان يقرأ ومن يشاهد التلفزيون ما زال يفعل .. ولكن ما يساعد على القراءة هناك هو نشر العديد من الكتب ورغبة الناس فى القراءة فى وسائل المواصلات ، وأود هنا أن أسأل فى مصر بالتحديد عن تأثير الإعلام على الكتب الأكثر مبيعاً ،وماذا يقرأ الناس وما هى الموضوعات ..؟.

هبه: حول السؤال الذى طرح عن تأثير الميديا على مبيعات الكتاب أود أن نناقش هذا السؤال وأيضا : هل أثرت الميديا على الشكل الفنى أو على مستوى المضمون بالنسبة للكتابة ؟وهل يقع على عاتق الأدباء مسئولية تراجع الناس عن القراءة ؟ فهل يقدمون كل ما لديهم من جهد أم هناك تقصير من جانب الكتاب؟

الوردانى: التأثير بين الميديا والكتابة متبادل وليس شرطاً أن يكون مباشرا بمعنى أن هناك مناخا تخلقه الميديا وتخضع له الكتابة .فعلى سبيل المثال قبل انتشار الميديا كانت النخبة التى تكتب لها تأثير فعال ،وليس مصادفة ذلك التدهور الكبير لتوزيع الكتب الجادة الآن ورواج كتب الدين والجنس والجريمة ، بالإضافة إلى عزلة الكتاب والإمعان فى هذه العزلة فى محاولة لحماية نفسها.

بيتر: هل يعيش الكتاب فى مصر عزلة اجتماعية؟

الوردانى : هناك انفصال غريب بين الكتاب والواقع فى مصر وسنجد هروب الكتاب من الموضوعات المطروحة فى الواقع وعدم مواكبة الحياة اليومية واللجوء إلى أشياء أعمق ربما يكون له تأثير على المدى البعيد.

* ثم أقترح كلاوس ميرتس الحديث عن وسيط آخر من وسائط الميديا وهو الصحافة خاصة أن كل المشاركين يعملون بالصحافة ..وما هو دورها ومساحة الحرية التى تتمتع بها لاسيما أن لها تأثيرا كبيراً؟.

أصلان: من خلال عملى فى جريدة «الحياة» يمكن أن أقول إن الخبر لم يعد له مغزى أو قيمة بالنسبة للقارئ لأنه سبق وأن شاهده من خلال الفضائيات والضرورى فى الصحافة الآن هو التعليق والتحليل وهذا يتطلب متخصصين. أما عن الحرية فكل الصحف العربية مقيدة ولا توجد هوامش مطلقة.

ميرتس: وماذا عن الحدود الدينية فى الصحافة وكيف تتعاملون مع الاتجاه الأصولى ، فنحن فى أوروبا انتهينا من هذا الموضوع حين حدث الفصل التام بين الدين والدولة ، أى ما هو نوع

التأثير الذى تمارسه الأصولية الدينية على الصحافة والأدب بوجه عام؟.

الورداني: نجاح الأصولية فى مصر مرهون بعجز الحكومة . ونلاحظ أن الصحافة شبه ميتة تتعامل مع الموضوعات شبه المؤكدة العادية والتى لا تحتاج إلى نقاش يثير الجدل . وتأثير الأصولية على الصحافة غير مباشر ، ولأن الصحافة فى الأغلب الأعم مملوكة للحكومة فغير مسموح بتجاوز الخطوط الحمراء.

جرجس: إضافة إلى كلام الورداني ، تستخدم الحكومة ورقة الأصوليين بأشكال مختلفة فأحيانا تسمح بتفاقم مشكلة ما وأحيانا تقضى عليها منذ البداية حسب طروفها والهدف من تفاقم المشكلة أو قتلها فى مهدها . بالاضافة إلى انحيازها إلى أحد الأطراف على حساب الآخر.

بيتر: بالنسبة للورداني :الأعمال التى قرأناها كانت تتعرض للدين فهل هناك مشكلة واجهته وقتذاك؟.

الورداني: بين يوم وآخر تتزايد المحرمات ويشاع مناخ خانق، وإذا أردنا ترتيب المحرمات فسيأتى المساس بالحكام فى المرتبة الأولى يليه الدين ثم الجنس ،والدولة كما قال جرجس تلعب على هذه التناقضات فتأخذ أحيانا توكيل الدين أو الجنس وفى أحيان أخرى توكيل الثقافة ، ولا ننسى أهمية المصنف الفنى تبعا لأهميته تزداد الرقابة فالكتابة أقل أهمية من السينما وهكذا..

أصلان: الرقابة تكاد تفقد جدواها فى عصر الأنترنت.

جرجس: فى مصر لا توجد رقابة على المطبوعات بشكل صريح ومباشر، فالكتاب لا يخضع للرقابة قبل النشر ،والرقابة قبل النشر على الوسائط الفنية الأخرى مثل المسرح والسيما.

والآن نحاول العودة إلى السؤال حول الميديا وتأثيرها على الكاتب وهل يتأثر بها وكيف ؟ وهل يفكر فيها أثناء الكتابة؟.

ميرتس: لا أحد يسبح فى النهر دون أن يبتل ، فكلنا داخل النهر بشكل أو آخر نسبح أى نشارك أو نراقب أو نعرف ، والسؤال هو كيفية الابتعاد عن التيارات المختلفة من الميديا.

بيتر: فى عالم الأديب يكاد يكون تأثير الميديا معدوماً لأنه لا يشاهد ال T.V. أو يسمع الراديو كثيرا أو يفكر أثناء الكتابة بالميديا..

جرجس: أنا لا أقصد أن يجلس الأديب أمام وسائل الميديا كى يتأثر ، فحين فكرت فى هذا المشروع كانت تشغلنى فكرة ماذا حدث للأدب الآن ، ولماذا انفصل الأدب عن جمهوره وهذه حقيقة ، والميديا ليس هى الموضوع بقدر العصر الذى خلق الميديا أى عصر التكنولوجيا.

***

* وهكذا انتهى اليوم الأول من المناقشة المغلقة ، وأنا أفكر : لماذا أخذ النقاش اتجاها آخر وجاء على أنه صراع بين الكتابة والميديا؟ وهل هى تهدد الأدب أم لا ؟ وهل الكاتب يفكر فيها وهو يكتب أم لا؟ أو هل هى مفيدة أم ضارة؟ وتم تلخيص الأمر برمته فى علاقة الكاتب بها .مع أننى كنت أقصد أن أن الأدب بات مجبراً أن يأخذ أشكالا أخرى فى ظل العصر الذى تحكمه الصورة

والتى أصبحت واقعاً لامفر منه ، يعنى أننا أصبحنا نعيش عصراً لا تشترى الناس فيه السلعة بل الإعلان عنها أى صورتها أولا فماذا يقرأ هذا الكائن ، ومن خلال المناقشة توصلت إلى ما يلى: من خلال كلام الجانب السويسرى ممثلا فى ميرتس كلاوس وهو روائى وشاعر وبيتر شتام وهو روائى عن الميديا وعلاقتهما بها وعن علاقتها بالواقع فى سويسرا وأيضا حين تذكرت الأيام التى قضيتها أنا هناك أو فى أوروبا بشكل عام تأكدت أن الواقع يختلف تماما عن مصر ، وأن الفروق الحضارية هى العامل الأساسى ، فهم يعيشون واقعا آخر تختلف مفرداته ، وربما يكون تأثير الميديا ليس له نفس القوة كما يحدث هنا فى مصر طبقا لأزمة الوعى وارتفاع معدل الأمية وانهيار النظام التعليمى ، فكل هذه المشاكل لا يعانى منها المجتمع الأوروبى دونا شك بالاضافة إلى قضايا عديدة انتهت منذ زمن بعيد مثل فصل الدين عن الدولة والرقابة على المصنفات الفنية .. إلى آخره .وبالتالى هناك وعى فى استقبال الميديا أو تأثيرها .وعلى الجانب الآخر فى مصر العكس تماما وهذا ما تبين لى من خلال المناقشة وبالفعل كانت نقطة مهمة وهى المقارنة بين عالمين مختلفين تماماً ، فمن خلال الحديث عن الميديا .والرقابة والدين وعلاقة كل كاتب من الجانبين بهذه المفردات كانت فرصة لمعرفة هذا الاختلاف ورغم أن الفكرة التى طرحتها فى البداية أخذت تتشعب إلى أفكار وتفاصيل عديدة إلا أنها كشفت لى عن حقيقة هذا التباين ممثلا فى وعى جمهور الأدب فى سويسرا أو الذى جاء نتاج نهضة حضارية فى جميع مفردات المجتمع فى مقابل أزمة الوعى التى جعلت من الجمهور فى مصر أو العالم الثالث هشاً ضعيفاً ومجرد مستهلك لا يملك وعياً.

سوق الأدب

* ومن النقاط التى كانت مطروحة للمناقشة ،كيف يعمل سوق الأدب فى مصر وسويسرا ،وتمت مناقشة هذا الموضوع فى اليوم الثانى،بسؤال من ميرتس كلاوس لكل من إبراهيم أصلان ومحمود الوردانى حول تجربة كل منهما مع الترجمة إلى الألمانية.

الوردانى: سوق الترجمة فى مصر يتأثر بشكل عنيف جداً بالصورة التى يرغب الغرب فى معرفتها عن هذه المنطقة ، فليس مهما مستوى الكتابة بقدر أهمية الموضوع المطروح ما إذا كان يناسب الغرب أم لا.

هبة: هذه أيضا مشكلتنا نحن، فى ظل غياب مؤسستنا التى تدعم ترجمة الأدب كما يحدث فى أوروبا.

الوردانى: لو صار الأمر بيد المؤسسات الحكومية سوف تترجم لأصحاب الحظوة والفتيات الجميلات.

-أصلان: من الصعب أن نعمم رؤية الوردانى على كل الكتب التى ترجمت فهناك كتب جيدة تمت ترجمتها ،وليس كلها تصب فى تصورهم عن الشرق .

* ثم تساءل بيتر وميرتس حول دخل المؤلف فى مصر ودور وسائل الإعلام فى هذا ودعم الدولة

للكاتب والثقافة ،وتبين من خلال الاجابات .. مركزية الدعم فى مصر للثقافة وامتلاك كل الخيوط فى قبضة مؤسسة واحدة هى وزارة الثقافة وهو دعم موجه ومسيس ،وهذا من شأنه أن يساهم بالسلب لا بالايجاب ، أما دخل المؤلف فى مصر فمن عمله بالصحافة أو أى عمل آخر لا من الكتابة / أما الجانب السويسرى فقال: إنه لا يوجد دعم من مؤسسة واحدة بل هناك مؤسسات وهيئات مستقلة تدعم الأدب وترعى المهرجانات الثقافية.

* ثم كانت النقطة الأخيرة حول تأثير الكاتب ودوره فى ظل اللحظة الراهنة.

ميرتس: دون أن ننزلق فى النواحى السياسية نحن ككتاب نتحدث عما نستطيع أن نفعله بسبلنا البسيطة المتواضعة ، لأننا كنا نتحدث عن فجوة حدثت فماذا نستطيع أن نفعل بوسائلنا المحدودة.

بيتر: لابد للأدب من مستقبل حتى يكون له صدى وما يمتلكه الأدباء هو الكتابة وأن هذا له تأثير بشكل أو بآخر ،وعلى سبيل المثال حين قرأت أعمال أصلان والوردانى وجرجس تواصلت معها.

جرجس: أظن أن الحوار والتواصل بين الأدباء فى جميع أنحاء العالم قائم بصور مختلفة ولكن هل هذا الحوار يمكن أن يؤثر على القائمين على العسكرية والحكام؟.

ميرتس: نحن دورنا التأثير فى حساسية الناس ،وفى تفاصيل الحياة اليومية مثل الرحمة بينهم ..فهل يستطيع الأدب التأثير على الشارع؟.

أصلان: الكتابة مشغولة بالحياة اليومية وتفاصيلها ،والأدب مؤكد يلعب هذا الدور وإن كان بطيئا.

ميرتس: إذا كنا نوجه لأنفسنا سؤال: ماذا يمكن أن نفعل للعالم ، فهو سؤال كبير ويثير القلق وحين أفكر فيه ،أجد أن اسهامى الصغير الذى أحمله فى يدى عبارة عن جملة هادفة يتأثر بها إنسان ، وأرى أن من يكتب جملة هدفة ينقذ العالم ، فنحن فراشات ملونة تختلف فى الشكل والمحتوى لكل منها إسهام صغير.

تعطش الجانب السويسرى إلى معرفة الواقع المصرى وقال بيتر شتام أنها فراغات فى المعرفة أكثر منها أسئلة نمطية وعامة ، أما كلاوس.

نصوص سويسرية
كلاوس ميرتس
(قصائد)
ترجمة د. هبة شريف

رحلة طيران

بأذرعنا فقط نجدف فى الهواء
ونطير ليالى طوالاً عبر الانحاء
والمراصد الفلكية
تضئ
اكتشف قبراً لطفل
من عصر« النياندرتال»
راقداً فوق جناح بجعة.
رحلة طيران مثل هذه
تجعل لنا امتداداً

الثامن والعشرون من يناير

كنت أود اليوم مثل كل يوم
لو كتبت قصيدة عظيمة تحملنى لفترة
ولكن بدلا من كل ذلك .. ضوضاء السيارات أمام النوافذ
الجارة تغسل أطباقها وراء الحائط الرفيع
ثم التزايد الكسيح للإجرام
ولكن نحن قادرون على الحب
هكذا تقول الكتب
طرق التجارة فى المحيط الهندى وشمال الأطلنطى
الطرق البحرية إلى أفريقيا تتقاطع مع شوارع التسوق
وعربة الأيس كريم فى الشتاء لا تتوقف ..حتى أمام الأطفال
من خلال الأبواب البلاستيكية لبيوت المهاجرين
تتلألأ مخاوف أوطانهم
العصائر تملأ الفم
تسيل حول العينين ومن تحت الإبط
يعرض الرئيس فوق شاشة التلفاز أساور قميصه البيضاء
قارات جديدة تتكون فى الأفق

نباتات الظل فى الحجرة تنمو
هكذا تمضى الأمور
يتصاعد البخار من الأبراج وأوانى الطعام
حتى الثالثة فجراً
حين يسند الشحرور سلم موسيقاه فى رقة على نافذتنا:
ثم يجلس فى مطبخى قيصر الصين شبعان
يستمع إلى البلبل
فبراير
قفاز اليد المصنوع من جلد النمر
منسى فى الثلج
فوق كتفى
علامة انحناء الطريق (ستظهر بعد قليل)
مخالب الضوء الدافئ على استحياء
حبل طويل
الكتابة مثل صيد السمك.
أجلس وأحمم الدودة فى الماء
إلى شمالى وذباب وريش
البريق
إلى يمينى الخطافات
من أجل السمك الأكبر
إلى يمينى أيضا رصاصى
من أجل السمك فى القاع
فى يدى العصا
فى إصبعى الخيط
من أجل أن أخز
السماء المصقولة
تصيح عروس البحر
هكذا لا تغرق
فى البحيرة

فن التفصيل

فى الفجر



ونحن واقفون عند السور
شعرنا بالخفة تنمو
كانت ترتدى فستانا
مصنوعا من أجنحة الوطاويط

الثانى من نوفمبر

فجرا فى الثالثة تنزل
كل حواجز القطارات فى البلد
تقفز إشارات المرور إلى
اللون الأحمر
فقط عربة اسعاف
تبحث هنا وهناك عن طريقها فوق الرصيف
فيما عدا ذلك فكل الشوارع والميادين
وقضبان السكك الحديدية وفضاء الهواء
تخص الميتين
حتى طلوع الصباح
خلف الستائر المنسدلة
يحكم القلقون الساهرون
قبعاتهم فوق رؤوسهم

أخاديد عميقة

بيتر شتام

ترجمة : د. علا عبد الجواد

بدا على الدكتور كيندى كما لو كان ينتظر إجابة ، تناول جرعة كثيرة من كأس البيرة ونظر إلى قائلا : إن الميلاد ليس نقيض الممات ، بل هما الشئ نفسه.

«لكننا نأتى من رحم لموت ،ونعود ثانية إليه ، كما لو كنا ندخل مكانا لنغادره من جديد» لكنه أردف قائلا : هذا سخف ، فكلنا يعرف أن الجسم يخلق من مادة لا عضوية ، من عدم المادة ومنه يخرج وإليه يعود .هذا ما نتعلمه فى المدرسة لننساه بعد ذلك ونؤمن بأى سخف يقال.

رميت نظرة على الناحية الأخرى تجاه الموسيقيين الذين كانوا جالسين فى منتصف الحانة منهمكين فى الحديث ،وكان أحدهم يعزف بعض النغمات من حين إلى حين، بينما يعزف آخر شيئا مختلفا فى حين آخر ، غير أن الألحان كانت تتوارى فى ضجيج الأحاديث.

كان تيرى الذى قابلته مصادفة فى الشارع منذ بضعة أيام هو من أعطانى عنوان هذه الحانة ،كنت قد ضللت طريقى وسألته عن الوجهة الصحيحة ، فكان منه أن صحبنى ،تحدثنا عن الموسيقى ونصحنى أن أذهب لهذا المركز الاجتماعى ، فهناك -كما قال لى- تعزف موسيقى أيرلندية حقيقة، وإن كل من لديه آلة موسيقية يمكن أن يشارك فى العزف .كما قال لى أيضا إنه يغنى هناك أحيانا وإنه يرسم ويكتب الشعر وإنه -إذا ما ذهبت إلى هناك- سيهدى لى إحدى قصائده .وحينما هممنا بالافتراق قدم لى بطاقة التعارف: تيرى ماك أولى ، عالم أجناس .كانت البطاقة مغلفة بالبلاستيك ،وعندما قرأت ما فيها مد تيرى يده مرة أخرى فكان منى أن رددتها إليه ثانية.

وصلت إلى المركز مبكرا وقمت بالتجول فى المبنى .فى إحدى الغرف كان يجلس شابان يعزفان الجيتار ، الواحد منهما فى مواجهة الآخر . فى غرفة أخرى كان هناك رجل عجوز يتدرب مع بعض الأطفال على أداء أحد الأناشيد .وعلى سبورة حائطية كانت كلمات الأغنية مكتوبة باللهجة الغيلية .غير أن الرجل نفسه كان يتحدث مع الأطفال باللغة الانجليزية.

قال الرجل: «فى أثناء الغناء يجب أن تطرحوا السؤال وأن تجيبوا عنه» .

فى نهاية الغرفة كان يجلس بعض الكبار منصتين .كانت الأبواب المؤدية لكل الغرف مفتوحة وفى الردهة كان يسمع صوت الموسيقى وقد اختلطت نغماتها بعضها بالبعض ،ومن مكان ما كان يأتى مسموعا صوت طبلة.

دخلت إلى الحانة ، بينما كان الموسيقيون يتوافدون الواحد تلو الآخر، حفنة من النساء والرجال، صغار وكبار فى السن .كانوا يخرجون آلاتهم الموسيقية ، من آلات كمان وجيتار، وآلات فلوت معدنية وطبول.

أخذ أحد الرجال فى ضبط آلة الكمان خاصة به ، بينما أخذت إحدى السيدات فى عزف بعض النغمات على الفلوت ،كما أنهمك الموسيقيون الآخرون فى الحديث وتعالت ضحكاتهم فيما بينهم ،فى هذه اللحظة أتخذ الدكتور كيندى مكانه بجوارى ، بالرغم من أنه كان لا يزال هناك مناضد أخرى خالية .كنت أريد أن أنعم بالهدوء ، إلا أنه بدأ من فوره بالكلام ، قدم لى نفسه فكان منى أن ذكرت له أنا الآخر اسمى ، بعدها لم أقل الكثير .أما دكتور كيندى فكان يحكى شيئا، ليتبعه شئ آخر تماما.

فى أثناء ذلك ترى قد دخل وجلس إلى البار . أشرت إليه إلا أنه لم يحرك ساكنا وبدا الأمر كما لو كان لا يرانى . طلب عصيرا من الأناناس . سألنى دكتور كيندى إذا ما كنت أعرف «ترى» وقال عنه إنه فتى بائس مصاب بالصرع ، وإنه كان يعمل فى مصنع السجاد، غير أنه كانت تنتابه نوبات كثيرة جدا،حتى اضطر أصحاب العمل لفصله ،وهو الآن بلا عمل ويعيش على الإعانة الاجتماعية.

«فى السابق كان صوته عذبا، وكان أفضل عازف مزمار فى المنطقة ، بل إنه فاز بالعديد من

المسابقات».

بعد ذلك أخذ الدكتور في صب جام غضبه على ايرلندا والايرلنديين قائلا إن زواج الأقارب هو الشر بعينه وإن هذا يفسر ما نشهده من اضطرابات ،وبطالة ،وتطرف ديني ، فضلا عن إدمان الكحوليات ، وإنه لذلك السبب تزوج بامرأة ألمانية ليجلب دما جديدا إلى المنطقة ، بل إنه سافر بالفعل إلى ألمانيا ليبحث لنفسه عن امرأة ، عن أم لأطفاله وإن زوجته تحمل اسم «لوثر» بل إنها من الأقارب البعيدين لهذا المصلح الديني.

فجأة سادت الحوارات الدائرة في المكان فترة توقف قصيرة حتى أن جملة« الدكتور كيندى -من أن عنده ثلاث بنات -جاءت في الصمت الذى حل فجأة عالية الصوت للغاية ، مما دعا بعض الرواد إلى الضحك ،ناظرين إلينا من الناحية الأخرى ،غير أن الجميع انهمك مرة أخرى في الحديث مع بعضهم البعض.

حكى لي الدكتور إن الحانة التى كنا نجلس فيها كانت فيما مضى وحدة مطافئ لتتحول بعد ذلك إلى مركز اجتماعي كان لا يسمح فيه بالتحدث إلا باللهجة «الغيلية» ،واصفا ذلك بالسخف ، غير أنه أضاف قائلا: إن المركز مع مرور الوقت أصبح مفتوحا للجميع.

من أين أنا؟ سألني الدكتور ،معقبا بالقول إن سويسرا بلد جميل ، حيث امتزجت فيها الشعوب ، على العكس الحال هنا.

بعد ذلك بدا ترى الغناء بمصاحبة بعض الموسيقيين .غير أن غناءه لم يكن جيدا ، وفي لحظة ما أصاب الموسيقيين الملل، آخذين في العزف بشكل أسرع ، هاربين بذلك من غنائه أصاب ترى الاضطراب وتلعثمت الكلمات بين شفتيه .في هذه اللحظة قام من كان موجودا من مستمعين قلائل بالتصفيق حتى أضطر ترى لرفع يده في حركة دفاعية ليتوقف عن الغناء.

ذهبت إلى البار محضرا لنفسي كأسا من البيرة .عندما عدت إلى مكاني سألني دكتور كيندى عن مدة بقائي في البلاد ورجاني أن أزوره قائلا إنه عادة ما يكون عنده ضيوف من الخارج ، ليسألني بعدها عما إذا كان عندي مساء غد وقت لزيارته . أعطاني العنوان ونهض واقفا، أما أنا فقد ظللت جالسا.

في مساء اليوم التالي ذهبت إلى دكتور كنيدى ،كان المنزل يقع على ربوة في أطراف المدينة ، استقللت الباص الذى مر في بادئ الأمر عبر أحياء فقيرة إلى حد ما ثم بعد ذلك عبر مناطق ممتدة من الحشائش البرية . أما الأرض التى كان منزل الدكتور مبنيا عليها فقد كانت محاطة بسور من الطوب الأحمر وعلى البوابة الحديدية المصنوعة يدويا علقت لافته تقول: «أخاديد عميقة» ضربت الجرس. انفتحت البوابة محدثة صريرا مخيفا .عندما كنت ذاهبا تجاه المنزل مارا بالحديقة رأيت الدكتور قادما نحوى . صافحني ولف ذراعه حول كتفي ،كما لو كنا أصدقاء قدامى.

«زوجتي وبناتي متشوقات لرؤيتك أيما شوق» قالها وهو يقودني إلى كوخ أبيض من الحجر رث

الحالة إلى حد ما .كان هناك أمام المدخل بحيرة صغيرة تسبح فيها أسماك ذهبية . دخلنا إلى المنزل .فى الردهة كان يقف أربعة من النساء.

«زوجتى كاتى» ، قالها مضيفا «صغيرتى كاتى ، وبناتى الثلاث ديزيريه ، إيميلى،وجوين».

صافحت أربعتهن .كان الدكتور يتحدث عن شئ ما، لكننى لم أستطع أن أنحى ناظرى عن الأخوات الثلاث كن يشبهن بعضهن البعض . لابد أن أعمارهن كلهن فى حدود الثلاثين .كان لهن نفس الطول ونفس القوام الرشيق.

اكتست وجوههن بالشحوب والجدية ،مع استعداد دائم لمنح ابتسامة خاطفة .كانت شعورهن طويلة ، شعر ديزيريه وجوين كستنائى اللون ، بينما اصطبغ شعر إيميلى ببريق ضارب للحمرة . ثلاثتهن كن يلبسن جونلات ملفوفة وبلوزات عفت عليها الموضة وجوارب رقيقة من الصوف . سألنى دكتور كيندى إذا ما كانت بناته قد لقين إعجابى . لم أعرف بما أجيب .كانت الأخوات رائعات الجمال ، غير أن جمالهن اكتسى ببعض السخف نتيجة التكرار.

قال الدكتور« ألسن كائنات بلا أخطاء» ليقودنى إلى غرفة المعيشة ،حيث كانت منضدة الطعام معدة بالفعل.

فى الحافة قال لى دكتور كيندى إن زوجته ستسعد ولا شك بالتحدث مرة أخرى بالألمانية لكنها لم يصدر عنها خلال تناول الطعام بالكاد أية كلمة .كانت قد حيتنى بالألمانية المشوبة بلكنة إنجليزية قوية . لم أستطع تخيل أن تكون هذه السيدة ألمانية .عندما سألتها عن مكان نشأتها قالت لى أنه كان فى الشرق ، لتعود بعدها للحديث بالانجليزية مرة أخرى.

فى أثناء تناولنا للطعام تحدث الدكتور كيندى عن السياسة والدين .كان بروتستانتيا، سألته عما إذا كان اسمه اسما أيرلنديا. رفع كتفيه عاليا . كانت البنات الثلاث قليلات الكلام مثل أمهن ، غير أنهن كن فى غاية الانتباه ،وحينما كنت أنظر إليهن كن يبتسمن لى ويقدمن إلى النبيذ أو يقدمن إلى صحون الطعام ،حينما كان طبقى يفرغ .فى لحظة ما سألت جوين عما إذا كان المكان بالخارج تلفه وحدة شديدة . قالت لى إنهن كلهن يحببن ذلك المنزل ،وهناك مما يشغلهن الكثير سألتنى عما إذا كنت قد رأيت الحديقة.

قال د. كيندى : «يمكنك أن تريها ضيفنا غداً».

وأضاف قائلا إن الحديقة هى تخصص جوين ، بينما الإعداد تخصص ديزيريه ، وإنها لذلك تقوم بالحسابات وتعمل على أن يكون دائما بالمنزل ما يكفى من النقود ، وماذا عن إيميلى؟.

قال إن إيميلى هى أكثرهن موهبة، وإنها أحب أطفاله إليه ، وإنها تقرأ كثيرا ،وتؤلف ، وتلعب الموسيقى وترسم،إنها فنانتنا» ، قالها الدكتور ، مما دعا النساء إلى الضحك والموافقة إيماء غير أنه أضاف قائلا : «ربما تريك حقيبة أوراقها ، ولكن ليس مساء هذا اليوم».

بعد الطعام قامت الأخوات برفع الأطباق ، بينما صحبنى د. كيندى إلى غرفة مكتبه جلسنا على فوتيهات من الجلد مقدما لى ويسكى وسيجارا . مرة أخرى تحدث عن السياسة وحكى لى عن

عمله فى المستشفى . قال إنه طبيب عظام متخصص فى إصابات الركبة .كما حكى لى عن أخذ الحق باليد فى الأحياء الفقيرة:

«حينما يمسك أحدهم،ويحوزته مخدرات أو يسرق سيارة أو يقوم بغير ذلك من الأعمال الإجرامية يطلبون منه الحضور فى ساعة معينة فى مكان معين ويطلقون النار على ركبته . إما إذا رفض الذهاب فإن العائلة كلها يتم طردها من المدينة».

قال الدكتور إن هذا الأمر غبى وبلا جدوى ومقزز . هز الدكتور رأسه وصب لى مزيدا من الويسكى . فى مكان ما من المنزل كان شخص ما يعزف الكمان.

قال دكيندى «إيميلى» وانصت للصوت ، بينما أضاءت وجهة ابتسامة.

دخلت ديزيريه إلى الغرفة قاصدة أرفف الكتب ، متناولة كتاب منها لتبدأ فى التصفح فيه . أشار الدكتور برأسه ناحيتها ورفع حاجبيه.

قال الدكتور : «إنك محل ترحيب كبير لدينا ، كلنا سعداء جداً».

بعد ذلك أخذ الدكتور يسألنى عن عائلتى وعن المكان الذى نشأت فيه . رميت نظرة على الناحية الأخرى حيث كانت تقف ديزيريه . ابتسمت ديزيريه خافضة نظرها لأسفل لتتصفح فى كتابها من جديد . أراد الدكتور أن يعرف مدى تكرر إصابتى بالأمراض ، غير أنه قال لى إننى أبدو فى كامل الصحة ، فهذا ما يراه فى عينيى . ثم سألنى عن عمر جدى وجدتى وعما إذا كان فى العائلة أمراض وراثية أو حالات إصابات بأمراض عقلية ، فما كان منى سوى أن ضحكت «إنها مهنتى» ، قالها الدكتور ليعيد ملأ الكؤوس مرة أخرى.

«طالما إنك لن تأخذ عينة من دمى».

ولم لا» قالها مبتسما ، و«لم لا».

لم أعتد شرب الويسكى، وبدأت أشعر بالدوار .عندما قال الدكتور إن الباصات التى تمر هنا مواعيدها قد انتهت وإننى أستطيع المبيت هنا لم أتردد طويلا وقبلت العرض.

قال الدكتور :«ديزيريه ستعتنى بك» ونهض واقفا متجها ناحية الباب، «تصبح على خير» صمتت الموسيقى من فترة ليست بالقريبة ، وعندما ذهبت مع ديزيريه إلى الردهة سمعت وقع خطوات الدكتور التى أخذت فى التلاشى ، بعدها لف الصمت المنزل ، قالت ديزيريه إن جميعهم قد خلدوا إلى النوم ، فالأيام فى «الأخاديد العميقة» مليئة بالعمل ، فهى تبدأ مبكرا وتنتهى مبكرا كذلك ، صحبتنى ديزيريه إلى غرفة الضيوف ، اختفت لتعود بعد وقت قصير بفوطة وبيجامة وفرشاة أسنان . قالت لى إنها ستنام فى الغرفة المجاورة ،وفى حالة إذا ما احتجت شيئا أو كان لى أى رغبة فى الليل على فقط أن أطرق بابها فنومها خفيف.

ذهبت إلى الحمام ،وعندما عدت وجدت ديزيريه واقفة فى غرفتى .كانت ترتدى الآن روبا خفيفا ،وكانت قد رفعت غطاء السرير الخفيف وفرشت ملاءة ثقيلة . كانت تحمل فى يدها كوبا من الماء . سألتنى عما إذا كنت أريد قربة ماء ساخن وعما إذا كنت أرغب منها أن تزيد من درج

التدفئة أو أن تسدل الستائر؟ قدمت لها شكرى وقلت إننى عندى كل ما احتاجه . وضعت كوب الماء على الكومودينو وظلت واقفة بجوار السرير.

قالت: «سأضع عليك الغطاء» لم أستطع أن أمنع نفسى من الضحك ، وضحكت هى الأخرى . لكننى بعدها غطست إلى داخل السرير حيث قامت بتغطيتى قالت لى : «لو كنت أخى لكنت قد قبلتك».

استيقظت مبكرا .كان البيت كله يعج بالحركة ، لكننى غفوت مرة أخرى ،وعندما دخلت إلى المطبخ بعد الساعة التاسعة كانت جوين على وشك غسيل الأطباق . أعدت لى المائدة وقالت إنها بعد الإفطار سترينى الحديقة ، وإن أباها قد أخذ أمها إلى المدينة وإن ديزيريه فى المكتب بينما كنت أتناول طعامى سمعت مرة أخرى صوت الكمان يأتى منه لحن خفيض حزين.

قالت جوين: «أليس ذلك رائع الجمال ، الموسيقى والمنزل وكل شئ؟».

«لابد أن تكون هنا فى الربيع»، قالتها وهى تصحبنى عبر الحديقة . أرتنى شجيرات الورد اليابانى وشجيرات الليلك وشجيرات الكركدية التى كانت جميعها مثار فخارها الشديد.

حكت لى عن نجاحاتها فى تربية النباتات وعن الجوائز التى ربحتها . كانت تحمل مقص الحديقة فى اليد، وبينما كنت أتحدث ، كانت تنحنى أحيانا لتقص إحدى الحلزونات لتتابع كيف كان الجسد الفانى يلتف حول الجرح النازف . قالت لى أنها تتصور الجنة على هذه الشاكلة حدائق الآلهة وبداخلها أصحاب النعيم يزرعونها ويحافظون عليها.

قالت:« حياة فقط مع الزهور ، دائما فى الحديقة ، صيفاً وشتاءً ، تعمل فيها».

عندما كنت قد وصلت فى مساء اليوم السابق هبت ريح شديدة ؛ لكن هنا فى الحديقة كان الهواء ساكنا وبلا حراك . كانت السماء رمادية اللون والضوء متعكراً كما لو كان يهبط علينا مارا بأحد مصافى الدخان.

أخذتنى جوين من يدى وقالت إنها تريد أن ترينى شيئا ما قادتنى إلى غابة صغيرة عند حدود الأرض . وتحت إحدى أشجار البلوط ذات أوراق غريبة الشكل مصفرة اللون كانت إحدى اللوحات الحجرية مغروسة فى الأرض.

قالت:«جدى وجدتى ولدا هنا، وهنا توفيا أيضا، كلاهما فى نفس اليوم»

جثت جوين على ركبتيها متحسسة الشاهد الحجرى بيديها قائلة:

عندما تموتين حبيبتى

وفى ظلمة القبر ترقدين

تسبقنى لقبرك رغبتى

لأضمك إلى فى حنين»

رتلت جوين القصيدة بالألمانية . لم ألحظ ذلك فى بادئ الأمر مطلقا ورجوتها أن تعيد القصيدة على مسامعى.

«أمنا علمتنا الشعر» ، قالتها مضيفة : «كم هو جميل ، هذا الألم وهذا الحب!».

قالت مرة أخرى إن جدها وجدتها توفيا فى نفس اليوم ،فقد كانا يحبان بعضهما أيما حب ، وإن الجنازة كانت احتفالا يبهج القلب .جثوت على ركبتى لأقرأ ما هو مكتوب على الشاهد . لم أستطع قراءة الأسماء إلا بصعوبة شديدة. أما تاريخ الميلاد فقد كان مطموس الملامح وأول أرقام من تاريخ الوفاة كانت ١٨٨ .

قلت لها : «كيف يتأتى أن يكون هذان جدك وجدتك؟ إذا كانا قد ماتا منذ ما يزيد على المائة عام؟ كيف لك أن تتذكرى الجنازة؟».

غير إن جوين كانت قد اختفت .كنت أسمع حفيفا بين الأشجار ، نهضت من مكانى ، ودخلت إلى الغابة الصغيرة ، ابتعدت جوين هاربة منى. أحيانا كنت أشاهدها بين الأشجار .عندما لحقت بها كانت تقف مستندة على السور العالى الذى كان يحيط بالأرض. قالت: « أنا زنبقة الوديان وأنت شجرة التفاح».

انهمكت فى الضحك وظلت تحدق فى إلى أن أبتعدت بنظرى عنها .حينئذ انتفضت من على الجدار متجهة ناحية المنزل مشبكة ذراعيها خلف ظهرها. كنت أمشى وراءها تفصلنا مسافة غير بعيدة، وعندما مررنا على أحواض الورد قالت إننى يجب أن أدخل المنزل فلا يزال عليها أن تنجز بعض الأمور فى الخارج.

فى داخل المنزل كان الصمت يلف المكان . لم يكن مسموعا سوى الصوت الخفيض للكمان ، وبنفس التتابع من النغمات . دخلت إلى المطبخ وصببت لنفسى فنجانا من القهوة ، توقف صوت الموسيقى ليبدأ جديد . كان اللحن مألوفا لى لكننى لم أعرف من صاحبه . تابعت صوت الموسيقى حتى وصلت إلى أحد الأبواب .كان صوت الموسيقى الآن قريبا جدا . عندما طرقت الباب، توقفت الموسيقى،ولبرهة ساد الصمت المكان إلى أن انفتح الباب.

«كنت فى انتظارك» ، قالتها إيميلى لتسمح لى بالدخول.

سألتها: «ما هذه الأغنية»؟.

قالت: «مجرد تقاسيم ، ليس إلا ، إنه من إبداعاتى».

أشارت لى بقوس الكمان تجاه الأريكة . وما أن جلست حتى بدأت إيميلى فى العزف ثانية . كان التركيز والخوف ينطبعان على وجهها .كانت الموسيقى رائعة الجمال ، كل نغمة تسلم نفسها للأخرى دون أن تلحظ الأذن ذلك، وفى أحيان كثيرة كنت أظن أننى أعرف النغمة أو الأخرى ، لكننى لم أستطع مجددا أن أتذكر من هو صاحب النغمة أو الأخرى ، بعد ذلك توقفت إيميلى فى منتصف لحن ما . قالت إنها لا تجد الخاتمة، لا تجد النهاية أبدا ، وإنها عليها لذلك أن تواصل العزف دائما وأبدا وإنها لا تعزف إلا لتجد الخاتمة ، بل إنها عادة ما حلمت بها: «أرانى أتجول فى الحديقة ، أسمع الأغنية التى لا تريد أن تتوقف . أعرف صحيح اللحن ولكن لا أعرف نهايته . أبحث فى الحديقة عنها .حينئذ يجدنى والدى . يأخذ منى معطفى وحين استيقظ لا أجد له أثرا

بعد ذلك».

جلست إيميلى بجوارى على الأريكة . مالت بجسدها فوق الكمان محتضنة إياه احتضانها لطفل صغير. مالت برأسها إلى الخلف كما لو كانت تتسمع شيئا . سألتها عما إذا كانت قد فكرت فى الرحيل من هنا. هزت رأسها بالنفى فى بطء وقالت : «خلعت عنى ردائى فكيف ارتديه مرة أخرى؟» أراحت الكمان بعيدا مما نم عن تبرمها من شئ وقالت «ثم أين ذهب حينئذ»؟.

سألتها إذا ما كانت تستطيع أن ترينى صورها. هزت رأسها بالنفى.

وقالت : «عندما تأتى مرة أخرى»

قلت لها إننى سأذهب الآن.

«لن أصحبك إلى البوابة» ، قالتها لتنهض معى . فى اللحظة خطر لى أنها تريد أن تقبلنى على خدى لكنها همست بشئ فى أذنى ودفعتنى خارج الباب . عندما كنت أمر من خلال المنزل تنامى إلى سمعى كيف أن إيميلى بدأت فى العزف من جديد، نفس اللحن الحزين الذى عزفته مساء أمس وصباح اليوم والذى لا يزال مستعصيا على معرفة صاحبه.

غادرت المنزل ومررت بالحديقة ، لم يكن هناك أى أثر لـ جوين فى أى مكان . كانت البوابة مغلقة بالمفتاح . تسلقت البوابة وشعرت بالارتياح عندما وجدت نفسى أقف فى الشارع من جديد . لم أجد فى نفسى الرغبة فى الانتظار حتى يأتى الباص، نزلت هابطا الربوة مسرعا .فى الصباح كانت السماء مليئة بالسحب ، أما الآن فقد هبت ريح شديدة مكونة فى السماء سحبا متجددة وأكثر سوادا . كانت الأشجار على جانب الطريق تتحرك تحركا عنيفا ، كما لو كانت تريد أن تقتلع نفسها من الأرض ، أما فى الشرق فقد كان هناك ما ينذر بسقوط المطر . عندما كدت أصل إلى سفح الربوة أتت فى اتجاهى سيارة مرسيدس قديمة بيضاء اللون لأجدها تتوقف بجانبى .كان الدكتور كيندى مائلا على مقعد القيادة منزلا الشباك إلى أسفل سألنى: «أهكذا مبكرا تمضى» من فتح لك؟.

قال لى إننى بإمكانى أن أظل مقيما عندهم على الرحب والسعة ، قلت له إننى ليس معى ما يلزم، فكل حاجياتى فى الفندق . قال لى إنه سيصحبنى بالسيارة إلى هناك حيث يمكننى أن أحضر حقائبى لنعود فورا إليه . فتح لى الباب فركبت.

فى الطريق إلى المدينة بدأت السماء تمطر . سألت د. كيندى عن القبر الموجود فى حديقته ، قال لى إنه لا يعرف الشخص المدفون هناك وإنه اشترى الأرض من ثلاثين عاما مضت وإنه لم يكتشف شاهد القبر إلا فى أثناء عمليات البناء . وقال لى إنه لا يهتم بالأموات ، بعد ذلك سألنى عمن أعجبتنى من بناته أكثر من غيرهن . قلت إن ثلاثتهن جميلات.

قال لى : «نعم كلهن جميلات ، لكن عليك أن تقرر وكلا سنكون سعداء أيما سعادة» مررنا بالسيارة عبر حى سكنى ذى بيوت قبيحة الشكل ، على جانب الطريق كان يلعب بعض الأطفال . عند إحدى حانات الوجبات السريعة كان هناك مجموعة من الرجال فى أيديهم علب صفيح من

البيرة أخذوا يلاحقوننا بأعينهم بعد أن مرت السيارة بهم. سألت الدكتور عما إذا كان هذا الحى كاثوليكيا أم بروتستانتيا . قال لى إن هذا الأمر لا يلعب أى دور فالبؤس فى أى مكان مثله مثل السعادة . قال لى إن كل هذا يشعره بالغثيان . سألته عما إذا كان قد فكر فى أى لحظة من اللحظات فى الرحيل عن هنا . قال لى إنه أحاط منزله بسور وأنه يراقب من يدخل إلى حديقته . سألنى مرة أخرى عمن فتح لى البوابة ليرمقنى بنظرة من عينيه.

قلت له: «تسلقت البوابة» . ارتسم الجمود على وجه الدكتور . كانت علامات الإرهاق بادية عليه . صمت ليوجه ناظريه للشارع مرة أخرى . توقف أمام الفندق وقال لى إنه سينتظر فى السيارة . صعدت إلى غرفتى وحزمت حاجياتى . أخذت أتأمل كل ما رأيته من قبل وكل ما أريد بعد رؤيته . نظرت من الشباك . أمام الفندق كانت المرسيدس البيضاء واقفة . توقف المطر ونزل الدكتور من السيارة وأخذ يجرى على رصيف الشارع ذهابا وإيابا .كان يدخن سيجارة بدت العصبية عليه . حزمت كل شئ لكننى لم أنزل لأسفل . ظللت واقفا عند الشباك ناظرا منه إلى الخارج .كان لا يزال الدكتور يجرى هنا وهناك . رمى عقب السيجارة فى الشارع وأشعل سيجارة ثانية . من حين لآخر كان ينظر عاليا ناحيتى ، لكن ستائر الغرفة الثقيلة كانت تحجبه عنى . ربما كان ما أنتظره نصف الساعة، بعدها ركب المرسيدس القديمة وأنطلق مبتعدا.

رجعت بذاكرتى إلى مساء هذا اليوم الذى تعرفت فيه على الدكتور كيندى ،. بعد أن ذهب ظللت جالسا وحدى إلى منضدتى .كنت أحتسى كأسى من البيرة وأنتظر ، لكنى لم أعرف ماذا ، حينئذ تسلل إلى الضجيج لحن ما .كان أحد الموسيقيين قد بدأ بالعزف ، بينما تسلم منه موسيقى آخر التيمة الموسيقية ، أما العازفون الآخرون فقد انسجموا معهما. أخذت أصوات المتحدثين من الرواد فى الانخفاض إلى أن صمتت تماما.

كانت الموسيقى حزينة ومفرحة فى ذات الوقت ، بها كآبة ولكنها مليئة بالحركة وبكامل القوة . ملأت الموسيقى المكان كله ولم تتوقف . حينما حزم فى لحظة ما العازفون الأصغر سنا –كانوا لم يبلغوا من العمر بعد مبلغ الرجال– آلاتهم الموسيقية ورحلوا واصل العازفون الآخرون العزف ، بينما انضم إليهم آخرون جلسوا فى الأماكن الشاغرة التى نشأت فى دائرة العازفين . عندما ذهب الطبال أعطى طبلته لـ تيرى الذى شاركهم الآن فى العزف ، فى بادئ الأمر على استحياء لكن مع مرور الوقت أخذ يكتسب ثقة بعد ثقة ، من بين الموسيقيين تعرفت على الرجل العجوز الذى كان يغنى من قبل مع الأطفال .كان يعزف الكمان وارتسمت على وجهه ملامح الجدية الشديدة.

وقفت عند شباك الفندق الصغير ونظرت إلى الخارج . كانت السحب تعبر السماء ، بسرعة ومغيرة شكلها باستمرار . كانت السحب فى طريقها إلى الغرب عبر الجزيرة الايرلندية ومنها إلى الخارج فى اتجاه المحيط الأطلنطى ، من وقت لآخر كان زخات من مطر خفيف تصطدم بزجاج الشباك . وقفت على هذا الحال طويلا وأخذت أفكر فى الموسيقى وفى الرجل العجوز وفيما قاله للأطفال : «يجب أن تطرحوا السؤال وأن تجيبوا عنه» . إنهما نفس الشئ.



الديوان الصغير

شعر المنبوذين فى الهند

ترجمة وتقديم: طلعت الشايب

هل كان لابد من أن أولد فى هذه البلاد؟

المنبوذون فى الهند(الداليت) طائفة كبيرة من البشر المهمشين (أكثر من مائة مليون نسمة) ،وهم ضحايا ظلم اقتصادى واجتماعى وثقافى كبير ، وذلك بالرغم من أن المصطلح وما يتضمنه من فقدان للأهلية الاجتماعية قد أصبح أمرا غير قانونى بموجب الدستور الهندى الصادر فى ١٩٤٩.

والمنبوذون هم أبناء تلك الفئات الذين تتضمن واجباتهم التقليدية وعاداتهم المعيشية أنشطة قد تؤدى إلى التلوث ، مثل الاعتماد فى حياتهم على قتل كائنات حية أخرى كالحيوانات، أو استخدام جلودها ، أو صيد الأسماك أو ممارسة أنشطة ذات صلة بالجسد البشرى مثل الغائط والبول والعرق والبصاق (الكناسون -عمال القمامة- الغسالات-..إلخ) كما تضم الطوائف المنبوذة أكلة لحوم الحيوانات (الأبقار والخنازير) والدواجن، وهم قطاع كبير من القبائل البدائية التى تعيش فى الجبال وعلى التلال خارج العمران ، ويعتبرهم الهندوس المتشددون منبوذين ، ليس لأنهم بدائيون أو الاثنيون، وإنما لأنهم يأكلون لحوم البقر والخنازير التى تعيش على القمامة.

هذه النظرة الدونية كانت سببا فى كثير من، الارتباك الاجتماعى ، لأن قبائل الجبال والتلال كانوا يرفضون دائما عملية تهميشهم وعدم استيعابهم فى إطار النسيج الاجتماعى ونفيهم إلى مرتبة المنبوذين الذين يقرر سلوكهم وضعهم فى المجتمع والحياة.

وقبل صدور الدساتير الحديثة فى كل من الهند وباكستان ، كان المنبوذون دائما عرضة لكثير

من القيود الاجتماعية التى تزداد صرامة كلما اتجهنا صوب المناطق الجنوبية من شبه القارة ،حيث كان يتم عزلهم فى أكواخ حقيرة ويمنعون من دخول المعابد والمدارس أو حتى الوصول إلى الآبار التى يجلب منها الأغنياء الماء، وكان لمسهم يعتبر ملوثا ويستوجب القيام بطقوس تطهيرية للاغتسال منه ،وفى المناطق الجنوبية كان مجرد رؤيتهم يعتبر نجاسة، ولذا كانوا يجبرون على العيش حياة ليلية لكى لا يراهم أحد.

هذه القيود والمظالم جعلت كثيرين منهم يعتنقون المسيحية أو الإسلام أو البوذية ، ليكون المعتقد درعا واقية، وقد كان المهاتما غاندى يبذل الكثير من الجهد لتحريرهم وكان يطلق عليهم اسم« الهاريجان» (أبناء الإله هارى فشنو)، وقد اعترف دستور الهند الحديث بهم(كان عددهم فى الستينيات ٨٠ مليونا بالاضافة إلى ٣٨ مليونا من أبناء القبائل) كجزء من النسيج الاجتماعى ، وكفل لهم بعض المزايا التعليمية والتأهيلية ،كما منحهم نسبة من التمثيل فى البرلمان ، وقد جاء التشريع الخاص بهم (١٩٥٥) ليفرض عقوبات على كل من يمنع أى شخص آخر من ممارسة حقوقه الدينية أو المهنية أو الاجتماعية بسبب كونه من «الهاريجان» وهو المصطلح المستخدم الآن.

وبالرغم من هذه الاجراءات القانونية ، إلا أن الانقسامات والتفرقة التقليدية والتمييز بين الطوائف النقية والملوثة ما زالت موجودة ، الأمر الذى يجعل التحرر الكامل لتلك الطوائف أمرا يصعب تحقيقه.

هؤلاء البشر أنتجوا أدبا يتميز بالتمرد والرفض والشك لأنه مرتبط بحياتهم ، فهم يكتبون القصة والرواية والشعر ويصدرون الصحف ويعبرون فى كل ذلك عن معاناة تاريخية لم يتم استئصالها بعد. ولأدب المنبوذين فى الهند أصول قديمة، فهناك من النقاد من يرده إلى بوذا (القرن السادس قبل الميلاد) والمهاتما بولى (١٨٢٨-١٨٩٠) والبرفيسور اس. إم ماتى (١٨٨٦-١٩٥٧) ،وبالرغم من أن أولئك جميعا كانوا مهمومين بآلام ومحن الطوائف المنبوذة المسحوقة ، إلا أن التاريخ الحديث يؤكد أن رائد أدب المنبوذين (الداليت) هو الدكتور «أمبيدكار» الذى استفزت أفكاره الثورية منبوذى ولاية مهاشترا- مسقط رأسه- لكى يكتبوا ويعبروا عن أنفسهم ، وهكذا جاء أدبهم انعكاسا لذلك الوعى الجديد، وقد عقد المؤتمر الأدبى الأول للمنبوذين فى أكتوبر ١٩٥٨ ، إلا أن أحدا لم يلتفت إليه ، مما يؤكد قصدية تهميشهم ،وفى ستينيات القرن الماضى حدث تطور جديد عندما كتب أحد شعرائهم (ناريان سيرف) لأول مرة عن حقوق العمال الضائعة وصدرت صحف مثل« المجلة الصغيرة» و«الشاب الغاضب» ، وذاعت وانتشرت أعمال كتاب وشعراء مثل« آنابهاو ساتى» و«شانكارو كارات» وبدأت حركتهم تكتسب زخما جديدا بظهور المجموعة «القصصية عندما أخفيت طائفتى» للكاتب «بابو راو باجول» التى يعتبرها بعض النقاد

ملحمة المنبوذين ويضعها آخرون على قدم المساواة مع موسيقى الجاز لدى السود فى الولايات المتحدة، وقد علمت قصص «بابو راو» كتاب الداليت أن يعطوا شكلا خلاقا لمشاعرهم وتجاربهم.

وفى السبعينيات لقى أدب المنبوذين ودوره اهتماما نقديا كبيرا عندما بدأت مجموعة من النقاد الشبان يكتبون عنه فى دوريات مثل «أميتا دارشا»، وسرعان ما أدرك مبدعو المنبوذين أن الكتابة التحريضية ضد الظلم والاضطهاد لا تكفى ، فأسسوا حركة سياسية باسم« نمور الداليت» فى بومباى عام ١٩٧٢ كان كل قادتها من الكتاب ، وهكذا اجتاحت المشهد الثقافى موجة جديدة من الأدب المكتوب بلغة «الماراثى» وهى لغة هندو –آريه منتشرة فى وسط الهند، ويتحدث بها قرابة أربعين مليونا من البشر المنتشرين من شمال بومباى إلى الساحل الغربى عبر « جووا» وإلى الشرق عبر نهر «ديكان» ،كما أنها أصبحت فى عام ١٩٦٦ اللغة الرسمية لولاية مهاراشترا.

وشعر المنبوذين المكتوب بالمارثية صرخة ضد التهميش الاجتماعى والإذلال ، وهو احتجاج ورفض عنيف لكل شئ ، والقصائد المنشورة هنا مترجمة عن الانجليزية من « انطولوجيا شعر المنبوذين المكتوب بالماراثية» والصادرة بعنوان «الشمس الجديدة.. ممنوع الدخول» عن « أورينت لونجمان– لندن» (١٩٩٢) . أما محرر المختارات فهو «آرجون دانجل» وهو شاعر وقاص وناقد هندى من مواليد مومباى (١٩٤٥) وأحد مؤسسى نمور الداليت ، ورئيس حزب «باهاراتيا» الجمهورى فى ولاية مهاراشترا ، مركز الحركة الأدبية والسياسية للمنبوذين الداليت.

بيته

كان مولده هنا،

إلا أنه لم يشعر أبدا بأنه ينتمى إلى هنا

لم يخطر فى ثياب ملونة ، ولا بشعر طويل

وعندما كان الناس هنا

منشغلين ببناء البيوت العالية

وبيوت أكثر علوا،

كان هو يجلس فى الغابة وحيدا تحت شجرة

ويهمس فى هدوء للبحر الذى فى قلبه

عندما دخل المدينة خلسة

كان الناس ينظرون إليه ويتهامسون

كانت ضحكاتهم زجاجاً يتكسر



وكان بيته المبنى من الطين يبدو ضئيلا .. ضئيلا..
وسط بيوت المدينة الشاهقة
عندما دخله وأغلق بابه عليه
رأى جداره الخلفى يتلاشى
ورأى السماء كلها .. بعيونها الألف..
رآها تملأ أرجاء البيت

«أوتام كولجاو كار»

أغنية

عندما كان أبى يحمل الأحجار فوق رأسه
كان ملاحظ العمال يقول له دائما،
وهو يبرم شاربه:
هيا يا« كنسا» ، اسمعنا أغنية جميلة
وكان أبى يشدو بصوته المشروخ
وفى الأغنية كان قمر وشمس وزهور
وكانت أمواج نهر.. وكانت فتاة سكرى بالحب
وكانت الأكف المبللة بالعرق تصفق من حوله
وكان أبى سعيدا ، ممتنا
ولكنه كان عندما يعود إلى البيت
يغنى أغنية عن الخبز
تلك التى لم يكن يستطيع أن يشدو بها أبدا هناك

« بيمسن ديتى»

تلك الذراع الوحيدة

وأنا أقلب صفحات كتاب مصور
جاء ابنى« راجا» ينظر معى إلى الصور
فى واحدة منها ، كان رجل غنى يضرب رجلا فقيرا
سألنى« راجا» لماذا يضربه؟

قلت: لأنه غنى!
وعندما قلبت الصفحة
كان هناك الغنى فى الصورة وسلاحه بيمينه
يحاول أن يقتل به الفقير
نظرا «راجا» إلى الصورة وقال : لحظة يا أبى
وذهب إلى الطاولة وعاد بشفرة حادة،
وقطع يد الغنى من الكتف
ثم نظر إلى وهو يشعر بالانتصار
قلت: ولكنه لن يعدم من سيساعدونه
قال: لا! إن منظر هذه الذراع الوحيدة سيظل ماثلا أمامهم!

«تريامباك سنابكالى»

وطن محطم

هذا وطن محطم .. وطن من ألف قطعة!
مدنه ، أفكاره ، طوائفه ، ناسه ،
حتى عقول أبنائه ، الكل حطام ، الكل شظايا
فى هذا الوطن، كل الأيام مشتعلة!
لكى تحرق كل لحظة من حياتنا..
نعرف ذلك ، ونظل متشبثين بالحياة
بالحياة التى نرفضها
صرخاتنا يا أخى محاولة للكتابة،
كتابة سيرة هذا الوطن العادى،
وقلبه الحجر..
الناس فرحون بقوانينهم السوداء
وينكرون -حتى -أننا قد ولدنا فى الأصل
فلنرحل إلى بلد آخر
تجد فيه- وأنت حى- سقفا فوق رأسك

ونجد فيه –عندما تموت –مقبرة تأويك!.

«بانو راوجاكتاب»

بأى لغة أتكلم!

وهو يمضغ لحم قدم الخنزير فى البرية
كان جدى.. جدى المقيم أبدا بداخلى..
حاملا على ظهره تراث القهر والذل..
كان جدى يصرخ فىّ :
«تكلم مثلنا يا ابن الزانية»
وبشعره المدهون بالزيت ، والمعقود فوق رأسه
كان الكاهن الهندوسى يقول لى
وأنا أقرأ «الفيدا» المقدسة:
«أحسن استخدام اللغة أيها الأحمق!»
وأنا الآن أسألكم:
بأى لغة ينبغى أن أتكلم ؟!.

«آرون كامبلى»

بحث

أى طائر ..
ذلك الذى يشدو بأغنية الشجن
فى سكون الليل،
بينما يلف الظلام كوخى الصغير؟
لا أستطيع أن أتبعه لكى أجد صوتى،
فكيف السبيل إليه؟
هل من يدلنى على اسمه
أو على الغصن الذى يتخذ منه بيتا؟
أم تراكم كلكم غرباء مثلى!
هل فقدتم ضوءكم كما فقدته؟

فى بيتى بقايا دفء
لعلنى أمده ببعض منه
يشعل فى صوته بعض جذوة!

«و. كابور»

سماء بعين مغمضة

مثل فنان فقد أصالته
فقدت السماء بصيرتها
فهى لن تعترف بوجود تكوين جميل،
ولا بقوس قزح يظهر فجأة،
ولا بنسر محلق
ولابشروق الشمس أو غروبها
السماء لا ترسل مطرا
ولا تلد رعدا ولا برقا ،
سماء عاجزة عن حمل نفسها !
السماء ! من ذا الذى كفنها بالسحب البيضاء؟!
السماء ! من ذا الذى وضعها فى التابوت؟!

«براكاش كارات»

هذا ما أعلنوه بالأمس!

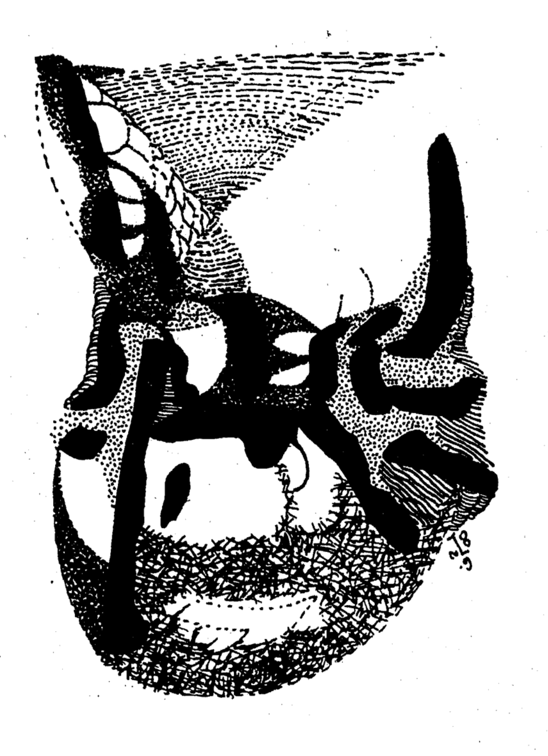
عندما كنا نشم نسيم الجنة،
وصلوا إلى هنا ليدفنوا أقدامنا فى التراب..
سرقوا عبير الزهور.. وأقاموا القصور المنيفة
وعندما أمطرت السماء .. امتصوا الماء الصافى
فارتفعت طبقة أخرى من التراب
على أرجلنا العارية،
وفى هذه التربة الجديدة ، أنبتوا زهورا جديدة..
مختلفة الرائحة .. مختلفة الألوان..

ثم أجروا تجارب عدة ،
وعندما كانوا يقطفون الزهور الجديدة
كانوا يقطفون أرجلنا معها،
ثم نشروا الألوان نفسها
وبالزهور نفسها زينوا مركباتهم
واحتفوا بحروبهم
وعندما توقفت الأمطار ..كانت المركبات أسيرة
ولم تكن هناك أكفان
حفر قائدهم مقابرنا بمحراث
وعادوا لينبتوا الصبار
ثم أعلنوا بالأمس أنهم سوف يحررون أقدامنا،
وسوف يقدمون لنا شربة ماء!

«زوجون كامبلى»

أولد أو لا أولد!

قلت كثيرا يا أمى:
إن آلام الطلق كانت طويلة عند ولادتى
والسبب يا أمى .. سبب الطلق الطويل،
هو أننى –وأنا فى رحمك–
كنت أتساءل : هل أريد أن أولد حقا؟.
هل أريد أن أولد فى هذه البلاد
حيث كل الطرق ممتدة أفقية،
ولكنها موصدة فى وجهى؟
عيناك على السماء وأنت راقدة..
تغمضينهما فى هدوء وتقولين : نعم!
للسماء ما يرفعها!
جسدك مغطى بسنوات العون،
ورأسك على وسادة الحاجة،



كان الليل للنوم. والنهار للجوع
والسيدان خاويتان مضمومتان إلى صدرك!
هنا..
ليس من المفترض أن تقولى ..
إن كل كائن حى نتيجة التقاء رجل بامرأة،
هنا..
لا يجرؤ أحد على توسيع الممر المطروق
تدورين كنت حول نفسك
وتقولين: نعم! الأرض كروية
أمى.. هذه بلادك تفيض بالماء
الأنهار تفيض عن شطآنها،
والبحيرات تطفح
وأنت واحدة من جنس البشر،
عليك أن تطفحى الدم من أجل شربة ماء،
إننى أبصق على هذه المدينة،
على هذه الحضارة
هل هذه بلادك يا أمى لأنك ولدت هنا؟
هل هذه بلادى يا أمى لأننى ولدت هنا؟
هل لزامٌ على أن أقول إنها بلادى ؟ أن أغنى مجدها؟
معذرة يا أمى..
لابد من الاعتراف بأننى كنت أتساءل.
كنت أتساءل..
هل كان لابد من أن أولد فى هذه البلاد؟.

السور

حصلت مؤخرا على عقد عمل.
سأقوم بهدم أسوار البنايات ،
الأسوار ليست للبنايات فقط،

للقرى أسوار

وللدول أسوار

قامت بسببها حروب عاتية

وأنا الآن ، أقوم –مؤقتا –بهدم الأسوار

الأسوار فقط،

لا أعرف كم مضى من القرون

وكم قضى من الأجيال

على هذه الأسوار التى رفعها الأجداد،

لكى تبقى قوية ، صلبة،

هل كان ثمة حاجة لكى تكون هكذا،

لحماية البشر ؟

كثيرون رفعوا أيديهم ضدها

وبعض الأيدى نزف الدم

بينما نجحت أيد أخرى فى أن ترفع أعلامها فوقها،

بالأمس ، وأنا أقرأ التاريخ

اكتشفت أن عينى مدفونتان فى الأسوار

وأن حواسى مسجاة خرساء فيها.

ساكنة بلا حراك

وعندما تساءلت

عرفت أن الأسوار نفسها خدرتهم بالأفيون

ولذلك ، ربما أرى الآن المكائد والمؤامرات..

مجمدة فى تلك الأسوار،

ماذا يقول المرء لأولئك المدفونين فيها

عبيد العصر،

لابد من هدم الأسوار..

سأقوم بذلك، وسأكون لهم دليلا،

ولذلك ، قبلت هذا العمل،

وأعرف أنه لن يتم بسرعة،



وأنا لا أريد أن أنتهى منه بسرعة
وأنا لا أريد أن أنتهى منه بسرعة
وبعد إزالة هذه الأسوار،
ستكون بيوت جديدة
مريحة وفسيحة،
أولئك الذين يحبون الأماكن الفسيحة للركض
هم الذين ينبغى أن يعيشوا فيها،
أو.. فليموتوا ،
سأقيم صلاة تذكارية .. وأنتهى من هدمها!!

«د. س. دود الكار».

كشاف أدب و نقد

لعام٢٠٠٣

إعداد: مصطفى عبادة

الابواب الثابتة

أ- أول الكتابة. ، المحررة، فريدة النقاش، ١٢عدداً ، بدءاً من العدد، ٢٠٩ إلى العدد ٢٢٠ . من يناير ٢٠٠٣ إلى ديسمبر ٢٠٠٣.

ب الديوان الصغير

١- يقين العزلة ، شعر، وديع سعادة ، اختيار وتقديم : عيد عبد الحليم ، العدد ٢٩-يناير.

٢- كل الدوائر أصغر من أقدامي، شعر : بروين شاكر ، ترجمة وتقديم: د. إبراهيم محمد إبراهيم -العدد ٢١٠ فبراير.

٣- إبراهيم ناجي .. الطائر الجريح : إعداد ،عيد عبد الحليم ، تقديم: حلمي سالم، العدد ٢١١ ، مارس.

٤- أنوار محمد عفيفي وضحكاته : تأليف : محمد عفيفي ، العدد ٢١٢ ، أبريل.

٥-في العنف : تأليف : فرانز فانون . إعداد وتقديم ، عبد الحميد البرنس ، العدد ٢١٣ -مايو.

٦- نسبح نحو مدخل البحر : شعر كاميليا بول إيده ، ترجمة وتقديم: وليد الكبيسي- العدد ٢١٤ -يونيه . .

٧- بدر الديب .معمار الرؤية : إعداد وتقديم : كريم عبد السلام-العدد ٢١٥ -يوليو.

٨- مستجاب المتابط شراً وإبداعاً : إعداد وتقديم : طلعت الشايب -العدد ٢١٦ -اغسطس.

٩- الوطن.. مسرحية -تأليف عبد الله النديم -تقديم -جرجس شكرى-العدد ٢١٧ -سبتمبر.

١٠- إله الأشياء الصغيرة : تأليف : أرونداتي روى.. ترجمة طاهر البربرى -العدد ٢١٨ -أكتوبر.

١١- ذات صباح مشرق- مسرحية .. تأليف : سيرافين وجاكوين كونتيرو-العدد ٢١٩ -نوفمبر.

١٢- بديع خيرى: الزجل، المسرح، الثورة، إعداد وتقديم : نبيل بهجت -العدد ٢٢٠ -ديسمبر.

ج- الصفحة الأخيرة . . رأى

١- الشئ لزوم الشئ : على عوض الله كرار -العدد ٢٠٩ ، يناير .

٢- لعبة الكراسي الموسيقية ، على عوض الله كرار -العدد ٢١٠ -فبراير.

٣- بواقي البشر.. بواقي البشر : على عوض الله كرار -العدد ٢١١، مارس.

٤- عبقرية العوام: على عوض الله كرار- العدد ٢١٢ ، أبريل.

٥-في النهاية أيضا ستكون الكلمات: على عوض الله كرار-العدد ٢١٣ -مايو.

٦– الميكانو والبازيل: على عوض الله كرار–العدد ٢١٤ –يونيه.

٧– إلى أى لاشئ أندفع : على عوض الله كرار– العدد ٢١٥ يوليو.

٨–مذكرات عصفور عجوز جداً : يحيى الطاهر عبد الله –العدد ٢١٦ –أغسطس.

٩–جراب الأجوبة متخم بالأسئلة : على عوض الله كرار– العدد٢١٧–سبتمبر.

١٠– الفساد فى الجامعات : د. عبد العظيم أنيس– العدد ٢١٨ –أكتوبر .

١١– دمياط: نجوى شعبان –العدد ٢١٩ –نوفمبر

١٢– الشهاوى والأزهر: حلمى سالم –العدد ٢٢٠ –ديسمبر.

د– الكتب ، متابعات ، إعداد أحمد الشريف

العدد ٢٠٩ –٢١١ –٢١٢ مارس–٢١٢ أبريل– ٢١٣ ، مايو ، ٢١٥ يوليو –٢١٦ أغسطس،٢١٨ أكتوبر.

هـ– ندوة أدب ونقد

* ظل العائلة .. لغة الحنين –متابعة : صفاء النجار– العدد ٢١٠ –فبراير.
* المكروب .. أوراق المكان والألم– متابعة: نجوى على –العدد ٢١٠ –فبراير.
* فى غرب النيل .. الحياة تشرق من الغرب –متابعة: صفاء النجار –العدد ٢١١ –مارس.
* زى ما أكون بتكلم جد– متابعة–نجوى على –العدد ٢١١ –مارس
* حدائق النساء .. فى نقد الأصولية –متابعة :صفاء النجار –العدد ٢١٣ –مايو.
* خليل عبد الكريم والإسلام النقدى–متابعة :عيد عبد الحليم –العدد ٢١٥ –يوليو.
* حكايات الأرض–متابعة :عيد عبد الحليم –العدد ٢١٨ –أكتوبر
* المقاومة بين سلطة المثقف وسلطة المؤسسة متابعة: عيد عبد الحليم العدد ٢١٨–أكتوبر.
* المغزول .فصل من آخر روايات عبد العزيز مشرى –العدد ٢١٤ يونية– التحرير.
* مسيرة شخصية لعبد العزيزمشرى –العدد ٢١٤ –يونية –التحرير
* باليه إيزيس وأوزوريس للشوان –العدد ٢١٨ أغسطس–التحرير.

–ببليوجرافيا عزيز الشوان –العدد ٢١٨ –أغسطس– التحرير .

ل– الشارع الثقافى :

متابعات ثقافية ، إعداد عيد عبد الحليم ، فى الاعداد ٢١٤ ، ٢١٥ ، يوليو –٢١٦ أغسطس– ٢١٩ ، نوفمبر.

أ

الأمير العسيرى : الشوارع . شعر –العدد ٢١٨– أكتوبر.

أبو بكر العيادى : فى وضح النهار.. قصة لقسطنطين كفافى– ترجمة، ضمن ملف عن الاسكندرية–العدد ٢١٠ فبراير.

أبو الحسن سلام: محكمة العدل بين توفيق الحكيم وبهرام بيضانى– ملف عن الأدب فى الشرق –العدد ٢١٠ فبراير.

–التجريب فى النص المسرحى–دراسة–العدد ٢١٥ –يوليو.

إبراهيم العشرى : الجهر بالسوء فى مصر– وجهة نظر ، العدد ٢١٤ –يونيهة

–عصر التحرر الوطنى بين التراب والوردة–اشتباك ، العدد ٢١٨ أكتوبر.

إبراهيم داوود: مستقبل المزاج فى مصر ، جر شكل– العدد ٢١١ ، مارس.

أحمد أبو خنيجر : شهادة روائية– العدد ٢٢٠– ديسمبر.

أحمد الدويحى: مشرى .. تلويحه ليست أخيرة–شهادة –العدد ٢١٤ –يونية.

أحمد السعدنى :قصيدتان –شعر ، العدد ٢٠٩ ، يناير.

أحمد الشريف ، حياته أحسن قصة ، مقال عن محمد صدقى–العدد ٢١١ ، مارس.

عبد العظيم ناجى .. زمن القرنفل –إعداد وتقديم لملف عن عبد العظيم ناجى –العدد ٢١٥ –يوليو.

–وردة الرمال –نقد –العدد ٢١٥ –يوليو.

–**عزيز الشوان** .. فدائية الموسيقى ومصرتيه ..إعداد وتقديم لملف عن الشوان –العدد ٢١٦ –أغسطس.

–السيطرة الذكورية –ملف –العدد ٢١٧ –سبتمبر.

–تخوم عشق الحياة والموت –نقد– العدد ٢١٨ أكتوبر.

–رجلان فى العالم .. شاهد عيان –ضمن ملف عن صنع الله ابراهيم –العدد ٢١٩ –نوفمبر.

–هذا القاص، تقديم لقصص نائل الطوخى–العدد ٢١١ مارس.

–معرض الكتاب يا معرض الكتاب ، متابعة العدد ٢١١.

–حالم بفلسطين ، نقد –العدد ٢١٢ ، لبريل.

–الكاميرا والحكى .. نقد ..العدد ٢١٤ –يونيه.

–**أحمد الصعيدى** : الحق يا رب–شعر–العدد ٢١٧ –سبتمبر.

–**أحمد القاضى** : معطيات الإسلام فى الفكر السيخى–رؤية –العدد ٢١٥ –يوليو.

-**أحمد حسو** : نصر حامد أبو زيد وتأويل القرآن -حوار -العدد ٢١١ -مارس.

-**أحمد زايد** : الثقافة والقوة فى فكر بيربورديو-العدد ٢١٧ -سبتمبر.

-**أحمد ضحية** : الأنشودة الريفية الأخيرة- قصة- العدد ٢١٨ -أكتوبر.

-**أحمد عمر شاهين** : الأغنياء وسيدهم ، قصيدة لألن جنسبرج -ترجمة -العدد ٢١٢ -أبريل.

-**أحمد فضل شبلول** : أسئلة من دار الحكمة- شعر -العدد ٢١٩ -نوفمبر.

-**أحمد فؤاد نجم**: اسكندرية -شعر- العدد ٢١٠ -فبراير.

-**أحمد مرسى** : أمريكا ، شعر مترجم من ألن جنسبرج -ترجمة -العدد ٢١٣-مايو.

-**إدوارد الخراط** -دقات الأجراس لا تصمت -قصة- العدد ٢٠٩- يناير.

-كوميونة فى ملوى-قصة -العدد ٢١١ -مارس.

-**إدوارد سعيد**: الاستشراق مجدداً-دراسة- العدد ٢١٩ -نوفمبر.

-**أسامة فتح الباب**: القصة النسائية فى إيران .. مختارات من مريم جمشيرى-ترجمة وتقديم- العدد ٢١٠ فبراير.

-**أسامة منزلجى**: فساد المصير.. مقتطفات من هيسه-ترجمة -العدد ٢١٣ -مايو.

-**إسلام الشيخ**: الضرب فى العراق -شعر -العدد ٢١٣ -مايو.

-**إسماعيل صبرى عبد الله** : دعوة لنهضة عربية ثانية دراسة- العدد ٢١٦-أغسطس.

-**أشرف السركى** : فتحى زين العابدين .. سلام عليك -موسيقى -العدد ٢١٣ -مايو.

-**أشرف عبد الوهاب**: نظرية رأس المال الثقافى -دراسة -العدد ٢١٧ سبتمبر.

-**أمل دنقل**: لا تصالح : شعر -العدد ٢١٣، مايو

-**أنا مارى شيمل**: غالب سيد شعراء الأردية- دراسة-العدد ٢١٤ يونيه.

-**انتصار بدر**: الشخصية المسيحية فى رحلتها على الشاشة الفضية- سينما-العدد ٢١٠-فبراير.

أيمن بكر: مفكر الرقص على السلالم-رأى-العدد ٢١٨-أكتوبر.

-من كلماته الأخيرة.. عن إداورد سعيد- العدد ٢١٩-نوفمبر.

ب

-**بروين حبيب**- الجنس اجتماعياً وثقافياً-مداخلة-العدد ٢١٧ سبتمبر.



-**تهانى عمرو** : قمة السلم-قصة-العدد ٢١٥-يوليو.



-**جرجس شكرى** : معنى المأساة-شعر-العدد ٢١٤-يونيه.

-من آداب سويسرا الأربعة- قراءة-العدد ٢١٥-يوليو.

-بريشت وجاليلو فى زمن الطوفان -مسرح -العدد ٢١٦ -أغسطس.
-من هو الوطن- رأى-العدد ٢١٧ -سبتمبر.
-سقوط الأقنعة فى التجريبى -مسرح -العدد ٢١٨ أكتوبر.
-ضمير الكاتب .. شاهد عيان -ضمن ملف عن صنع الله إبراهيم -العدد ٢١٩ نوفمبر.
-غياب السينما فى مهرجان القاهرة السينمائى-سينما -متابعة-العدد ٢١٩ نوفمبر.
-**جميل عطية إبراهيم** : الرواية المدينة أم الرواية القرية- شهادة- العدد ٢٢٠ -ديسمبر.
-**جيرنش كنترمان**: لنمارس الحب لا الحرب - مقال -العدد ٢١٣ -مايو.
-**حامد عمار**: إعلان الضمير.. هذا لا يتم باسمنا - ترجمة لخطاب المثقفين الأمريكيين ضد الحرب- العدد ٢١٣-مايو.

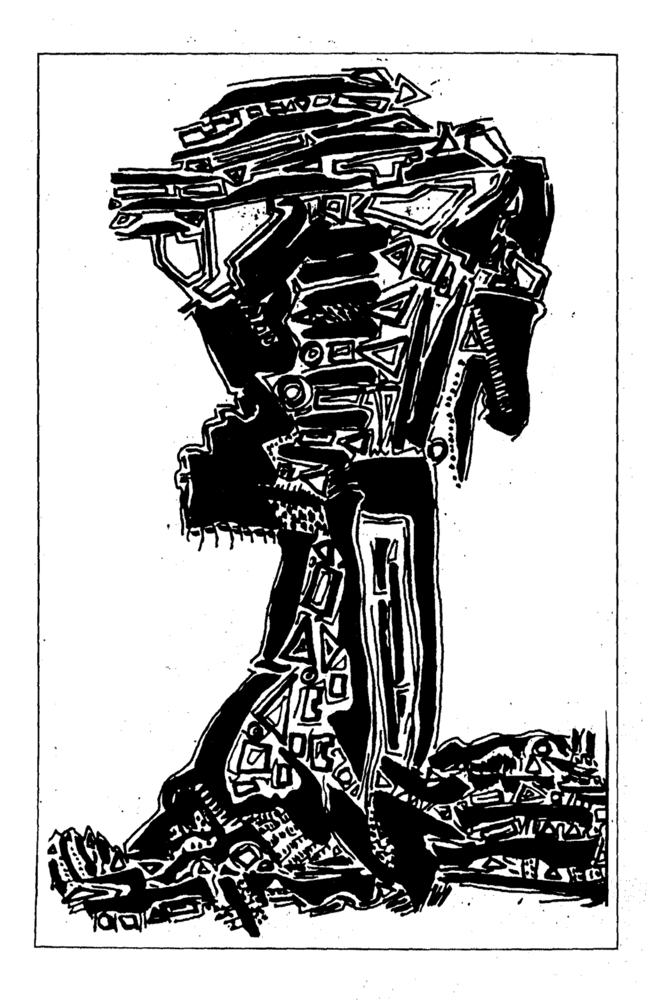
ح

-**حسن داوود**: عن حب متأخر لبيروت : شهادة روائية- ٢٢٠ -ديسمبر.
-**حسن شهاب الدين** : على غير عادته- شعر- العدد ٢١٩ -نوفمبر.
-**حسن مشالى**: ثلاث قصص قصيرة -قصة -العدد ٢١٦ -أغسطس.
-**حلمى التونى** : آخر ما كتب، مقال عن محمد عفيفى -العدد ٢١٢ -أبريل.
-**حلمى سالم** -فاطمة ناعوت فى ديوانين -قوس قزح-العدد ٢٠٩ -يناير.
-الشعر يخرج من القصص ، قوس قزح-العدد ٢١١-مارس.
-جماهيرية أمل دنقل ، قوس قزح -العدد ٢١٣-مايو.
-**حمدى عبد العزيز**: بتاريخ الولد الامبابى-شعر- العدد-٢٠٩ -يناير.
-**حنان أبو المجد**- الملامح المميزة لأسلوب عزيز الشوان-دراسة- العدد ٢١٦ -أغسطس.
-**حنان سعيد**: ثلاثة أطوار للوردة- قصة- العدد ٢١٥ -يوليو.

-**درويش الحلوجى** : نقد الليبرالية الجديدة- دراسة- العدد ٢١٧ -سبتمبر.

ر

-**ربيع الديب**: هيجل والمطلق الفلسفى-دراسة-العدد ٢١٢-أبريل.
-**رجاء النقاش** : موليير مصر فى الجزيرة المهجورة، مقال عن محمد عفيفى-العدد ٢١٢ -أبريل.
-**رشا لوم**: البناء اللحنى والصياغة: ضمن ملف عن عزيز الشوان- العدد٢١٦-أغسطس.
-**رفقى بدوى** : الكاتب .. الموقف -شهادة عن محمد صدقى-العدد ٢١١-مارس.
-**رفعت السعيد** : ملاحظات أولية حول المادية التاريخية- فكر -العدد ٢٢٠ -ديسمبر.
-**رقية الشبراوى** : القصة النسائية فى إيران .. مختارات من مريم جمشيدى .. ترجمة وتقديم



-العدد ٢١٠ -فبراير.

-رنا حايك: مشهد ليلى -قصة-العدد ٢١٣ -مايو.

ز

-زياد أبو لبن : النقاد تجاهلوا الرافعى -رأى- العدد ٢٠٩ -يناير.

س

-سامى الغباشى: ٢٠ مارس .. الميدان مرة أخرى-شعر- العدد ٢١٤ -يونيه.

-سامح الموجى : محمود أمين العالم وثنائيات الفكر العربى-دراسة -العدد ٢٠٩ -يناير.

-موقف محمود أمين العالم من الأيديولوجيا -دراسة -العدد ٢١٣ -مايو.

-قراءة النقد الأدبى عند جابر عصفور -رأى العدد ٢١٥-يوليو.

-سعيد بكر: الرقص على شفا الهاوية -قصة -العدد ٢١٩ -نوفمبر.

-سعاد عبد الله : إبراهيم ناجى نافذة على الحياة -رأى-العدد ٢١١ -مارس.

-سعدى يوسف : بانتظار البرابرة - قصيدة كافافيس-ترجمة العدد ٢١٢ -أبريل.

-سليمان شفيق: لاهوت الفقراء.. تحرير الدين-ندوة-العدد ٢١٦-أغسطس.

-سمير أبو الفتوح : جمبل الأبله، قصة لاسحق باشيفس سنجر-ترجمة -العدد ٢١٦ -أغسطس.

-سمير الأمير : يوسف -شعر -العدد ٢١٤ -يونيه- الروح الإنسانية للاشتراكية-دراسة لأوسكار وايلد- ترجمة -العدد ٢١٥-يوليو.

-سمير أمين : القومية والأمة -دراسة -العدد ٢٢٠ -ديسمبر.

-سمير حجازى : الغموض فى نصوص النقد العربى الجديد-دراسة -العدد ٢١٣ -مايو.

-إشكالات المصطلح الغربى فى نقدنا الحديث- دراسة- العدد ٢١٤-يونيه.

-إشكاليات تعدد معنى المصطلح-دراسة -العدد ٢١٥ -يوليو.

-سمحة الخولى: الشوان فى ذكرى رحيله العشرين- شهادة عن الشوان-العدد ٢١٦-أغسطس.

-سمية رمضان : حروف الوطن- ضمن ملف عن الوطن-العدد ٢١٧-سبتمبر.

-سيد إسماعيل ضيف الله: الإسلام والديمقراطية -ندوة العدد ٢٠٩-يناير.

ش

-شاهنده مقلد: الهروب إلى المقاومة -شهادة-العدد ٢١٨ أكتوبر.

-شيرين أبو النجا: أوطان /هن/ ضمن ملف عن الوطن-العدد ٢١٧ سبتمبر.

ص

-**صادق جلال العظم** : الاستشراق معكوسا-دراسة -العدد ٢١٩ -نوفمبر.

-**صفاء النجار**: إبرة مكسورة -قصة -العدد ٢١٢ -أبريل.

-**صلاح السروى** : زمن التحول والتعدد .. زمن الرواية -رؤية -العدد ٢١٥ -يوليو.

-**صلاح اللقانى** : بانت وفاء -شعر العدد ٢١٢ -أبريل.

-**صلاح عيسى** -هذا الحب القاسى الذى لا يطاق -مقال-العدد ٢١٧ سبتمبر.

-عن الفلاحين وأحلام الشعب -مقال العدد ٢١٨ أكتوبر.

ط

-**طلعت الشايب** : المساخرخانة -إعداد وتقديم -العدد ٢٢٠ -ديسمبر.

ع

-**عاطف أحمد**: الإمامة والسياسة .. تاريخية الوحى ولا تاريخية الرؤية -كتاب العدد -العدد ٢١١ -مارس.

-تحديات العقل العربى -مساحة فكر -العدد ٢١٣ -مايو.

-المادية التاريخية .. إعادة البناء -مساحة فكر- العدد ٢١٤ -يونيه.

-المادية التاريخية إعادة البناء .. التوتر فى الفكر الماركسى -مساحة فكر- العدد ٢١٥ -يوليو.

-المادية التاريخية .. إعادة البناء .. كيف تحولت الماركسية إلى دوجما -مساحة فكر-العدد ٢١٦-أغسطس.

-المادة الجدلية .. نقد من الدخل -مساحة فكر-العدد ٢١٨ أكتوبر.

-الماركسية نظرية فى الممارسة الاجتماعية مساحة فكر -العدد ٢١٩ -نوفمبر.

-نقد لارين .حول إعادة بناء الماركسية -مساحة فكر- العدد ٢٢٠ -ديسمبر.

-**عارف البرديسى** : أبانا الذى قادنا للرحيل-شعر-العدد ٢١٨ -أكتوبر.

-**عاطف سليمان** : سبل الصيف- قصة -العدد ٢٠٩ -يناير.

-فى التقول على الأخطاء المطبعية -رسالة العدد-٢١٩-نوفمبر.

-**عادل ضرغام**: فقد الآخر للحفاظ على الأنا -نقد -العدد ٢١٩ -نوفمبر.

-**عايدة لطفى** : التصوير بالسلاح-نص لجان لوك بينو ريجليو -ترجمة -العدد ٢١٤ -يونيه.

-**عبد الحميد البرنس**: الطيب الصالح .. الهجوم على الأدب المفارق- مقال-العدد ٢٠٩ -يناير.

-**عبد العزيز السيد** : فلنشارك بمظاهرة ضد الحرب، ترجمة لمقال تشن ين -العدد ٢١٣

-مايو.

-**عبد الوهاب الشيخ** : قصائد من جوته -ترجمة -العدد ٢٠٩ -يناير.

-بنات آوى وعرب- قصة لكافكا- ترجمة العدد ٢١١ -مارس.

-**جراهام جرين** .. أربعون عاماً من الرقابة -متابعة -العدد ٢١١ -مارس.

-الحرب الخاسرة-مقال لعاموس عوز -ترجمة العدد ٢١٣-مايو.

-قصيدتان : شعر -العدد ٢١٥ -يوليو.

-**عبد الستار حتيتة** : ليلة بالألوان -قصة -العدد ٢١٠ -فبراير.

-**عبد الحسين شعبان** : هادى العلوى .. المثقف الكونى وأدب الحب- دراسة- العدد ٢١١-مارس.

-أنا مارى شيمل والتصوف الشرقى -تحية -العدد ٢١١ -مارس.

-**عبد الفتاح عبد الرحمن الجمل**: ثلاث قصص قصيرة- قصة- العدد ٢١٤ -يونيه.

-**عبد المنعم عواد يوسف** : ويقتل أبناءه الشعر ، شهادة العدد ٢١٣-مايو.

-**عبد الرحمن مجيد الربيعى** : محاولة لتأشير حضور المدينة- شهادة روائية -العدد ٢٢٠ -ديسمبر.

-**عبد الله محمد حسين** : بطل ليس من هذا الزمان -شهادة عن عبد العزيز مشرى-العدد ٢١٤-يونيه.

-**عبد السلام نور الدين**- ابن رشد مفكر من طراز فريد رواد التنوير- العدد ٢١٣-مايو.

-**عبد الرحيم يوسف** : محاورات أمشير -شعر-العدد ٢١٢ -أبريل.

-**عبد الله هاشم**: اسكندرية نجيب محفوظ -ضمن ملف من الاسكندرية -العدد ٢١٠ -فبراير.

-**عبده وازن**: بلوغ القمة.. شعر هافيا نابيدايا -ترجمة العدد ٢١٣-مايو.

-**عذاب الركابى** : فى نبوءات الطوفان.. الوعى بالزمن نقد- العدد ٢١٢ -أبريل.

-**عربى كمال**: تجليات لوجوه مستحيلة- شعر- العدد ٢١٩ -نوفمبر.

-**عزمى بشارة** : التحول الديمقراطى والتدين الجماهيرى -دراسة -العدد ٢٠٩ -يناير.

-**عزيزة فتح الله**: وشم الذاكرة-شهادة عن عبد العزيز مشرى- العدد ٢١٤ -يونيه.

-**عصمت داوستاشى** : أسطورة الأخوين وانلى- ملف عن الاسكندرية -العدد ٢١٠ -فبراير.

-**سيف وانلى** يرسم حياة فان جوخ -ضمن ملف عن الاسكندرية -العدد ٢١٠ -فبراير.

-**على الراعى** : سحر محمد عفيفى الذى لا يقاوم -مقال -العدد ٢١٢ -أبريل.

-**على عوض الله كرار** : أمريكيون ضد أمريكا ، تقديم للف العدد ٢١٣ -مايو.

-الهتاف.. و.. ضمن ملف عن الحرب على العراق- العدد ٢١٣ -مايو.

-فى السينما فلاحون ومتفرجون -سينما-العدد ٢١٨-أكتوبر.

-سهر الليالى ما تبقى من إنسانية الإنسان سينما- العدد ٢١٩ -نوفمبر.

-**على عثمان** : أوركسترا الأنامل المبصرة -موسيقى-العدد ٢١٩ -نوفمبر.

-**على مبروك** : ديمقراطية الإطلاق والإقصاء -مقال -العدد ٢٠٩ -يناير.

-بيانات الخلاص والأمل من بونابرت إلى باول -اشتباك -العدد ٢١٠ -فبراير.

-**عيد عبد الحليم** : محمد صدقى .. الكاتب والموقف ،إعداد العدد-٢١١ ،مارس.

-**محمد صدقى** : جئت لأختصم مع العالم ، حوار العدد٢١١، مارس.

-سوق للسى دى ،ومشايخ الكاسيت -متابعة لمعرض الكتاب-متابعة العدد ٢١١ -مارس.

-يعنى إيه كلمة وطن -تحقيق العدد ٢١٧ سبتمبر.

-أدهم الشرقاوى فى الوعى الشعبى -تحقيق -العدد ٢١٨ أكتوبر.

-شرف صنع الله إبراهيم -شاهد عيان العدد ٢١٩ -نوفمبر.

-**عونى عبد الرؤوف**: أنا مارى شيمل ، تحية -العدد ٢١٣ -مايو.

غ

-**غادة نبيل**: أمريكا والشرق الأوسط صراع أم حوار؟ ترجمة- العدد ٢١٠ -فبراير.

-الصفاقة التى سيرد عليها المستقبل ، فى الرد على خطاب كولن باول حول الديمقراطية اشتباك- العدد ٢١٠ -فبراير.

-ليس فى نعى بغداد- رؤية -العدد ٢١٤ -يونيه.

-الخروج من عدن: شهادة روائية -العدد ٢٢٠ -ديسمبر.

ف

-**فاطمة ناعوت**: العمياء -شعر- العدد ٢٠٩ -يناير.

-**فتحى سيد فرج**: مكتبة الاسكندرية الأمس واليوم وغداً -ملف عن الاسكندرية -العدد ٢١٠ -فبراير.

-**فخرى لبيب** : اختراق -قصة -العدد ٢١٦ -أغسطس.

-**فيصل دراج** : العلم والدين والتصور التلفيقى-رأى-العدد ٢١٦-أغسطس.

ك

-**كمال عبد اللطيف** : سؤال العلمانية واقع وآفاق -دراسة- العدد ٢١٦ -أغسطس.

-سؤال العلمانية ومفارقاته -دراسة العدد ٢١٨-أكتوبر.

-**كوم كوم نارين**: العولمة الثقافية والخصوصية القومية -دراسة-العدد ٢١٥ -يوليو.

م

-**ماجد أبو غوش** : مراثى -شعر-العدد ٢١٩ -نوفمبر.

-**ماجدة سليمان**: التعبير الجسدى فى المسرح المعاصر- رسالة جامعية -متابعة -العدد ٢٠٩ -يناير.

-**ماهر الشريف** : العلمانية المؤمنة-دراسة-العدد ٢١٦-أغسطس.

-**محمد الباز**: الاسكندرانى التائه- ضمن ملف عن الاسكندرية- العدد ٢١٠ -فبراير.

-**محمد الحبش**: عمارة يعقوبيان .. نبوءة مبكرة عن حرب على وشك الاندلاع- نقد- العدد ٢٠٩ -يناير .

-الجهر بالسوء فى الزمن المعيارى أشد فتكاً- اشتباك -العدد ٢١٦ -أغسطس.

-**محمد الحمامصى** : حداد الجسد- شعر- العدد ٢١٩ -نوفمبر.

-**محمد القشعمى** : عبد العزيز مشرى.. حارس ذاكرة القرى-ملف، إعداد وتقديم : العدد ٢١٤-يونيه.

-دعه يستمتع بلحظة فرح- شهادة عن عبد العزين مشرى-العدد ٢١٤-يونيه.

-**محمد القيسى** : فصل النحيب -شعر -العدد ٢١٢-أبريل.

-**محمد بريرى** : عودة الروح وانكسارها -ضمن ملف عن الوطن- العدد ٢١٧ -سبتمبر.

-**محمد حافظ دياب**: الديمقراطية والدين.. مقاربة نظرية- دراسة- العدد ٢٠٩ -يناير.

-**محمد حسن إبراهيم**: المطفأة -قصة- العدد ٢١٢ -أبريل.

-**محمد جلاء إدريس** : المؤثرات العربية والإسلامية فى الأدب العبرى المعاصر، ملف ، العدد ٢١١-مارس.

-اليهودى العربى فى الرواية العبرية المعاصرة -دراسة -العدد ٢١٥ -يوليو.

-**محمد ديب**: هوية مفقودة -فصل من رواية العدد ٢١٧-سبتمبر.

-**محمد رجاء** : سهر لن ينتهى أبداً -سينما-العدد ٢١٦-أغسطس.

-**محمد رفيق خليل**: هويتنا الحضارية والعولمة-مقال-العدد ٢١٥-يوليو.

-**محمد زكى العشماوى** : العرب وعالمية الثقافة -مقال العدد ٢١٢ -أبريل.

-**محمد عبد الرحيم** : القتل كعقيدة -سينما-العدد ٢١٣ -مايو.

-**محمد عبد الشفيع عيسى** : الأمة العربية خصوصية التكوين واغتراب الأيديولوجيا -دراسة -العدد ٢٢٠ -ديسمبر.

-**محمد عبد العظيم** : الحادثة -قصة -العدد ٢١٤-يونيه.

-**محمد فتحى غريب** : الصورة / الكادر -شعر -العدد ٢١٧ سبتمبر.

-**محمد كمال-أحمد الجنايني**.. سريالية الشرق والأسطورة الشعبية- فن تشكيلى -العدد ٢٠٩ -يناير.

-**محمود السعدنى**: الساخر العظيم -مقال عن محمد عفيفى-العدد ٢١٢-أبريل.

-**محمود عبد الوهاب**: فردوس.. أرواح جرة وأحلام سجينة -نقد-العدد ٢١٩ -نوفمبر.

-**محمود محمد عبد العليم** : سعد بن عبادة والثورة المغدورة ،-رؤية العدد ٢١١ -مارس.

-**مجدى توفيق**: معنى هذه المدينة- معنى عن الاسكندرية العدد ٢١٠-فبراير.

-**مجدى عبد الحافظ** : بيير بورديو .. روح الجماعة ضد بؤس العالم ، ومدخل عن حياته وسيرته .. ملف إعداد وتقديم: العدد ٢١٧ سبتمبر .

-بين علم الاجتماع والفلسفة -دراسة العدد ٢١٧ سبتمبر.

-**مجاهد عبد المنعم مجاهد**: النزعة التدميرية -ترجمة من اريك فروم- العدد ٢١٣ -مايو.

-**مصطفى عباده** : كشاف أدب ونقد لعام ٢٠٠٢ -العدد ٢٠٩ -يناير.

-مأثرة فلاحى كوبا-ضمن ملف عن الفلاحين-العدد ٢١٨ أكتوبر.

-**مهدى عامل** : هل القلب للشرق والعقل للغرب؟ -دراسة العدد ٢١٩ نوفمبر.

ن

-**نائل الطوخى** : نصوص قصصية -قصة -العدد ٢١١ -مارس.

-**نبيل بهجت**: أحلام شقية وموسم الخلاص الإلهى مسرح- العدد ٢١٩ -نوفمبر.

-**نجيب محفوظ** : الحب والموت-مقال عن محمد عفيفى -مقال العدد-٢١٢ أبريل.

-**نجم والى**: الرواية والمدينة : شهادة -العدد ٢٢٠ -ديسمبر.

-**نجوى على** : نساء يركضن مع الذئاب -عرض كتاب -العدد ٢١٢ -أبريل.

-**نعمات أحمد فؤاد**: الأدب الساخر بين المازنى ومحمد عفيفى -مقال- العدد ٢١٢-أبريل.

هـ

-**هانى السعيد**: مختارات من غزليات ميرزا غالب-ترجمة وتقديم -العدد ٢١٤-يونيه.

-**هشام أبو جبل** : إلى نزار- شعر- العدد ٢١٨- أكتوبر.

-**هشام قاسم**: أفعال شريرة وأخرى خيرة-قصة-العدد ٢١٨-أكتوبر.

و

-**وديع أمين**: البيرونى .. نزاهة العالم وفساد السلطان -العدد ٢٠٩ -يناير.

-الكندى فيلسوف العرب ، رواد التنوير- العدد ٢١١ -مارس.

-الخوارزمى والأرقام العربية- صناع الحضارة العدد ٢١٦ -أغسطس.

-**يوسف وهبى** .. ضد سلطة التقليد-سيرة العدد ٢١٩ -نوفمبر.



-**وفاء بغدادى** : درج -شعر -العدد ٢٠٩ -يناير.

-**وليد الخشاب**: خمس قصائد لمى- شعر-العدد ٢١٠ -فبراير.

ى

-**ياسر عبد الحافظ**: مصر التى فى خاطرى -ضمن ملف عن الوطن- العدد ٢١٧ -سبتمبر.

-**ياسر محمد إبراهيم** : عفيفى ومحفوظ والسخرية ، مقال العدد ٢١٢ -أبريل.

-**يحيى حقى**: فراغة عين- سيرة -العدد ٢١٨ -أكتوبر.

-**يوسف القعيد**: القرية المصرية تكتب وصيتها شهادة-العدد ٢١٨-أكتوبر.

-**يوسف درويش**: أكثر من فيتنام واحدة -ترجمة لمقال آرنستوتشى جيفارا -العدد ٢١٣ -مايو.

-**يوسف معاطى** : يا عفيفى تعال- مقال عن محمد عفيفى -العدد ٢١٢ -أبريل.

ملتقى المسرح المستقل الأول

جرجس شكرى

ربما تكون الفرق المسرحية المستقلة هى النقطة المضيئة فى ثوب المسرح المصرى الذى صار بالياً ومهلهلاً ولا يكاد يستر عورة هذا المجتمع أو يطرح سؤاله بعد ما صار مسرح الدولة الذى يتم دعمه كل عام بما يزيد عن عشرين مليون جنيه دون جدوى، بل ويؤثر بالسلب على المسرح المصرى ،وفى المقابل تحاول الفرق المسرحية بامكانات مادية ضعيفة ولكن بقدرات فنية عالية، يحاول هؤلاء النحت فى الصخر لإنتاج عرض بعد طرق كل الأبواب وفى النهاية ربما يدفع هؤلاء من قوتهم لتقديم مسرحهم أو يبحثون عن دعم بعد طرق كل الأبواب ، فى الوقت الذى ترفض فيه وزارة الثقافة إقامة كيان مستقل لدعمهم ورعاية هذه المواهب وتصمم على دخولهم الحظيرة وتأبى أن تكون هناك كيانات مستقلة ، أو خروج عن نطاق هيمنتها ، ومع هذا تظل الفرق المسرحية المستقلة تدافع عن وجودها وتقدم عروضها.. كحالة فريدة فى الواقع المسرحى المصرى ونقطة مضيئة فى هذا الظلام وقد أختارت مكتبة الاسكندرية على غير المعتاد والسائد إقامة ملتقى مسرحى للفرق المستقلة الأجنبية والمصرية ، فى الفترة من ٢٨ ديسمبر ٢٠٠٣ إلى ٣ يناير ٢٠٠٤ وقد شارك فى هذا الملتقى ١٢ عرضاً من دول أوربية مختلفة تميزت أغلبها بأنها تنتمى للمسرح الراقص ،والغريب أن هذا الملتقى الذى استضاف ١٠٨ مسرحيات و١٢ فرقة ،حفل بالعديد من الأنشطة كانت تكلفته مائة وأربعة آلاف جنيه ، وهو مبلغ ضئيل إذا قورن بالمبالغ الطائلة التى تنفق فى المهرجانات الكبرى دون جدوى دون أن تقدم شيئا . وهذا دليل قاطع على أن من يرغب فى تقديم نشاط ثقافى جاد سوف يفعل بامكانات بسيطة ، وتميز هذا الملتقى بالبساطة والثراء والابتعاد عن البذخ الذى يميز مهرجانات وزارة الثقافة ، وبالاضافة إلى العروض المسرحية كانت هناك مجموعة من الورش المسرحية لشباب المسرح المستقل فى مجالات مختلفة حول الرقص المسرحى والارتجال والتمثيل التلقائى وأيضا ورشة عمل مهمة حول مسرح المقهورين الذى أسسه اجستو بوال ، بالإضافة إلى مائدة مستديرة حول طبيعة المسرح المستقل الواقع والمستقبل ، مما أضفى نوعاً من الثراء والجدية على هذا الملتقى الوليد فى عامه الأول.

وعن كيفية ميلاد هذا الملتقى يقول الكاتب والمخرج المسرحى محمود أبو دومة المدير الفنى

للملتقى الأول للفرق المستقلة ، إن الفكرة بدأت فى ديسمبر عام ٢٠٠٢ حين أقيم ملتقى محلى للفرق المستقلة المصرية ومن هنا بدأ التفكير فى تحويله إلى ملتقى دولى وفكرنا فى أوروبا وحوض البحر الأبيض المتوسط ، وقد تم اختيار العروض عن طريق السفر إلى مهرجانات للمسرح المستقل فى رومانيا وسلوفينيا لاختيار العروض الجيدة بالاضافة إلى مشاهدة مجموعة من العروض عن طريق شرائط الفيديو بعد الاتصال بالفرق المستقلة ، وقد تميزت عروض الملتقى بأنها تنتمى فى أغلبها للمسرح الراقص ويقول د. أبو دومة : إن الأمر ليس مقصوداً ولكن حاولنا كسر حاجز اللغة على اعتبار أن لغة الجسد لغة عالمية ويمكن التواصل معها ، وليس شرطاً أن يكون الملتقى فى دورته الثانية هكذا.

ولندخل إذن إلى العروض ومناقشة المسرح الراقص وطبيعته التى طرحت نفسها بقوة من خلال الملتقى من خلال مجموعة من الملامح أبرزتها العروض وأولها سؤال حول وضعية المسرح الراقص الآن.. حيث خرجت أغلب العروض بين الرقص المسرحى والحوار المنطوق فهل وصل هذا النوع إلى طريق مسدود وعاد مرة أخرى إلى الدراما الكلاسيكية ، وهل أصبح غير قادر على الصمود وحيدًا على خشبة المسرح والسؤال الثانى حول المسرح الراقص فى العالم الثالث وهو سؤال قديم وحديث فى آن واحد حين نقارن بين العروض المصرية والأوربية وأداء الراقصين لنعرف أن الرقص المسرحى الأوروبى جاء نتاج حضارى طبيعى ، فبعد أن تحرر العقل الأوروبى عبر نهضة حقيقية فى كل مفردات الحياة تحرر الجسد الذى هو محور الرقص المسرحى وهذا ما لم يحدث فى مصر أو العالم الثالث .. ، ... إذ تطرح العروض جميعها فكرة الأداء أى كيف يؤدى هذا الراقص أو هذه الراقصة على خشبة المسرح وربما تكون الموضوعات أو الأفكار متشابهة بل وفى جوهرها متطابقة ، تطرح ماهية الإنسان ..هذا المقهور أو المغلوب على أمره وفكرة وجوده فى الحياة فى صور مختلفة لكن جوهرها واحد ، لكن المشكلة فى الجسد الذى هو أداة التواصل بين خشبة المسرح والجمهور ، كيف يطرح الجسد السؤال على المتفرج من خلال التعبير الحركى .. ؟ ولنعرض لبعض نماذج من العروض التى تؤكد الأسئلة أو الملامح السابقة ففى العرض الإيطالى «سيرو» نحن أمام راقص وحيد على خشبة المسرح مع طاولة وبعض الموسيقى يؤدى بعض الرقصات حوله طاولته ثم يخرج قلبه ويلعب به كأنه فطيرة على الطاولة وعلى مدى عشرين دقيقة تستشعر احساسا مرهفا وينتهى العرض ويتساءل المتفرج فى النهاية ماذا حدث؟ أو ندخل إلى العرض اليونانى «تايد» لفرقة جريفون للرقص المسرحى ورغم كونها فرقة راقصة إلا أنها تمزج بين العناصر المسرحية المختلفة على خشبة المسرح بدءا من الديكور وإنتهاء بالحوار المسرحى الصريح فنحن أمام خشبة مسرح فى وسطها بوتاجاز وعلى اليسار ثلاجة وعلى اليمين غسالة وكرسى حمام وسوف يستخدم الراقصون هذه الأشياء بل وسوف يكون لها دور رئيسى فى العرض الذى يحمل أبعادا فلسفية للعالم الذى نعيشه من خلال بيت صغير يمثل أو يرمز لهذا العالم فى سياق يشبه حياة يومية لعائلة

،حيث ارتبطت الرقصات والتعبير الحركى بحركة الإنسان فى الحياة اليومية ،ويشعر المشاهد فى النهاية أنه أمام حياة صغيرة على خشبة المسرح يجسدها الفنانون.

ومن سلوفينيا عرض التحليق أو الفرار والذى يطرح دورة الحياة الإنسانية من خلال أربع رقصات ، الأولى الصراع ثم البهجة ثم العاطفة وأخيرا التحليق أو الفرار ، ويأتى بناء العرض بين مستويين الراقصة وامرأة أخرى تجلس فوق كرسى أثناء الرقصات وتؤدى دورها بين كل رقصة وأخرى ، وهناك ما يوحى بأن كلاهما امرأة واحدة أو أن الرقصات هى انعكاسات لحالة المرأة التى تجلس فوق الكرسى والتى تكشف بعد الرقصة الأولى عن كتاب بين يديها تنفض عنه الرمال وتقرأ بعض الأشعار منه وهى للشاعر الهندى طاغور حول الحب وأشياء صغيرة حميمية ، وسوف تذهب بعد الرقصة الثالثة «العاطفة» إلى الناحية الأخرى من المسرح لتحرق بعض الأوراق من كتابها وتشعل شمعة ، وعلى الرغم من إمكانات الراقصة واحساسها المتميز إلا أن السؤال الذى يطرح نفسه فى نهاية العرض ، ماذا يحدث وكيف تم طرح فكرة التحليق أو الفرار وبعد نهاية العرض يتم تقديم شريط فيديو للراقصة وكيفية تأدية إحدى رقصاتها.

وإذا انتقلنا إلى أحد العروض المصرية وهو «مازلت هنا» إخراج كريم التونسى تمثيل وأداء حمادة شوشة ، كريم التونسى ، أيمن قاسم ، مروة عبد المطلب، فسنرى أن العرض يطرح فكرة الغياب أو الفقد واللحظات التى أصبحت من الماضى ولكنها ما زالت باقية فى الحاضر وربما المستقبل أيضا ، إذ يبدأ العرض بالثلاثة ، أيمن ، حمادة ، كريم ،وهم فى وسط المسرح وحديث عن فقد الأم ثم يلى ذلك مجموعة من الرقصات ويمزج العرض بين عدة اتجاهات مسرحية بين الرقص ومشاهد بارودى وكلاسيكية غير أن السؤال هو إلى أى اتجاه ينتمى العرض الذى يقدم مجموعة من المشاهد غير المترابطة ، على الرغم من أهمية كريم التونسى فى مجال الرقص المسرحى وتقديمه لعروض جيدة من قبل.

ونأتى إلى عرض آخر لا ينتمى إلى الرقص المسرحى وهو من أفضل عروض المهرجان وهو القلعة لفرقة بيجماليون من بوخارست عن رواية القلعة لفرانز كافكا ، والعرض يضم ستة أشخاص ، أربعة شباب وفتاتين وأربع طاولات فقيرة ومجموعة مصابيح وغطاء كبيراً من القماش بالاضافة إلى ملاعق ، جردل ، طبق كبير ، تليفون ، وملابس مهلهلة مع الإضاءة الخافتة التى أضفت جوا أسطوريا رائعا على العرض وجاء الأداء الفذ من هؤلاء ليمحو عائق اللغة الرومانية بين الخشبة والجمهور الذى استمتع بالأداء الرائع لمجموعة من الممثلين استغلوا ووظفوا كل إمكانات الجسم البشرى فى التعبير عن أجواء كافكا السوداوية وتم طرحها فى أسلوب فلسفى ساخر.

وهناك تجربة أخرى لمسرحى سورى يعيش فى أسبانيا وهى دراما مرتجلة يرتجلها نمر سلون المؤلف والممثل والمخرج على خشبة المسرح ويشرك معه الجمهور ، أما آخر العروض وهو عرض الختام لفرقة «ماسكا» من سلوفنيا والذى طرح سؤالا مهما وهو الفرق بين الجسد الذى تحرر عقله والجسد المقهور.

خواطر كاتب متشائل

حسونه المصباحى
(تونس)

تساءلت حين تلقيت الدعوة لحضور الندوة المخصصة لـ « الرواية العربية والمدنية» : هل ثمة جدوى من المشاركة فيها ؟ وما الذى سأجنيه أن أنا فعلت ذلك ؟ والسؤالان مشروعان فى نظرى لأسباب عدة. منها أن الكاتب يكره أن ينتزع من وحدته ليؤخذ بعيداً عن الورقة البيضاء التى يحاول أن يخط عليها كل يوم مايدور بخاطره . وحين يعود هو يشعر أنه يحتاج إلى بضعة أيام إن لم يكن إلى أكثر من ذلك لكى يستعيد شهيته للكتابة والعمل . ثم انى حضرت العديد من الندوات على مدى العشرين سنة الماضية ومن أغلبها عدت بـ « خفى حنين» على حد تعبير العرب القدماء ، وماحصلت منها إلا على القليل من المتع هى غالبا ماتكون ثمرة لقاءات حميمة بأصدقاء أحبهم ، وهم يحبوننى على ما أظن غير أن الظروف العادية وغير العادية لاتسمح لنا بالجلوس الى بعضنا البعض إلا عندما ندعى إلى ندوة أو إلى مهرجان ثقافى . الأمر الآخر أصوات الروائيين الحقيقيين الذين تعلمت منهم الكثير كانوا دائما ينجزون أعمالهم فى صمت ، بعيدا عن الأضواء ، ومن دون أن يكونوا بحاجة إلى حضور الندوات المتعلقة بالرواية أو بغير الرواية . هكذا كان حال فلوبير وديستوفيسكى وتولستوى وجيمس جويس

وفولنر ومارسيل بروست وغومبروفيتش ونجيب محفوظ وغيرهم . ولا أخفى أننى أحيانا أسعر بالغبن حين أرى كتابا من نفس الجيل الذى انتمى إليه مثل الأمريكى بول أوستر والبرازيلى كويلهو والفرنسى هوالبيك تمكنوا بعد نشرهم رواية أو روايتين فى الحصول على مايضمن لهم الاستقلالية العادية ويتيح لهم العيش فى بيوت جميلة على سفوح الجبال أو على ضفاف البحر ليواصلوا عملهم بعيدا عن كل مايخدش السكينة التى بها ينعمون . أما أنا محكوم على أن أقوم بأعمال صحفية منهكة للجسد وللأعصاب كى أضمن لنفسى عيشا متواضعا للغاية.

نعم تمثل هذه الأسباب التى ذكرت تساءلت لماذا على أن أتحمل متاعب السفر ومشاقه لحضور مثل هذه الندوة . وأعتقد أن هناك آخرين مثلى طرحوا على أنفسهم ذات السؤال قبل أن يأتوا إلى القاهرة . فالكاتب العربى يعانى من اليتم ومن الاهمال ذلك أنه يشعر أنه كائن زائد عن اللزوم فى مجتمعات منصرفة عن القراءة انصراف يكاد يكون كليا ، مستمدة قوتها الثقافى من المسلسلات التليفزيونية الهزيلة ، ومن البرامج المبتذلة والسخيفة التى تعرضها الفضائيات العربية . مجتمعات جد غارقة فى التزمت والظلامية إلى درجة أنها ترفض رفضا قاطعا كل من يسعى إلى إشعال شمعة فى العتمة اللامتناهية ، فاذا ما أصر على ذلك ، أرسلت له من يرميه برصاصة فى الرأس ، أو يذبحه من الوريد إلى الوريد.وقد قرأ الكاتب العربى ذات مرة فى كتاب لحكيم قديم أن الكلمات لاتسقط أبدا فى الفراغ. لكن حين ينشر روايته ، هى لاتباع. فان بيعت فان الناشر يسرق حقوقه القليلة التى حصل عليها . وبالتالى هو لايجنى فى النهاية أية فائدة ولا أية سعادة سوى تلك التى تلامس شغاف القلب وهو يشاهد روايته معروضة فى واجهة إحدى المكتبات . وعند صدور الرواية ، هو يظل ينتظر من يهتم بها من النقاد . غير أن ذلك يطول . وأحيانا ينعدم الاهتمام بروايته انعداماً كليا خصوصا إذا لم يكن بارعاً فى فن المجاملات والعلاقات. فقط بين وقت وآخر يوقفه أحد القراء فى الشارع ليعبر له عن إعجابه بروايته . وعندئذ يشعر بالغبطة بل ويمكن أن يرى نفسه محلقا فى الفضاء مثل طائر الربيع من فرط الفرح أو السعادة . غير أن ذلك لن يستمر طويلا . فعند عودته إلى البيت يجد زوجته غاضبة لأن التلفزيون بات قديما يثير سخرية الجيران وامتعاضهم ، أو أنه لم يشتر لها الفستان الذى تريده لحضور عرس إحدى قريباتها . ولا كلمة واحدة عن روايته أو عن عمله ككاتب . وهكذا يأوى إلى الفراش بنفس مرة كالحنظل بعد أن بات متيقنا بأن مصير الكلمة العربية هو السقوط فى الفراغ المخيف.

لماذا يأتى الكاتب العربى إذن إلى الندوات ؟ ربما هو يفعل ذلك لأن حضورها والمشاركة فيها يمنحانه بفترة قصيرة وهم شرعية الوجود . وعلى مدى الأيام التى تستغرقها الندوة وفعالياتها هو يشعر بالأمان بين حشد كبير من الكتاب العرب القادمين من مختلف أنحاء العالم العربى ، فينطلق لسانه للتعبير عن هواجسه وهمومه ومتاعبه بل وبامكانه أحيانا أن يرفع صوته عاليا للخوض فى

المواضيع المحرمة فى بلاده وحتى فى البلد الذى استضافه ، وأن " يفرغ قلبه" كما يقول التونسيون من كل ما كان يعكر مزاجه ويؤذيه نفسيا وجسديا حتى ذلك الحين . لكن حالما تنتهى الندوة ، ينعقد لسانه ومن جديد يسقط فى هاوية واقعه المرير.

ثمة شئ آخر أريد أن أشير إليه وهو انى أحترز كثيرا من استكمال « رواية عربية » لاعتقادى بأن ذلك أمر خاطئ ومضلل . انه استعمال أيديولوجى وسياسى يحيلنا على الفكر القومى الديماغوجى ، ويبعدنا عن الفنّ الروائى فى مفهومه الصحيح . ورأيى انه ليس هناك رواية عربية واحدة ، بل روايات عربية تعكس التعدد الاجتماعى والجغرافى والسياسى والدينى والثقافى وحتى اللغوى فى العالم العربى ذلك أنه يتعين علينا ألا ننسى أن هناك بربراً يتكلمون الأمازيغية فى شمال أفريقيا وأقليات فى المشرق العربى تتكلم لغات أخرى غير اللغة العربية.

أن التعدد هو جوهر الرواية . ذاته كما يقول الناقد الروسى الكبير باختن . لذا يمكن القول أنها – أى الرواية – أحدثت ثورة جذرية فى الخطاب الانسانى ، وحررت النوايا والمقاصد الثقافية والعاطفية والانفعالية التى كانت خاضعة تدين إلى اللغة المركزية الواحدة . إذن فان الرواية كما يقول الكاتب المكسيكى كارلوس فيونتاس هى وسيلة حوار فى المعنى الواسع للكلمة . حوار ليس فقط بين الشخصيات الروائية ولكن أيضا بين اللغات والأساليب والقوى الاجتماعية والمراحل التاريخية المتباعدة والمتقاربة.

إنطلاقا من كل هذا يمكن القول أن استعمال « رواية عربية» ينسف منذ البداية الحوار مع الآخر . ذلك الآخر الذى يمكن أن يهبنى ذاتى كما يقول باختين ، ومن خلاله أستطيع أن أرى الجانب المتخفى من نفسى . كما أن استحمال العبارة المذكورة أى « رواية عربية » يوحى بأن هناك واحداً أو مجموعة من الكتاب يكتبونها . وهم يعيشون تحت سقف واحد ، ومتسابقون فى الأفكار والسلوك والذوق واللباس والواقع أن الأمر ليس على هذه الصورة . فالرواية الغربية ليست الرواية التونسية والعكس بالعكس . والرواية مصرية ليست الرواية اللبنانية أو السورية والعكس بالعكس . وللرواية التى تكتب الآن فى الخليج خصائص تميزها عن الرواية التى تكتب فى العراق أوالأردن أو السودان . ثم لابد من التأكيد أن الفضاءات متعددة هى أيضا إذ ليس هناك فضاء عربى واحد ، بل فضاءات عربية وغير عربية . أقول غير عربية لأن هناك عددا كبيرا من الكتاب العرب يعيشون فى مناف مختلفة غير أن أعمالهم تعكس فى مجملها الحياة فى البلدان وفى المجتمعات التى إليها ينتمون.

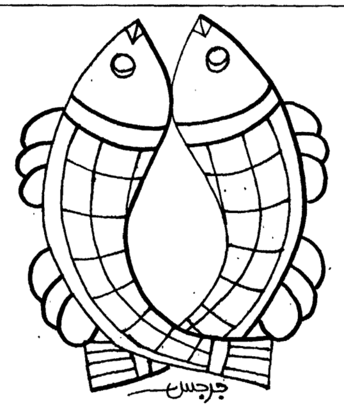
على مدى الخمسين سنة الماضية ، كان الفكر القومى الديماغوجى مفسداً للحياة السياسية والثقافية فى العالم العربى . والآن أعتقد أنه حان الوقت لوضع حد لهذا الافساد من خلال الإقرار بالتنوع وبالاختلاف فى جميع المجالات بما فى ذلك مجال الكتابة الروائية.

الجانب الآخر الذى أريد أن أتطرق إليه هو الموضوع الرئيسى لهذه الندوة أى « الرواية والمدينة» .

أذكر أنني حاورت في صيف ١٩٩٦ في مدينة هامبورغ الألمانية الكاتب الإيطالي المرموق ألبرتو مورافيا الذي كان يحضر هناك المؤتمر العالمي لنادي القلم. وقد قلت له إن الكتاب العرب يقولون إن الرواية التي يكتبونها لم تنضج بعد لانعدام المدينة عندهم في معناها الحقيقي . فما كان من صاحب « أنا وهو » إلا أن ابتسم ابتسامة فيها شئ من التهكم والسخرية اللتين تطبعان شخصيته الجذابة ورد علي قائلاً : « إذا لم يكن عندهم مدن فليكتبوا إذن عن أريافهم »

والحقيقة ان ربط نضج الرواية بتطور المدن لم يكن أمراً مقنعاً منذ البداية بالنسبة لي . فمن الكتاب الذين قرأت لهم في فترة التكوين وبهم تأثرت ولازلت متأثراً بأعمالهم ، تعلمت أن الكاتب الأصيل والحقيقي هو ذلك الذي يكتب عن العالم الذي يعرفه جيداً ، وعن الناس الذين اختبرهم ومعهم تقاسم الحلو والمر . فبلزاك مثلا أدخلني إلى أحشاء ذلك « الوحش الهائل» الذي هو باريس . وديكنز فعل بي الشئ ذاته مع لندن . وديستويفسكي طاف بي في الشوارع الخلفية لموسكو وسانت بطرسبورغ وعرفني جويس بجوانب في حياة أهالي مدينته دبلن أما غوغول فقد قادني إلى القرى الصغيرة في سهول روسيا حيث الفلاحون الأشداء الغلاظ والسكيرون العنيفون ، ومع فوكنر وجدت نفسي في مقاطعة فمنع صنع خياله فيها يأخذ العنف والقسوة والجريمة والعنصرية أشكالا جد مرعبة وكشف لي جون ستانبيك أن المزارعين في بلاده التي كانت تهبنا أكياس الدقيق في السنوات الأولى التي أعقبت استقلال بلادنا ، لايختلفون كثيرا عن المزارعين في أحراش القيروان حيث ولدت ونشأت . ومع خورخي لويس بورخيس أدركت أن العالم متاهة وأن الكاتب يمكن أن يتحرك في الفضاء وفي الزمن الذي يريد شرطا أن يكون ملما الماما واسعا بثقافات مختلف الشعوب القديمة والحديثة على حد السواء . وعندما بدأت أكتب ، وكان ذلك في سن الثامنة عشر ، خيرت بدون أي تردد أن أكتب عن الناس الذين عاشرتهم عن كثب، أولئك البدو الفقراء الذين كانوا يعيشون شبه مقطوعين عن العالم ، ويقطعون المسافات الطويلة لجلب الملح أو السكر أو النفط لـ مصباح الإضاءة وتروي أول قصة كتبتها وقائع حادثة مريعة كانت قد هزت قريتنا وأنا في سن الخامسة عشر . فقد أجبر الجفاف العديد من أهلنا إلى السفر الى الشمال للعمل في حقول القمح والمزارع الكبيرة التي يملكها المترفون . وفي الطريق تلدغ حية ابناً لأحد هولاء فيموت . أما القصة الثانية فعن طفل لامع في دراسته يموت عطشا في يوم صيفي لاهب . وقد ظللت أكتب عن الريف الذي عشت فيه قسطا كبيرا من طفولتي ومراهقتي حتى عندما انتقلت إلى أوروبا لأعيش في بعض مدنها الكبيرة ، وظل أهله حاضرين دائما في حياتي كانسان وككاتب ألم يقل الرائع غابرييل غارسيا ماركيز أن الطفولة هي المعين الذي لاينضب مادام الكاتب على قيد الحياة ؟

لقد مللنا هذه المواضيع الفضفاضة مثل « الرواية والمدينة» مواضيع تبعدنا عن الخوض في مشاكلنا الحقيقية ، وفي الواقع المرير الذي نحن نعيشه على جميع المستويات مواضيع تسمح لعديمي



المعرفة بالثرثرة لساعات طويلة ، أما الكاتب الحقيقى فيشعر أمامها بالتقزز والنفور ذلك أنه يرفض العلب والأطر الجاهزة المعدة لغرض واحد ألا وهو حبسه فى داخلها حتى لايتمكن من التحليق عاليا ، وفى النص بعيداً كما هو يبتغى ويريد.

يروى الفصل التاسع عشر من « سفر التكوين» تدمير مدن السهل . وقبل ذلك كان الرب قد وعد النبى ابراهيم أنه لن ينفذ ماكان قد عزم عليه بهدف معاقبة أهل سدوم وعمورة أن هو عثر فيهما على خمسين بارا وخشية عدم العثور على مثل ذلك العدد ، ظل النبى ابراهيم يلح على الرب إلى أن أنزل العدد إلى العشرة ثم إلى خمسة . وفى النهاية لم يكن هناك غير واحد فقط هو لوط . لكنه لم يكن كافيا لمنع تخريب وتدمير المدينتين المذكورتين . ولانعدام البارين ، خربت العديد من المدن العربية راهنا . تمشى فيها فكأنك تمشى وسط الخرائب والأطلال . وحولك الناس كأنهم أشباح ضائعة ، فاقدة للحياة ومسلوبة القلب والروح ، مدن يهيمن عليها اليأس والخوف فى النهار كما فى الليل .. ترى أي مصر ينتظرها بعد كل هذا الخراب الذى حل بها والذى كان فى جزء كبير منه بفعل حكامها وشعوبها اطرح السؤال ولا أجيب فأنا بفعل الهزائم الكثيرة التى منيت بها أصبحت مثل بطل رائعة أميل حبيبى ، لا متفائلا ولامتشائما ، لذا أنا أنظر إلى ماحدث ورائى ومايحدث قدامى من كوارث مرعبة . وكأنه أمر لا مهرب ولا مفر منه . وحدها الورقة البيضاء تمنحينى من وقت وآخر الاحساس أننى مازلت على قيد الحياة فى هذا العالم العربى الذى ماهو بالحى حتى نستغيث به عند الشدة ، ولا بالميت حتى ندفنه فنريح أنفسنا منه ويريح نفسه منا.

القفز إلى الفراغ

سعد القرش

فى أجواء أشبه بالفترة ما بين ضياع فلسطين ، وقيام الانقلابات العسكرية العربية ، تأتى الرواية الآن فى مقدمة المشهد الإبداعى العربى ، بل درته الأكثر أهمية وبريقا ، والأطول بقاء ، حتى لتكاد ، إلى جوار بعض محاولات الإبداع الأخرى ، تصبح الجانب المشرق، وسط لوحة أعتمها الفساد ، على كل المستويات تقريبا ، وهناك محاولات سيئة النية أو حسنتها ، فى مجال الثقافة عموما ، والنقد خاصة ، لإفساد هذا الجانب المنير أيضا ، بلخبطة الخريطة الروائية.

يصعب القفز إلى الفراغ، إلا من منصة ثابتة ، أشبه بقانون يضبط الإيقاع العام. وبغيابه يصير كل شئ عبثا ، قليل القيمة .وتسعى المحاولات الروائية الجديدة لتلمس ملامح هذا القانون ، أو صناعته إذا لزم الأمر . ويمكن من زاوية النظر هذه ، اعتبار كثير من الأعمال الروائية ، لشبان كتب معظمهم روايتين أو ثلاثا ، محاولات للتجريب فى تيه ضوؤه ضعيف ، لا يسمح برؤية واضحة للبشر والمواقف والأشياء .وقد نشأنا وأمامنا رصيد من الأعمال الإبداعية والنقدية ، ثم اكتشفنا أن الكثير من مؤلفيها .وكان يجب أن يكونوا رموزا ، ألقوا الأسلحة ، هزيمة أو زهداً أو تواطؤا أو انتهازاً .هكذا غاب الآباء إيثار للسكينة، أو تعباً من طول المناهدة. ويعد انفضاض السوق .والهبوط

بسقف الأسعار ، لم تعد الغنيمة تساوى ثمن المدفوع.

ومن حسن حظى ، أنا القارئ العصامى ، الذى نشأ فى بيت يخلو من كتاب، أى كتاب ، أن تتعهدنى أيد حانية، وهب أصحابها قدرة على إدراك تجدد الحياة والإبداع .كان حماسهم المجانى لطالب يدرس بجامعة القاهرة، درساً تعلمته ، وممارسته فيما بعد ، حين أتيحت لى فرصة النشر فى عدد من المواقع والمنابر . وأدين بالفضل لهؤلاء الراحلين : الشاعر محسن الخياط (الجمهورية) والقاص الفنان محمد روميش (أدب ونقد) ،والدكتور عبد القادر القط والكاتب عبد الله خيرت (إبداع) ،والدكتورإبراهيم حمادة (القاهرة).

نشرت روايتى الأولى« حديث الجنود» (١٩٩٦) بعد انتهائى من كتابة مجموعتين قصصيتين (إحداهما صدرت بعد الرواية بعامين) ،وفى ظنى أن القصة القصيرة فن خالص ، شديد الصعوبة ،وهى والرواية من الفنون الكتابية التى تتداخل فيها الأدوات، وليس أصعب من احدهما سوى الآخر . والرواية أسمى من أن تكون مجرد تطور تلقائى للقصة القصيرة ، بل صيغة فنية لتجربة إنسانية لا يتسع لها ثوب قصة؛ إلا أن الكثيرين قد أكدوا أن روايتى« حديث الجنود» مكتوبة بحرفية القصة القصيرة ،حيث التقشف فى الحكى ،والاقتصاد لدرجة البخل فى الاسترسال الذى تغنى عنه إشارة عابرة، كانت هناك صعوبة فى الاستقبال ، ربما كنت مشاركاً فى المسئولية عنها ، إذ كنت أطمح إلى التوجه إلى قارئ ، يتمتع بحد أقصى من خلو البال، وحين يخلو إلى الرواية ، لا يكون مهموماً بشئ آخر ، يشغله عن مواصلة المتابعة بتركيز شديد .

وفى روايتى الثانية «باب السفينة» (٢٠٠٢) ،كنت لا أزال أراهن على هذا القارئ ، غير المدلل ، غير العجول ،وعمدت إلى كتابة نص يخلو من أى ترهل ، ويصعب الاستغناء عن احدى جمله ،وما سبق «باب السفينة» محاولات للرسو على حلول فنية ، وإن كنت أعتقد أن كل عمل جديد هو محاولة متجددة ، وتحد يواجه الكاتب الذى لن يكون أكبر من الكتابة نفسها ،وعليه فى الوقت نفسه ، ألا يدعها تتمكن من هزيمته.

ينتظر القارئ ،من الروائيين المنتمين إلى الريف ، أن تتخذ أولى رواياتهم منه مسرحاً لها، كنوع من إبراء الذمة، وإذا كان الكاتب أكثر إخلاصا لمسقط رأسه ، أو ثراء فى تجربته ، أو لا يستطيع التصالح مع واقعه المدينى الجديد ، فهو يعود إلى التجربة مرة بعد أخرى . وبعيدا عن إطلاق الأحكام العامة ، لم يعد الريف المصرى ، على مستوى التجربة الروائية ، يحتمل من الكاتب الواحد أكثر من رواية ، فى حين تتسع المدينة لعدد لا ينتهى من التجارب الروائية . ويبدو أن الرواية هى ابنة المدينة. وقد اكتشفت بعد أن نشرت روايتين أننى لم أخص القرية باحداهما ،ولم أشغل نفسى بذلك ، إيمانا بأهمية أن يترك الكاتب نفسه تمارس تلقائيتها ، بعيدا عن التخطيط

الصارم.

نحن جيل نشأ فى غفلة من النقاد ،والمشاريع القومية الكبرى ،والأحلام التحررية العظمى والكبرياء الوطنية . لم تشهد صعود المد الستينى ولا انحساره بالهزيمة .كما لم نشهد سنوات النهش الأولى فى عرضه المستباح .لهذا تأتى الكتابة بلا أعباء تثقل الإبداع ،ولا نظريات سابقة تحد من الخيال ،وتكون النتيجة تطرفا فى اتجاهين : أحدهما مغرق فى الذاتية ، يعتبر الفن هو ما هو، ولاشئ خارجه يهم ، والثانى يتمسك بذيول شعارات وطنية ،كمحاولة لاكتساب شرعية ، تحت ظلال مقولات كبرى ، حيث لا تسعف شروط الفن.

كتابة الجيل الجديد جارحة، ودالة ، ويجب ألا تمر بسلام ، مهما يكن مستوى بعضها ، فهى «روايات أزمة» .تحذر من كارثة ، أو تجسد لكاتبيها أزمة شخصية ، هى بالضرورة انعكاس لأزمة الوطن نفسه.

وقلما تجد مشروعا روائيا لكاتب ناشئ ،وهذا أحد تجليات أزمة غياب المشروع العام ، والثقافى بشقيه الإبداعى والنقدى . ويكون الحصاد مجرد روايات مهمة ، تحمل بصمة ،ولكنها لا تكفى لبناء عالم واضح لصاحبها ، يمكن أن يصمد لاختبار الزمن ،ويخاطب جيلا آخر لم يولد بعد.

لا تكابر الرواية العربية الآن ، بل تحمل ملامح أزمة الإبداع فى معظم الفنون ،وعلى رأسها السينما ، إذ تظل أعمال مثل «الأرض» ، و«المومياء» و«الفتوة» ، و«بداية ونهاية» ، صامدة ومتجاوزة ، بينما يأتى غيرها ويذهب ، بصخبه وقضاياه الحقيقية أو المفتعلة ، كنار القش ، تعلو ولاتخلف جمراً ولا أثراً.

إن التجارب الروائية الجديدة جامحة ، تنتمى إلى نفسها ، ولا تشبه غيرها ،وكاتبوها لا يشبهون حتى أنفسهم ورغم تباين مستوى معظم هذه التجارب ، فإن هناك ملمحاً عاماً يمكن رصده ،وهو التمرد.

متمردون على كل شئ وكل أحد ،لوحة الإبداع وحده.

إنها كتابة بلا طموح كبير ،ولا مراهنة على يقين ، بعد أن سقطت ،بالتواطؤ السياسى والثقافى ، أقوى دولة عربية ، فى مشهد درامى سريع ، وعادت إلى العام صفر .. «سلام على العراق».

ويصعب وجود ملمح مشترك ، ربما فى أعمال الكاتب نفسه ، حيث لامعيار فنيا يحكم الكتابة أو الكاتب . وتمتد اللوحة لتشمل أعمالا تذكرنا ببدايات واقعية تجاوزها نجيب محفوظ ، قبل نصف قرن . وأخرى لا تنتمى إلينا ، ولا إلى كاتبها ، بل تكاد تكون على مقاس العمل الذى قرأه قبل الشروع فى الكتابة مباشرة . وتستطيع أن تشم رائحة ماركيز وبعض أعمال أدباء أمريكا

اللاتينية ، فى قصص بعض الكتاب المصريين (كبار السن وصغارهم) .كما يسهل العثور على آثار كونديرا ، بين حطام عدد من الروايات المثقلة بوطأة قاطرته المحملة بتراث عمره أربعمائة عام ، منذ سرفانتس ، إلى اليوم .

أما عن تجربتى ، فقد أصدرت مجموعتين قصصيتين وروايتين ، وحظيت الأعمال الأربعة بقبول نقدى فاق توقعاتى ، وتزيد صفحات ما كتب عنها من دراسات على حجمها .ولأن المشهد العام والثقافى يحاول إطفاء الشموع القليلة ، فلا يصح أن نستسهل لوم نقاد شرفاء يقاسموننا ظروفا شديدة الصعوبة . وإن كان هذا لا ينفى أن النقد كالإبداع تماما ، يعانى العشوائية واضطراب الرؤية ، متمثلا فى عدم وجود قراءة حقيقية لخريطة روائية ، تضم الجيد والردئ ،فى موجة واحدة ،تحتمل زبداً كثيرا وكثيفا.

وليس مطلوبا من الناقد أن يعطى نسبة مئوية لكل كاتب ، ألجأته البطالة والإحباط العام ، على سبيل الخطأ ، إلى سوق الكتابة ، بل الأهم هو امتلاك الجرأة على تفسير أشمل لهذا الزخم ، بمستوياته المتباينة ، حيث يعمد من تستهويه فكرة أن يكون أبا ، إلى إمساك عصا ، لرفع من يبادر إلى تقديم شروط المحبة أو الولاء ، أيا كان مستوى كتابته ، إذا افترضنا انتماءها للإبداع فى حين لا يوخز ضمير هذا الأب تجاهل عمل «مشرف»مثل رواية «خافية قمر» لمحمد ناجى ، الغائب أو المغيب عن التصنيفات.

إن عددا كبيرا من هذا الحصاد الروائى بحاجة إلى تحليل نفسى لا نقدى ، والفرز الحقيقى لايبدأ بالنقد ، وإنما بحل أزمة البطالة ، وفتح طاقات جديدة من الخيال اليومى المعيش ، وإعادة الثقة للناس بإمكانية التحقق ، فى أى مجال تحكمه الشفافية والكفاءة والحريات العامة.

وما دمت قد بدأت بالإشارة إلى فساد طال الإبداع ، وأدى إلى لخبطة الخريطة الروائية ، فإننى أحمل النقاد قدراً من المسئولية عن هذا الخلط.

كما تشير أصابع الاتهام بإدانة واقع السياسى ، يدفع بطوابير العاطلين ،وغيرهم ممن أجبروا على الخروج إلى المعاش المبكر ، إلى وهم التحقق ، فيسدون -بالالحاح على نشر كل هذا الركام ، والمنح الثقافية الأشبه بإعانات البطالة- المنافذ الطبيعية أمام الموهوبين .

وهذه أكبر خطيئة يمكن أن يرتكبها واقع يتآمر على الخيال.

شهــادة

بين فضاءين

الحبيب السالمى

عرفت المدينة متأخرا . جئتها كالكثير من الكتاب العرب المنحدرين من الريف ساذجا وبسيطا فقد زمضيت الأربعة عشر عاما الأولى من حياتى فى قرية نائية تقع فى عمق الريف التونسى فى مكان لايبعد كثيرا عن بوابة الصحراء .. المدينة أنضجتنى إلا أنها أربكتنى فى الوقت ذاته وأحدثت فى نفسى اختلالا أعتقد أنه لم يفارقنى زبدا . من هنا هذا الإحساس الدائم بالتيه . هذا التلازم بين الانبهار والتوجس . الاندفاع والتردد . الانطواء والانفتاح.

وقد كان من الطبيعى أن يتسرب هذا الفضاء الجديد شيئا وشيئا وبكل ثراه وتنوعه وتناقضاته الى نصوص ليمتلك فيما بعد حورا قويا . القيروان هى أول مدينة وطأتها قدماى وبالرغم من ذلك فانها لاتمتلك أى حضور.فى رواياتى رذ أننى لم أقم فيها إلا لفترات قصيرة متباعدة مما حال دون نشوء هذا التواطؤ السرى الذى لابد منه بين الكاتب والمدينة لكى يكتب عنها .

تونس التى انتقلت إليها مباشرة من الريف وأقمت فيها أكثر من عشرة أعوام كانت مدينة التيه الأولى . كان اكتشافى لها تحولا هائلا فى حياتى بل أستطيع أن أقول إن هذا الاكتشاف شكل صدمتى الأولى مع المدن . ومما زاد من وطأة هذه الصدمة هو هذه السرعة التى انتقلت بها من قرية نائية بل بوار إلى أكبر المدن فى تونس فى هذه المدينة شاهدت أشياء كثيرة لم أكن أعرفها . شاهدت للمرة الأولى فى حياتى البحر الذى كنت وأنا أتفرج على صوره فى المجلات أحلم برؤيته . تونس كانت مرحلة أساسية فى تجربتى الإبداعية فهى التى مكنتنى من أن أدرك قيمة الرواية التى كنت أجهلها تقريبا فقد

كنت لا أعرف بحكم صغر سنى ووجودي فى الريف سوى جورجى زيدان والمنفلوطى ، أما ماكنت أكتبه فقد كان قصصا قصيرة فى مكتباتها العامة التى كنت أتردد عليها قرأت أغلب الروائيين العرب المشهورين نجيب محفوظ ، الطيب صالح ، الشرقاوى ، سهيل ادريس ، وفيها قرأت للمرة الأولى فى حياتى روايات فرنسية باللغة الفرنسية قرأت " الغريب" لكامو التى أعتبرها إلى حد الآن واحدة من أهم الروايات التى أثرت فى ليس فقط بسبب لغتها الصافية والبسيطة التى لاتشبهها أية لغة وإنما بسبب هذه القدرة الكبيرة على استحضار المكان المغاربى التى لم أجدها لدى الروائيين المغاربة بمن فيهم أولئك الذين يكتبون بالفرنسية ، وفى تونس اكتشفت الروايات الأمريكية همينجواى ارسكين كالدويل شتانبيك فى ترجمتها العربية ، لكن لا أدرى لماذا ارتبطت هذه المدينة المغاربية المتوسطية فى ذهنى بروائى مصرى هو نجيب محفوظ ، لا أدرى لماذا كلها تذكرتها الآن تذكرت محفوظ وتذكرت روايات " بداية ونهاية " و"زقاق المدق " و" السراب " وأغلفة هذه الروايات التى تزينها رسوم جمال قطب ، ربما لأن كان يخيل إلى أن الأحياء والشوارع التى يصفها محفوظ فى هذه الروايات تشبه ماكنت أعرف من أحياء وشوارع تونس ، وبالرغم من أننى كنت أقيم فى تونس عندما بدأت أكتب الرواية فان هذه المدينة لم تظهر إلا فى روايتى الثانية صورة بدوى ميت " التى كتبتها فى باريس كأنه كان لابد أن تمر أعوام كثيرة لكى أستطيع أن أكتب هذه المدينة كأنه كان لابد أن أبتعد عنها جسديا لأقترب منها روحيا . إن علاقة الكاتب بالمكان الذى أقام فيه وأحبه أو نفر منه أو أنشأ معه صلة ما هى علاقة معقدة وملتبسة وأكثر تعقيدا وغموضا مما نظن.

فى " صورة بدرى ميت" تحضر تونس بجمالها وبشاعتها ، بأحيائها وضواحيها الغنية وأزقتها وشوارعها الضيقة وأسواقها التقليدية بهدوئها وضجيجها ، بوداعتها وعنفها بمواخيرها ، بقحابها ، وفى كل هذا تتبدى فضاء للأحلام والرغبات ، للتمرد والرفض ، للعشق والجنس والعربدة

تونس السبعينيات ، تلك المرحلة الواعدة التى عشتها بحماس مثل كل أبناء جيلى.

أما باريس التى أقيم فيها منذ عشرين عاما فهى مدينة التيه الثانى ، قبل أن زستقر فى باريس كانت بالنسبة لى كما بالنسبة للكثير من الكتاب العرب وغير العرب أسطورة كنت شديد التحمس للروايات الفرنسية التى قرأتها فى تونس ، ومن الإعجاب والانبهار بالرواية الفرنسية التى كانت معرفتى بها محدودة فى الحقيقة انزلقت إلى الاعجاب والانبهار بفرنسا أى بباريس ، إذ أن فرنسا كانت تعنى آنذاك باريس ، ولما هاجرت صارت علاقتى بباريس علاقة مباشرة لم تعد مجرد أسطورة وإنما أصبحت واقعا حيا يختلف عن الواقع الذى أتيت منه فى أشياء أساسية كثيرة.

ايقاع الزمن الذى يربك الجسد والروح معا وأنا الذى أمضيت كل أعوام الطفولة فى الريف ، وتشكل وعيى للعالم وإدراكى للأشياء فى فضاء يحكمه زمن بطئ كثيف ثقيل لم أفهم كيف يمكن لزمن البشر أن يكون سريعا ومراوغا بل وصلفاً إلى هذا الحد . كثافة اللحظة المعاشة، العلاقة بالمكان

العلاقة بالجسد ، وعى الذات لذاتها علاقة الفرد بنفسه علاقته بالآخر القريب والبعيد فى آن واحد . ايقاع الحياة اليومية وتعقيداتها . طوفان الصور والعلامات والإشارات استنفار دائم للحواس ..

هذا التيه يظهر فى " متاهة الرمل " و"حفر دافئة" اللتين تدور أحداثهما كلها فى باريس . تبدو، باريس فى هذين العملين الروائيين متاهة كبرى . مدينة بلا تخوم . مدينة لانهائية . مستحيلة مستعصية وعدائية بشوارعها التى لاتنتهى بانفاق المترو الكئيبة بعجائزها الذى ينتظرون الموت وحيدين لا رفيق لهم سوى صمتهم . باريس هنا ليست اللوفر والحى اللاتينى أى باريس طه حسين والحكيم وسهيل ادريس وانما هى باريس الرمادية باريس العمل المهاجرين والعرب الفقراء الذين ضيعوا أعمارهم على الأرصفة والعرب الشحاذين (نعم هناك عرب يشحذون فى باريس وباللغة العربية) الأمكنة التى تدور فيها أحداث " متاهة الرمل" و" حفر دافئة " تقع فى ما أسميه " المثلث الرمادى" بلفيل باريس الغوتدور . وباريس هذه تشبه مارسيليا الشاعر المصرى التونسى بيرم التونسى الذى عاش فى باريس عدة أعوام فقيرا بعد أن نفاه الملك وهو يصف ذلك فى كتاب جميل يتكون من مقالات كتبها خلال إقامته فى تونس.

إلا أن هذا التيه فى باريس ليس موجعا فقط وإنما هو مضن ومثير أيضا . لقد تعلمت فى هذه المدينة أشياء كثيرة لابد أنها زثرت فى إنسانا وروائيا بشكل ما . تعلمت أن للحياة اليومية التى نستعين بها نحن العرب فى أغلب الأحيان أهمية إذ أنها ليست مفصولة عن الحياة الفكرية . ثمة دائما علاقة مابين الكتابة وهذه الحياة اليومية ، أى الحياة فى تجلياتها فى لحظتها الطازجة فى انخراطها فى الزمان والمكان . وفى مدينة كبيرة كباريس حيث حركة الحياة لاتتوقف ، حيث الواقع فى تبدل دائم، صرت أكثر انتباها لذلك وأكثر تعلقا بما أسميه " لحم الواقع " . هذا الواقع يجتذبنى باستمرار إذ أنه يتبدى لى دائما ثريا متعددا مخاتلا رجراجا . وكلما تعمقت علاقتى بباريس ازددت تعلقا بتحولات هذا الواقع الدائم السيلان كنهر هيراقليطس . أحب اقتفاء آثار هذه التبدلات على الوجوه والأمكنة . والواقع كما أفهمه ليس معطى موضوعيا وقائما بذاته ، كما لو أنه خارج عن الذات ومنفصل عنها الواقع امتداد للذات.

وفى باريس اكتشفت أن المدينة ليست مجرد تجميع لعمارات ومحلات تجارية وميادين وشوارع وإنما هى حالة ذهنية ونفسية معينة . علاقة مجددة بالمكان والزمان . تدبير للفضاء بشكل محدد يتيح إمكانات لامتناهية من النشاط الفكرى . لاحواجز مثلا فى هذا الفضاء بين الأدب والفنون والفلسفة . الشعر يساكن الرسم . والرواية تستلهم السينما والموسيقى الكلاسيكية . والفلسفة تسائل الرسم وتحاوره . هذا التقاطع أثار انتباهى أنا القادم من ثقافة أخرى . ولا أدرى ان كان لهذا الاكتشاف تزثير ما على طريقتى فى كتابة الرواية . كل ما أعرفه هو أننى صرت أهتم منذ ذلك الوقت بالرسم والسينما وغيرهما من الفنون.



إلا أن المدينة سواء كانت تونس أو باريس اللتين أمضيت فيها الجزء الأكبر ما عشته إلى حد الآن لم تستطع أن تحجب قرية العلا حيث أمضيت طفولتى ، فالريف لم يختف نهائيا فى رواياتى بل أستطيع أن أقول إنه لم يختف أبدا من عالمى وحتى فى الروايات التى تدور كل أحداثها فى المدينة يظل الريف حاضرا بشكل مباشر أو غير مباشر . وفى روايتى الأخيرة " عشاق" أعود إلى عالم القوية الذى بدأت منه.

ثمة حركة ذهاب وإياب بين الريف والمدينة فى حياتى أولا ونصوصى ثانيا . وأنا الآن أشعر أننى كانسان وككاتب ريفى بقدر ما أنا مدينى – أن أقيم فى المدينة لايعنى أننى أسكنها . هذه الحالة ليست استثنائية فهى تنطبق على الكثير من الروائيين العرب . هم مدينيون وريفيون فى آن واحد هذا إذا سلمنا بأن مانسميه عندنا " مدنا " هى فعلا كلها مدن.

أحيانا أشعر أننى مدينى أكثر وأحيانا أخرى أشعر بالعكس أكثر من هذا أحس فى بعض المرات أننى لاهذا ولاذاك وأننى أقيم بين هذا وذاك . لم أعد ريفيا ولم أصبح مدينيا . إنها إقامة حرجة بين بين . هذه الإقامة بين فضاءين وبين لغتين وبين ثقافتين ، وأكاد أقول بين حياتين لاتربكنى فهى إثراء للذات وإختبار دائم لها ولطاقتها على الاكتشاف والمغامرة . وكلما تقدمت فى التجربة إزددت اقتناعا بأنه لا شئ أهم للكاتب أى كاتب من أى فضاء كان من أن يظل وفيا لنفسه كما هى ، من أن يكون ذاته هنا والآن.

شهادة

فى ذكرى النكبة

الوضع الثقافى فى فلسطين قبل خمسين عاماً

صبحى شحرورى

أحب أن أشير ، ابتداء ، إلى أن سعادتى تتضمن إلقاء الضوء على التداخل فى الهوية مابين القومى والوطنى.

وستتحرك هذه الشهادة فى أصداء ومجالات واسعة ومتشعبة فى المكان والزمان .

وراء الكثير من الأحداث والنشاطات الثقافية أحب أن أوضح أن النكبة ، زرعت فى نفوسنا نوعاً من الشعور بالانقطاع ودفعت الكثير منا إلى التماس مواطن للشعور بالأمن والامتلاء وراء الرقعة الجبلية الصغيرة والفقيرة التى بقيت من فلسطين ، ومازال مثل هذا الإحساس يخامرنا ، والآخر ينازعنا حتى على هذه الرقعة الصغيرة الفقيرة.

ولدت فى بلعا – قضاء طولكرم – فى ١٩٣٤/٩/٤ ، ومنذ البداية اختلطت مشاهد اللعب فى الأزقة ، بمشاهد نضالية واستشهادية . صورة البارودة تحت حزمة الحطب ، والجنود الإنجليز يقلبونها ، وفلسطينى يساق إلى الإعدام أو السجن.

صورتنا ونحن ننتظر جثمان قريب عادوا بجثته من سجن عكا بعد إعدامه شنقا.

صورة الأمهات مع الأطفال فى المسجد ، والصراخ والفوضى والضجيج يجرح قدسية المكان ، صورة الرجال وقوفاً ومخفورين على البيادر.

ثم صورة الزيت المخلوط بالدقيق ، والسكر المخلوط بالأرز والشعير ، والأوانى الصينية المكسرة.

ثوار ينظفون بواريدهم فى الشمس ، وآخرون يسألون إن كان القائد موجوداً فى المغارة فيأكلون بحذر وهم صامتون.

اللعب على حطام طائرة بريطانية أسقطها ثائر فى « وادى درويش » المجاور ، ثم اليوم العصيب ، يوم نسف

منازلنا (العقود) ، والهجرة القسرية إلى " دير الغصون" ليلاً ، محمولين على ظهور النساء والطائرة تحوم فوقنا رغم هبوط الظلام.

ثم الكتاب ، يهرب منه الطلاب لأى سبب ، ونهبط إلى مقبرة الشهداء فوق وادى عمار ، حيث تضم فى أعماقها الشهداء الفلسطينيين والسوريين والعراقيين ، ومن البداية تتفجر قومية القضية بين أيدينا دون أن نعرف عن ذلك الكثير ، ومعظمهم جاءوا متطوعين من سوريا والعراق ، وسلسلة من المغائر الصغيرة من جبل المنطار إلى القرية يخلون إليها الجرحى ، حتى يتم نقلهم إلى مكان آخر.

ومن الزقاق المجاور ، يطل وجه قاسم محمد قاسم الذى عمل فى مهن كثيرة ، ثم تمكن من السفر للتعلم فى المدرسة العامرية بيافا .

يحدثنا عن الأدباء المصريين الذين يدعون إليها ، ويحدثنا عن المازنى تحديداً والذى أصبح صديقا له . وقد أهدانى كتاب العقاد" شعراء مصر فى العهد الماضى " ثم يلهب خيالنا أكثر عندما سافر إلى مصر ، وقد باع أهله أرضهم للإنفاق عليه.

ألهب خيالنا وهو يرسل صورة يخطب وإلى جواره محمد صلاح الدين وزير خارجية الوفد . قصدت بكلامى هذا المجاهد فتحى البلعاوى الذى لم يسعفنا الحظ بطول العيش معه بعد أن عاد للوطن وتوفى عام ١٩٩٥.

فى طولكرم، أرى أبناء عمى وهم يدرسون على أنوار خافتة بأوامر الإنجليز ، فقد كانت طائرات الألمان تقصف ميناء حيفا وقد يمتد القصف إلى مناطق أخرى.

صورة عبد القادر الحسينى ، وقد قدم إلى طولكرم ، ثم استشهاده ، وقصائد ينظمها أساتذتنا ونحفظها :

ريح الجنان على الهضاب تصافح

أسدا عن الوطن الكريم تنافح

الشاعر عبد الرحيم محمود ينسق مع جيش الإنقاذ ، أعضاء منظمة الشباب ينسقون مع جيش الإنقاذ ويشاركون فى المعارك فى الفضاء المواجه لطولكرم غربا .

جاء جيش الإنقاذ من "صير" قضاء جنين واستقبلناه فى بلعا ، وكانت حصة أسرتى خمسة ، ثم غادروا إلى طولكرم.

من البداية نتجه إلى مصر أولاً ، وتصلنى بعض أعداد الرسالة والثقافة والبعد القومى فيهما واضح .

المنطقة الساحلية مابين حيفا ويافا ، لم يكن فيها مدينة فلسطينية واحدة . ولذا كانت مراكز الثقافة الأقرب إلينا فى يافا أولاً وإلى حد ما فى حيفا ، وكنا نسمع طرفا من أخبارهما .

محلياً ، سافر عبد الكريم الكرمى " أبو سلمى " إلى حيفا وأقام بها ومنها هاجر ، وعبد الرحيم محمود تلميذ إبراهيم طوقان ، (شكلا وغيرهما محورا فى مدرسة النجاح بنابلس) يمتد نشاطه إلى الناصرة ويستشهد فى معركة الشجرة عام ١٩٤٨ م.

نسمع أخباراً عن إقامة العقاد مع اسمهان وهيلا سيلاسى فى فندق الملك داود فى القدس ، وقد أصدر كتبا فى مهاجمة النازية والشيوعية لاحقا .

والمناضل الشاعر محمد على الصالح ، أقام فى حيفا منذ مطلع الثلاثينيات ، وأسس مدرسة فيها أسماها مدرسة " الاستقلال" ، وبدأ نشاطه السياسى والثقافى والشعرى انطلاقاً من حيفا، وأسهم فى إثراء الحركة الوطنية الفلسطينية والثقافة الفلسطينية بإبداعاته ومواقفه الوطنية المعروفة . وقد اعتقل من قبل السلطات

البريطانية وزج به فى معتقل المزرعة فى عكا لسنوات طويلة إبان ثورة عام ١٩٣٦ م.
عادل زعيتر يترجم كتبا عن فترة الثورة الفرنسية وينشرها فى مصر ، كذلك فعل محمد إسعاف النشاشيبى.
فى شمال فلسطين حدث تداخل كبير بين الفلسطينيين واللبنانيين ، ومنها جاء الشاعر وديع البستانى الذى هاجم الشاعر العراقى معروف الرصافى ، الذى يبدو أنه أسرف فى مدح الإنجليز.
اقطاع واسعة لكثير من العائلات اللبنانية فى فلسطين ، باع التيان ، وهو لبنانى الهوية ، " وادى الحوارث " وباعت عائلة سرسق ، وهى عائلة لبنانية أيضاً ، أراضى فى شمال ووسط فلسطين ، وباعت عائلة سلام ٣٦٠٠٠ دونم من أراضى مرج ابن عامر.
وهكذا عرفنا المصريين حتى أصغر شعرائهم وكتابهم ، دون أن يعرفوا كبار شعرائنا وكتابنا.
وأذكر أنى كتبت ردا على الكاتب وحيد النقاش فى الآداب يشير إلى هذه المسألة.
وهكذا كان على شخصياً أن انتظر حتى عام ١٩٥٢ لأتعرف على محمود سيف الدين الإيرانى الكاتب ، الذى كان مدير مدرسة " الكرك " الثانوية وكنت معلما بها . وقد كتبت عن مجموعته " مع الناس " لاحقاً فى صفحة " الجهاد " الأدبية ، ثم كتبت عن إنتاجه بعامة فى " الآداب "
فى بداية الخمسينيات توجهت وتوجه غيرى لمجلة " الأديب " ، وأبرز ما رسب فى نفسى منها بعض قصص القاص العراقى ، عبد الملك نورى.
ثم صدرت " الآداب " عام ١٩٥٣ ، وقد أثرت فى أبناء جيلنا تأثيراً بالغاً ، أخص نفسى بذلك دون مواربة ، وكان حلم كل منا أن يكتب بها ، وقد نشرت طرفاً يسيراً جداً من إنتاجى بها فى أعوام ١٩٦٣ / ١٩٦٤ وتوقف ذلك عام ١٩٦٧ ، بعد احتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة.
هذا وقد نشرت قبل ذلك بعض القصص ذات الطابع التربوى فى مجلة " رسالة التربية " اللبنانية لصاحبها وجيه جارودى.
وقد أثر علينا الاتجاه القومى لمجلة الآداب ، وأثر علينا وأربكنا ماكانت تبشر به من أفكار وجودية . ومن جيلنا تأثرنا ، الشهيد ماجد أبو شرار وأنا تحديداً بهذه الوجودية.
وأعتقد أنه من سوء طالع الحركة الثقافية العربية الناهضة أن دخلت مثل هذا المأزق .
وفى أواسط الخمسينيات قام بعض الكتاب فى منطقة طولكرم ومنهم مدرس من الضفة الشرقية – الأردن ، بتأسيس رابطة القلم الحر ، حيث ضمت الشعراء : حكمت العتيلى وشفيق بلعاوى ونافع محمد سعيد وغيرهم ، وقد انضممت للرابطة وأنا بعيد فى مدينة معان الأردنية.
وقد تداول بعض أبناء جيلنا سابقاً كتيبات كانت تصدر فى يافا ، ومنها كتاب فدوى طوقان " أخى إبراهيم " ، وقصص لعبد الحميد ياسين (مدير دار المعلمين بعمان لاحقاً) وغيرها .
إن ظاهرة الإنهاك والشرذمة والانقطاع من أهم الظواهر فى الحياة الثقافية الفلسطينية ، بفضل ذلك ، أن المنابر سرعان ماتظهر ثم تموت .
من معان ، البلدة الأردنية ، عام ١٩٥٥ م بدأت الكتابة فى الصفحة الأدبية لجريدة " الجهاد " المقدسية ، وقد ساعدنى الشاب المقدسى المغربى أبو الطيب الذى كان يحرر هذه الصفحة من معان ، وأول قصة كتبتها بعنوان " وجبة دسمة ".

وقد أذيعت لى بعض القصص الأولى من إذاعة رام الله . وبترددى على عمان عرفت بعض رموز الحركة الأدبية وأذكر بوضوح جهود عيسى الناعورى ، خاصة فى حديثه عن توقف مجلته " القلم " التى صدرت فى أوائل الخمسينيات .

يقال إن " الأفق الجديد " أنشئت من فضلة مال تبرع به الملك محمد الخامس عندما زار القدس وقد أخذ صديقى " أبو الطيب " معه . وكانت الأفق الجديد تابعة لجريدة " المنار " التى رأس تحريرها الصحفى جمعه حماد.

يمكن الكتابة مطولاً عن تجربة الأفق الجديد ، مجلتنا التى سمى جيلنا وأبناء جيل لاحق باسمها . ولضيق المقام أحب أن أشير لهويتها ونشاطاتها فى جدولة.

أ- شكلت نقطة افتراق واضحة ، عن أدب الفجيعة والبرتقال الحزين ، والفردوس المفقود الذى ساد فى أعقاب السقوط الوطنى الأول ١٩٤٨ . كانت الرومانسية سائدة، وقد خالطت أنفاس رومانسية إنتاجى ذى الطبيعة الريفية والذى يتحدث عن شخصية الموظف كبرجوازى صغير بالإضافة لتاثرنا بالوجودية . مع أن نتاجات الجيل اللاحق (محمود شقير – كمثال) كانت أكثر واقعية بتاثير الماركسية.

ب- التعايش الديمقراطى الذى ساد رغم تعدد الاتجاهات فى البدايات ، ورغم نقاط الافتراق القوية عن الجيل القديم من الوعاظ . إذ كانت نتاجاتنا تنشر جنباً إلى جنب مع نتاجاتهم ، وبفضل رئيس تحريرها أمين شنار.

ج – مشاركة العديد من الكتاب الأردنيين فى الكتابة بـ " الأفق الجديد " حتى قيل : إن الأدب الأردنى الحديث خرج من عباءة الأفق الجديد.

د – كان هناك تراتبية معينة من حيث السن ونضج التجربة ، لقد اجتمعت أجيال فى الأفق ، وأحياناً يحلو لى أن أحسب فارق العمر بين عبد الرحيم عمر (سبقنى بثلاثة صفوف فى المدرسة الفاضلية بطولكرم) والشاعر محمد القيسى الذى نشر محاولاته الأولى فى الأفق ، وبالطبع فلا علاقة لذلك بالمستوى ، فكثيرون من كتاب الأفق ممن اضطرتهم ظروفهم للبقاء فى الخارج أو أبعدوا ، طوروا أدواتهم ونضجت تجاربهم بما لايقاس بتجربتى شخصياً.

يمكن الكتابة مطولاً عن لحظة الانقطاع الكبير فى عام ١٩٦٧ ، لكننى أريد هنا أن أقف على منعطف واحد ، هو أثر ١٩٦٧ فى تاكيد الهوية الوطنية الفلسطينية فى التداخل مع الهوية القومية التى برزت ملامحها بالتوجه للقاهرة وبيروت كمعاقل للحركة الثقافية العربية .

ركز الذين خرجوا على هويتهم الوطنية فى ظل الإلحاح على مسألتين ، الجهد المقاوم ، وحلم العودة.

وأصبح الفلسطينى فلسطينيا بالدرجة الأولى فى وضع كالذى ذكرت وفى ظل عداء كثير من الأنظمة العربية للثورة.

أما فى الداخل الفلسطينى ، فقد تم التركيز كذلك على الهوية الوطنية . إذ كان الانفتاح فلسطينيا -فلسطينيا ، طلاب سنة أولى أمام المتخرجين فى مدرسة القمع الصهيونى.

وقد تم التوجه من الضفة والقطاع لفئتين فى داخل فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ ، اتجه الشيوعيون هنا للشيوعيين هناك ، وحضرت إلى الضفة (القدس آنذاك) أسماء كبيرة مثل أميل حبيبى وسميح القاسم ومحمد على طه وأصبحوا أصدقاء الكثيرين منا . وعذرا فقائمة الأسماء طويلة.



وكان البعض الآخر منا يذهب لأفراد تيار آخر مركزه الناصرة بالدرجة الأولى ، حركة قادها بعض المنفصلين عن الحزب الشيوعي الإسرائيلي مثل حنا أبو حنا ، ولم يكن هناك اتجاه ثان بالمعنى الواضح بل تجمعت فيه توجهات متعددة ، وقد قاد هذا الاتجاه لاحقاً الشاعر فوزى عبد الله الذى لم يعمر طويلاً فما أن عرفناه حتى ذهبنا للتعزية بوفاته ، ومن رموز هذا الاتجاه جمال قعوار الذى أصدر مجلة " المواكب " فى الناصرة لاحقاً ، وأدمون شحادة.

كنت والصديق الشاعر عبد الناصر صالح نقوم بنشاطات عديدة وزيارات ومساهمات فى الاتجاهين.

القدس والناصرة اللتان تبعدان مسافة ساعة بالسيارة عن طولكرم كانتا مركز الإشعاع الإبداعى بالنسبة لنا . وفيما يلى سأحاول الوقوف على بعض هذه النشاطات.

بعد شئ من الانقطاع توجهت للكتابة فى جريدة " القدس" أول صدورها ثم توقفت ، وفى جريدة " الشعب " ، ثم توالت المجلات :" البيادر الأدبى " التى كنت أرى فى أعدادها الأولى صورة جديدة للأفق ، أو لكأن الأفق تبعث من جديد.

" الكاتب " : التى ساهمت لفترة قصيرة فى تحريرها . وقد أشرف عليها الشاعر أسعد الأسعد .

" الفجر الأدبى " التى رأس تحريرها الشاعر على الخليلى ، وقد ساهمت بها جميعاً ، وأذكر ويذكر معى كثيرون سلسلة مقالات نقدية بعنوان " عودة إلى الهالوك "، التى تركت أثراً إيجابياً على الحركة الأدبية الفلسطينية ، وعلى جيل الشباب بالذات.

ومن الواضح أننى لم أجمع شيئا من هذه النتاجات فى كتب . وكان يحيرنى ، وقد اتجهت للنقد ، أن أحداً لايبادرنى بالنقد ، بل إن الناقد أن توخى الموضوعية سيواجه بالصد والهجوم كما حدث معى أحياناً ، ووجدت علاجاً فى عدم الرد.

فى حيفا زرت ، جريدة " الاتحاد " مراراً – برفقة الشاعر عبد الناصر صالح والكاتب محمد البطراوى ، وقد كتبت بها الشئ اليسير ، ومازلت أذكر المقابلة مع المرحوم الكاتب الكبير أميل حبيبى والتى كلفنا بها لمجلة " الكاتب " ، أما عبد الناصر صالح ، فقد نشر عددا كبيرا من قصائده على صفحات " الاتحاد ".

كما زرنا " الجديد " مراراً وكتبت بها قصة ونقداً ، وحتى بعض النثر الشعرى ولا أقول قصيدة النثر . كان سكرتير تحريرها المرحوم سميح صباغ ورئيس تحريرها محمد على طه وآخرون . وقد أقمنا علاقات متميزة مع أنطوان سلحت (محرر الاتحاد الثقافى – أنذاك) ورياض بيدس (مراسل " اليوم السابع " – صدرت فى باريس والذى أجرى معى مقابلة لها).

وكان مكتب الشاعر الفلسطينى الكبير سميح القاسم فوق مقر " الجديد " ، وقد توطدت علاقتنا معه ، وساهمت شخصياً بالكتابة عنه فى أول عدد من أعداد مجلته " إضاءات " . وقد توطدت علاقتنا مع ابن عمه الناقد نبيه القاسم الذى عمل سكرتيراً لتحرير " إضاءات " وأصدر العديد من الكتب.

وكنت أساهم فى الحضور والإسهام فى نشاطات التكريم التى قامت بها مؤسسة " الأسوار " مثل : تكريم الشاعر سميح القاسم والقصصى المعروف محمد على طه ، فى أحضان عكا القديمة.

وكان لنا نشاطات فى الناصرة، فى مؤتمر الشعر الأول عام ١٩٨٦ مع الأخوة : سمير شحادة ، عبد اللطيف البرغوثى ، عبد الناصر صالح ، المتوكل طه.

وقد أقمنا فى فندق " جراندنيو " على حساب مجلة " كنعان " لصاحبها صالح برانسى ، وقد استمرت

اللقاءات لعدة أيام ، وكان هذا اللقاء ، فى رأيى ، من أوسع اللقاءات بين الطرفين كتاب ٤٨ وكتابنا ، وقد شارك فيه نفر من الأكاديميين من جامعة بيرزيت تحديداً.

وكان لنا نشاطات فى المثلث ، باقة الغربية ، والطيبة تحديداً ، وأذكر ، هنا ، نشاطات الصديق عبد الحكيم سمارة وإصداراته ، وخاصة مجلتا " المسيرة " و" شمس "، وكانت لديه دار نشر باسم " دار اليسار " ١٩٧٩ و" دار شمس " بعد ذلك ، ومنها صدرت مجموعتى القصصية الثانية " الداخل والخارج " ، ومجموعة عبد الناصر صالح الشعرية " داخل اللحظة الحاسمة ".

وفى الطيبة تعاونا مع " حركة النهضة " وساهمنا فى إصدار مجلة " النقاء" ، فقد كنت أشرف على تحريرها مع الزميلين عبد الناصر صالح ويوسف المحمود ، بالإضافة لزيارة مركز إحياء التراث والمساهمة فى مجلة " كنعان " التى كانت تصدر عنه .

وتتوالى الأسماء فى الذاكرة فى كل هذه الأماكن ، مما يطول ذكره . وفى جريدة " الشعب " المقدسية كنت على إطلاع على نشاط محررى الصفحة الأدبية على التوالى : د. عادل الأسطة وعبد الناصر صالح.

كما شاركت فى المهرجان الثقافى الوطنى الأول عام ١٩٨١ والمهرجان الثانى عام ١٩٨٢ فى القدس ، حيث كان دورنا ينحصر فى التعليق على النتاجات المطروحة مثل : نتاجات أسعد الأسعد وعبد الناصر صالح وجمال سلسع ، وسميح فرج وكلهم شعراء ، وبعض النتاجات القصصية.

وأشير بسرعة إلى النشاطات فى مسرح الحكواتى بالقدس أيضاً ، حيث كان لى إسهامات بالتعريف بالدراما عموماً ومناقشة مسرحية لسعد الله ونوس ، هذا بالإضافة إلى كثير من المؤتمرات والأمسيات الشعرية ، وكان لنا نشاطات متكررة فى جنين ، فى مقر " الهلال الأحمر " ، وقد ساهم فيها أيضا الأخوة : سميح القاسم ، فدوى طوقان ، المتوكل طه ، عبد الناصر صالح ، عبد القادر العزة ، سميح فرج ، وآخرون.

وفى جامعة النجاح الوطنية بنابلس ، ساهمت فى يوم دراسى فى الجامعة ، شارك به العديد من الأخوة ، ثم لاحقاً ندوة عن عبد الرحيم محمود ساهم بها الكاتب أميل حبيبى.

وفى اتحاد الكتاب الفلسطينيين ساهمت بنشاطات عديدة خاصة عندما كان مقر الاتحاد فى عمارة " الأهرام " – القدس ، ١٩٨٩ ، وقد ساهم كتاب كثيرون منهم العديد من الأكاديميين الفلسطينيين : د. محمود العطشان ، د. عيسى أبو شمسية ، د. عبد اللطيف البرغوثى ، د. عادل أبو عمشة ، د. يونس عمرو ود. ذياب عيوش.

تلت ذلك نشاطات امتدت حتى الآن .. نشاطات قمنا بها . مؤخراً ، تحت اسم ورعاية وزارة الثقافة وممثلها الشاعر عبد الناصر صالح فى طولكرم . منها ندوة حول إسهامات الشاعر عبد الكريم الكرمى " أبو سلمى" شارك بها : حنا أبو حنا ، د. محمود العطشان ، د. عيسى أبو شمسية ، محمد البطراوى ود . عبد الكريم خشان.

ومنذ عام ١٩٩٤ قمنا بنشاطات كثيرة فى مواجهة الجمهور ، خاصة القراءات الشعرية ، واستضفنا فدوى طوقان وسميح القاسم ومحمد القيسى وأحمد دحبور وشعراء آخرين كثيرين ، أخص بالذكر منهم أخى الشاعر الصديق سليمان دغش ، الذى كان ، ولايزال ، دائم الحضور إلينا ومشاركاً فى كل نشاطاتنا .

مثل هذه النشاطات واللقاءات ساهمت فى التفاعل والتقارب الفلسطينى الفلسطينى وعززت الهوية الفلسطينية بالجهد والإنتاج .

لقد أصبح الكثيرون يشعرون أن هذا الزواج بالإكراه سيطول ، وأن الفضاءات العربية تبتعد ، رغم مايصلنا من أشخاص وكتب وهو كثير ، ورغم تعزيز كل ذلك بالانخراط فى نشاطات أدبية عربية لأسماء معروفة ولممثلى أجهزة ومؤسسات لاحقا.

لقد أسهم الشعراء والكتاب : عبد الناصر صالح وعلى الخليلى والمتوكل طه وزكى العيلة وغريب عسقلانى وعبد الله تايه فى تعزيز وتعميق اللقاء الثقافى الفلسطينى العربى ، من خلال مشاركتهم الفاعلة فى الندوات والأمسيات الثقافية المنبثقة عن معرض القاهرة الدولى السنوى للكتاب ، وفى مهرجان جرش الدولى الذى يعقد سنوياً فى العاصمة الأردنية عمان ، وفى فعاليات وندوات أدبية وفكرية مهمة أسهمت فى إثراء الثقافة الوطنية الفلسطينية وفى تأصيل عمقها القومى العربى ، حفاظاً على وحدة الثقافة الفلسطينية وامتدادها القومى.

وقبل قدوم بعض الأخوة من الشتات ، سادت هنا خاصة عند صغار الناشئة ، المباشرة وطغيان الشعارات الفئوية والادعاء بفضل المضمون عن الشكل للاعتزاز بمضامين وثابة ، حسب التعبير الذى استخدم . وتعزز ذلك كله زمن الانتفاضة الأولى التى اندلعت عام ١٩٨٧ م ، فصل النهوض الجماهيرى الشامل والرائع ، والذى كانت آثاره سلبية كما ندرك ذلك ، الآن ، ليس هنا مكان تقصيها . ولاشك أن كثيراً من الاخوة القادمين ، جاءوا بتجارب أنضج بحكم الاحتكاك فى الخارج ، ورافق ذلك الخيبة التى تلت انتهاء الانتفاضة.

كل ذلك خلق أجواء جديدة . فيها نوع من برود الرأس والانحياز للفن الحقيقى ، لا الشعار.

أملى أن يتم التفاعل بيننا إلى أقصى مدى ممكن ، مع التمسك بالقول بأن لاقيد على حرية الإبداع.

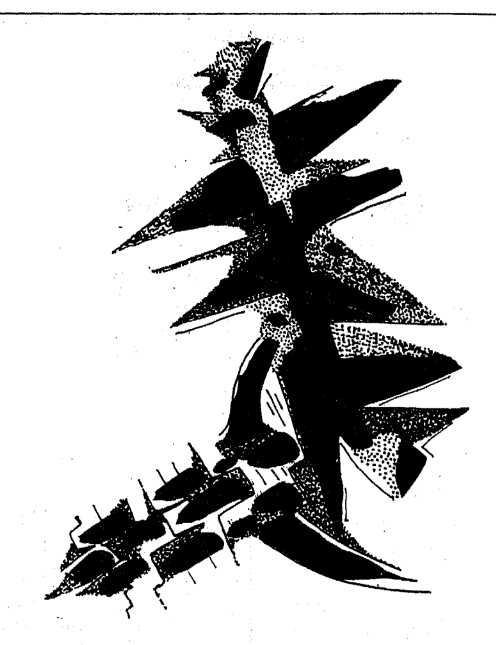
وأرجو أن أشير ، هنا ، إلى بعض الظواهر المقلقة ، منها كثرة المنابر ربما دون تنسيق ، ومنها التوجه إلى الظاهرة المهرجانية من باب الاستسهال وغياب المؤتمرات العلمية الجادة . واستقطاب الوظيفة لأعداد متزايدة من الكتاب ، فى كثير من الأحيان ، كمصدر رزق وحيد . وهبوط مستوى العديد من المنابر ، والتشجيع المبالغ فيه للناشئة ، بدل الأخذ بيدهم ومراجعة نتاجاتهم بجدية، وتفصيل أدواتهم الفنية ، عن طريق الندوات والمؤتمرات بل والورشات الدراسية.

وأخيراً ، لابد أن أشير لجهدى فى إطار الملتقى الفكرى فى القدس ، فمنه خرج أول مقرر للجنة الثقافية ، الشاعر على الخليلى ، وعنه نشأ اتحاد الكتاب الأول الذى كان لى الشرف بالمساهمة فى تأسيسه ، ثم ظهور الاتحاد الثانى واندماجهما فى اتحاد كتاب واحد ، جمع أبناء القطاع الحبيب لسنوات ونشأت صداقات أثيرة بيننا وبينهم.

شخصياً ، كان لى نصيب من هذا ، ويسؤونى اليوم أن لاتستمر هذه العلاقة الآن ، لقد تحمل العديد من الاخوة ، هناك ، مشاق الحضور للقدس رغم الصعوبات ، آمل يوما أن يفتح باب جديد للتفاعل الفلسطينى- الفلسطينى مما يدعم الوحدة الوطنية بالفعل .

لقد تأثرت بمدارس فنية أيديولوجية كالماركسية ، على مستوى الثقافة بالدرجة الأولى ، ثم كانت ، هنا ، نقطة افتراق ، إذ توجهت لمدارس غربية كثيرة كالبنيوية ، وهناك الآن تيارات كثيرة منها تيارات ماركسية غربية بمفاهيم جديدة ، وأجد نفسى الآن فى بعض مدارس مابعد البنيوية ، مثل التفكيكية ، ثم المدرسة الألمانية الحديثة بدءاً من مارتن هايدجر وانتهاء بأدرنو . ويهمنى بالدرجة الأولى مدى انعكاس مثل هذه المدارس على الجهد العربى ، المغرب كصورة أولى متقدمة.

لقد مر زمان القول بالنص كبنية معزولة عن الواقع والتاريخ ، ولاتنظر إلا فى ذاتها ، وأشار كثيرون إلى



علاقة النص بكاتبه ومجتمعه وبالتاريخ على أسس جديدة ، فلم يعد العمل الفنى إفرازاً مجتمعياً ، بل إن العمل الفنى يعتبر جاذبا للمجتمع ، وفى الوقت ذاته يتفلت ولايرضى بعلاقة الإلحاق القديمة.

لقد سقطت شمولية العلاقة وميكانيكيتها ، وهناك الآن ضرورة للتحليل والتأويل قبل أى إشارة لطبيعة العمل الفنى الإشارية أو الرمزية.

وعرفنا أن العمل الفنى لابد أن يكون نصف واضح ، يبقى فيه شئ للتخيل والتأويل ، فوضوحه التام يسقطه كعمل مسطح ، وغموضه يصد عنه لألغازه وانغلاقه.

وأخيراً ، فان القول بأنه لم تكن هناك نتاجات بحجم النكبة ومستوى آثارها وأصدائها ، يمكن أن يكون قولاً صحيحاً ، ولكن ذلك يجب أن لايعفينا من التوجه لجمع وتصنيف ودراسة العديد من هذه النتاجات ، هنا ، وعلى نحو أوسع فى الشتات الفلسطينى الذى امتد إلى معظم أرجاء الأرض.

غرقان ورا شاشة عنيه

إلى مها طلعت الشايب

سعدنى السلامونى

أقسم بالله ما حاشيل دمغايه
من على عنيه إلا ما ترجعى
أقسم بالله لو خمسوميت حاتودعى
أرجعى يامها
يامها أرجعى
***
أمك قاعده جنب التليفون مستنيه صوتك
أقسم بالله
طب كلميها دلوقت
جربى كدا
بس أوعى تكلميها عن موتك
أنسى موتك خالص
ولا كأنك موتى يامها
***
إيه يامها فيه إيه
إيه اللى حصل
أنتى كنتى مستنيه الموت ورا باب الحمام
ليه
ليه بتستنيه
طب ليه كنتى لابسه وش ملاك وماشيه بيه
ولا أنتى مولوده فيه

علشان خاطرى أرجعى
إسمعى بس قبل ما تموتى
أرجوكى
أرجوكى أرجعى
***
أقول لك سر
أ أ أ أقول لك سر
الناس مش عايزه تعزى أبوكى فى التليفون
كل الناس زعلانه
صدقنى
أول مره أشوف عيون خرسانه
عيون بتبص فى عيون
السما عايزه تنزل ع الأرض وتهبشها
الأرض مرعوبه
رعبها واخد لون
السكون لابس سكون
سيبك يا مهام الفكره دى
بلاش جنون
أتصلى بأمك
أتصلى على التليفون
***

أمك ما تهنش عليكى
وأبوكى قاعد غرقان ورا شاشة عنيه
كل ما يجى يسلم ع الناس بإيديه
تقع إيديه من إيديه
أبوكى روحه ماعدتش فيه
باقول لك إيه
باقول لك إيه
***
أنتى عملتى زى محمد شكرى بالظبط
خطف روحى من روحى
وحطها فى روحه ومات بيها
هما الميتين كدا دايما عيال
دايما يموتوا على سهوه
طب قولى أنا حاموت بعد يومين
لأ يامها.. لأ
أنتوا بتبقوا عارفين
أقسم بالله عارفين
والموت بيبقى باين فى عنيكم وأنتوا ماشين
فيها إيه
باقول ليك إيه
باقول ليك أمك قاعده عند التليفون
وأبوكى غرقان وراشاشه عنيه
***
أنتى فاكره الموت دا إيه
دانتى لو صرختى فيه
يقع
كان قبل ما يدخل جسمك ويسطره عليه
كننى خشى عليه ..
أفرميه تحت سنانك
كنتى موتيه أنتى وادفنيه
سبتى له نفسك ليه
داخاوى وهش ودبلان
أنتى مفكره الموت إيه
حتة كفن أبيض بيلفوها على جسم الإنسان

وبيرموا عليه شوية ميه على حبة برفان النهار
كل يوم يكفن الليل
والليل بيرفص جوه النهار عايز وشه يبان
وهى حتة زمان .. حتة زمان
الليل يحبى قايم مفزوع وفارش جسمه على الأكوان
سبتى له روحك ليه
لأ يامها لأ..
أنتى كنتى عايزه تموتى من زمان
مش دى لوحتك
روحك ماسكة فرشتك والموت بيلعب فى الألوان
الكورسى ميت الستاره ميتة حتى الفستان
الفنجان إللى مسكاه فى إيديكى ميت
شايفه الموت .. بيلعب على وش الألوان
أقسم بالله الموت فى اللوحه بيختفى وبيان
***
كل لوحة ليها باب
ولوحتك مرميه بضهرها على الضباب
الموت ضلمه
الضلمه كاتمه على السحاب
والموسيقى إللى بتطلع من بعد التسجيل
بتموت ورا الباب
***
الموت موتك
وأنتى حره فيه
عايزه ترميه تحت رجليك وتجى أرميه
وأنا قلت ليك
أمك مستنياكى على التليفون
وأبوكى غرقان ورا شاشة عنيه
كل ما يسلم ع الناس بإيديه
تقع إيديه من إيديه
***

شعر

الفينيق

محمد محمد الشهاوى

هو السكوت رضا يا أمة العرب
مهما نحاول
من التلفيق والكذب..
ياويحنا:
عميت فينا بصائرنا
واستفحل الخلط(بين الجد واللعب) (١)
إنا الجناة
وإن لم يعترف أحد-
ونحن
-لاغيرنا-
حمالة الحطب(٢)
تبت يدا كل رعديد ،
وإمعة يرى الدنية منجاة من العطب(٣)
يا ألف ألف «سجاح»
أو «مسيلمة» قد أوردونا المخازى
يا «أبا لهب»(٤)
هل كان فى وسع «هولاكو» المهوس(٥)
أن يجتاح «بغداد لولا:
خائن
وغبى؟
لا، لا يمار ممار فى خيانتنا
وفى انحطاطاتنا المفضوحة الرهب
هذا السقوط الذى تحياه أمتنا
أسبابه نحن مهما قيل من سبب
لم يبق فى الكون من قوم حياتهمو
هى المسوخ بلاهات
سوى العرب!
هيهات..
هيهات أن ينسى الزمان لنا
تلك «الكبيرة» مهما جد من نوب
هيهات..
هيهات أن ينسى الزمان لنا
جرما هو العار نصلاه مدى الحقب
هيهات هيهات :
إن الخرق متسع،
وكل ما ندعى ضرب من الهرب(٦)

ويا ربوع الهوى إنى لذو وله
بكل ظبى أغن طاهر وأبى..
بالله
حدثننى
-رغم الفجيعة-
عن« مها الرصافة» فى دل وفى طرب(٧)
هل لم يزلن كأمس روعة وسنا؟
أم قد غدون بقايا من (ضحى شحب)؟(٨)
و«كربلاء»؟
أما زالت يفئ لها
-من كل صوب-
قلوب ثرة الحدب؟
و«البصرة»/الغادة الحسناء
كيف غدا نخيلها الأخضر الأذكار والعذب؟(٩)
و«القادسية» وهى المجد يعرفه
عصر البطولات فى تاريخها الذهبى؟
و«الناصرية»؟
أهلوها؟..
منازلها؟
وكيف «بابل» ذات السحر والعجب؟
وكيف :
«أور»؟
و«سامرا »؟
وأودية بنينوى النور والأسـرار والقرب؟(١٠)
وكيف «أحياء بغداد الرشيد» بدت
بعد الدمار وهول الحرب والحرب:
«الأعظمية/حى الوجد مؤتلقا؟
و«الكاظمية»/مهد السادة الشهب؟
ومكتبات «المثنى» و«ابن ساعدة»
ودور أعرق «آى الفن» والأدب؟
وكيف «أبنية»كانت مقاصرها
هى لعرائس فى أثوابها القشب؟
وكيف كيف؟؟
ويمضى العمر أسئلة جمرية الغيظ
والأوجاع
والغضب!
لا كنت يا ساعة النحس التى جلبت
لنا« جد يد مغول» النهب والسلب
ويا «محاريب» كم فاضت جوانحها
بالذكر،
والفكر،
والتسبيح،
والخطب(١١)
وقد سما النور بضا من مآذنها برقا له
ينطوى
ماران من حجب..
لا سامح الله- يوما-شرقنا العربى
ولاحبانا الشفا من عقلنا الخرب
ولا وقانا
-وإن طال البلاء بنا-
شر البلاهة والأهواء والريب
أخلق بقوم تمادوا فى عمايتهم
أن يحسبوا العار مجددا باذخ الرتب
عيناك غابتا نخيل ساعة السحر

أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر)(١٢)
عيناك؟.
عيناك
-مهما قد جرى-
قمر..
من شرفة «الكرخ»
يبدو وجهه النضر(١٣)
منمنماً برواء صاغة القدر
بغداد
بغداد
إن القلب منشطر
منذ أعترى «رافديك» الهم والكدر
واستهدفت غيلك الأرزاء والغير
بغداد ! بغداد :
يا ليت الفتى حجر(١٤)
لم يضنه الوجد
والتحنان
والذكر
ولم ينل قلبه
-إذ نالك-الخطر!
بغداد
بغداد/ يا جرحا تحدثنا
عنه تهاويل لا تبقى ولا تذر
هم الوحوش مساعيرا
هم «التتر»
هم الأفاعى بها كم يخدع البصر
هم اللصوص
هم الفوضى
هم« النور»..
من أوردوك بحار الموت ذى اللهب
وعاقبوك قصاصا
فى دم كذب(١٥)
ما أفدح الخطب لو لم تعر أعيننا
غشاوة أحكمتها كف مستلب!
بغداد..
بغداد..
إنى من مصابك قد
(شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى)(١٦)
بغداد..
بغداد..
إنى صرت عاصمة
للحزن
والسهد
والأسقام
والوصب
وشاهدى:
جسد لم يبق منه
سوى« لاشئ» تبصره عين لمرتقب
بغداد..
بغداد/يا عشقى، ويا ولهى
ويافراديس من حسن ومن حسب
بغداد..
بغداد..
إن تدعى من العرب
(فـــإن فى الخـــمـــر مـــعنى ليس فى العنب)(١٧).

بغداد..

بغداد..

كم«جنكيز»

كم« تتر»

وكم« بويه»

وكم عاد ومغتصب(١٨)

وكم، وكم –يا عراق الرافدين

وكم..

وشمس مجدك

لم تهتز أو تغب

أعظم بشعب هو« الفينيق» معجزة

مهما يصادف من الأهوال

والكرب(١٩).

اشارات

(١) إشارة إلى قول أبى تمام: فى حده الحد بين الجد واللعب

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد

(٣) إشارة إلى قول أحمد شوقى :

إذا الفتنة اضطرمت فى البلاد

ورمت النجاة فكن إمعة

وقول آخر ممن يرون الماكيافيللية والانتهازية والإمعية فطنة وعبقرية:

والله دار مرئ عاقل يدير الزمان على فطنته

ويلبس للدهر أثوابه ويرقص للقرد فى دولته

(٤) سجاح و«مسليمة» كاذبة وكاذب ادعيا النبوة –بعد انتقال الرسول محمد(ص) إلى الرفيق الأعلى– حتى إذا ما تلاقى هذان الكاذبان خلفا للتاريخ قصة هى غاية فى الدعارة حفظتها لنا كتب التراث.

(٥) هولاكو: قائد التتار الذى سقطت على يديه بغداد عام ٦٥٦هـ(١٢٥٨)م.

(٦) إشارة إلى قول «أنس العباس بن مرداس» –وقيل «لأبى عامر جد العباس بن مرداس:

لانسب اليوم ولاخلة

اتسع الخرق على الراقع

(٧) إشارة إلى قول على بن الجهم:

عيون المها بين الرصافة والجسر

جلس الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

(٨) إشارة إلى قول أبى تمام:

ضوء من النار والظلماء عاكفة

وظلمة من دخان فى ضحى شحب

(٩)العذب: جمع عذبة ، الخرق التى يتخذها المتصوفة أعلاما وأغطية للرأس.

(١٠) إشارة إلى قول الرسول (ص) عن نينوى لعداس حارس بستان ابنى ربيعة : عتبة وشيبة عندما أرسله سيداه بقطف من عنب إلى الرسول وهو –عليه السلام– مسند ظهره إلى حائط البستان ملتجئا إلى الطائف وقد سأل عداسا عن دينه وبلده ..فأجاب عداس : نصرانى من نينوى فقال الرسول(ص) : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ فقال عداس : وما يدرك ما يونس بن متى؟ فقال عليه السلام : ذاك أخى، وأنا نبى وهو نبى.

(١١) المحاريب : جمع محراب . قال تعالى :كلما دخل عليها زكريا المحراب (آل عمران–٣٧) وقال تعالى : فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب (آل عمران –٣٩) وقال تعالى : وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب (ص–٢١) ، وقال تعالى: يعملون له ما يشاء من محاريب (سبأ–١٣).

(١٢) بدر شاكر السياب «أنشودة المطر»

(١٣) إشارة إلى عينية «ابن زريق البغدادى» حيث



يقول :

أستودع الله فى بغداد لى قمرا

بالكرخ من شرفة الأزرار مطلعه

(١٤) إشارة إلى قول «تميم بن مقبل» : لو أن الفتى حجر!

(١٥) إشارة إلى قوله تعالى –فى سورة يوسف :جاءوا على قميصه بدم كاذب.

(١٦) إشارة إلى قول المتنبى

طوى الجزيرة –حتى جاءنى–خبر

فزعت فيه بآمالى إلى الكذب

حتى إذا لم يدع لى صدقه أملا

شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى

(١٧) إشارة إلى قول المتنبى فى رثاء خولة أخت سيف الدولة الحمدانى:

وإن تكن تغلب الغلباء عنصرها ..فإن فى الخمر إلخ.

(١٨) جنكيز خان أو جنكزخان هو جد هولاكو / الذى أسقط بغداد وقتل الخليفة «المعتصم بالله .. التتر أو الططر أو التتار، أو المغول هم شعب مملكة هولاكو ابن طلوخان بن جنكرخان .. بويه :المقصود «بنوبريه» من بنى الفرس.

(١٩) الفينيق : طائر أسطورى كلما شاخ احترق فيولد من جديد.

شعر

مع إنه فرح

محمود جمعه

الشمس بتلم النهار .. وكانها ورا
ضيها كناس
والناس .. هما الناس ..
مع إنه فرح .. اليأس سرح .. والحزن
فتح
طاقة وراح يدبلها
زغروطه تاهت من شفايفها
لا حد سامعها .. ولاحد شايفها
أهى صوت ومرمى فى الفضا .
لاهو زاعق ولا هماس .
القسط جنب القسط واقف
فى العيون وعلى الشفايف
فى الإيدين
القسط جنب القسط يفرش
شقة العروسين
الزحمة مفروطة
لاهى لامه ولا ضامه
هموم جايه تقول مبروك
لناس فى الفرح .. محطوطه
والفرح واقع م الوشوش .. منداس

هما الناس .. فى القرن الواحد
والعشرين
فى العام التالت بعد الآه .. والآه
فستان زفاف .. بيزف مش عارف
على بنت .. مش عارفاه .
اليوم صخب محروق
الصبح واخد خطوة الرايحين
الضهر جايب خطوة الراجعين
والدم من كل الوشوش مدلوق
الدم نازف فى العروق
الدم غضبان م الإيدين
الموت خلاص
واصل بحزنه للفرح ؟؟؟
عايشين بننزف عمرنا ع الضفتين
من يوم ماشيعنا الحماس
وف وسطنا ناس
بتسد جرح فى قلبها
وتشد بكره برمشها
حانروح لها ؟
ولا حانفضل ميتين؟

ما تركته فى يده

إسلام سلامة

أسبلوه
وأسندوا ذراعيه بجانبه
كهدير البحر
أو كمظاهرة عارمة
سمع الصراخ
يخرج صادقا من الحناجر
ولما رأى راية سوداء
مرفوعة على الشاطئ
تأكد أنه البحر
***
(دنيا)
هكذا أطلق الحانوتى زفرته
وشمر عن ساعديه
وأخلى المكان
وكأى ميت
لم ينبس
رغم الماء الساخن
لكنه
أراد أن يشعل النار
فى لحية الحانوتى
لما دعك عضوه بشدة آلمته
......
......
كلحن كنائسى رتيب
سارت العربة
تعالى الصراخ أكثر من ذى قبل
هتف فى السائق
أن يسرع قليلا
ليقتل هذا الملل
لكن أحدا لم يسمعه

ابنه الوحيد سقط من طوله
ولأن الجنازة خسرت واحدا مهما
تبرم داخل التابوت وهو يمط شفتيه
ابنته
-بحرفية بالغة-
اكتسبتها من موت أمها
نثرت ترابا كثيفا فوق رأسها
وهى تجرى خلفه
أراد أن يصفق
لولا يداه المحشورتين بشدة
داخل الكفن
فوق العربة مباشرة
أعقاب السجائر التى دهسها بقدمه
شكلت نصف دائرة
وطارت كسرب فوق تابوته
وهى منكسة رؤوسها
فشعر بامتنان شديد
حرارة المقعد الذى تركه دافئا
نصف كوب الشاى الذى لم يكمله
حتى البقعة التى تركها على مفرش الطاولة
كلهم شيعوه طالبين له الرحمة
أمام المقهى
الأكواب والمقاعد
ترفع سباباتها فى الهواء
وتقرأ الفاتحة
بمفردهم
سار أصدقاؤه متجاورين
أشفق عليهم
وهم يبكون بكل هذه الحرقة
تذكر
-رغم امتناعه عن الصلاة من سنة كاملة-
أنه لم يكلم الله بشكل جيد
فى صلاته الأخيرة
منشغلا بإحصاء الخلايا
التى تآكلت من جسده
وزوجة ابنه العقيم التى لم يأخذ بخاطرها
والكتاب الذى تركه مفتوحا
ضحك كثيرا من عصبيته الزائدة
(لن أجد بعد الآن ما يثيرنى)
كان رجل عجوز
متكئا على قبر زوجته
فشتم بشدة
وزعق
حتى بحت حنجرته
ولو أنه يتنفس
لتحشرجت أنفاسه فى صدره
الأمر الغريب
أنه لا يزال يغار على زوجته
بعد كل هذه الفترة من موتها
فى الأسفل
كانت روحه تجلس
مربعة قدميها
وهى تسند رأسها على باطن كفها
ضغطت يده بحنان
ودست فى كفه شيئا
وطارت فى أثر آخر المشيعين
ما يضايقه الآن كثيرا
أن قصيدته التى سيكتبها
عن موته-فيما بعد-
لن يستطيع أن يقرأها على أحد.

قصة

ضحايا الإكسليفون

طارق إمام

* البريمادونا تلطم

.. لطمت البريمادونا حيث انحشرت القطة فى تفاحة عنقها . لم تكن صيفية وهى تعلن عن سيادة الأزرق على المكان ، غير أنه ، وبوضع البرتقالى فى الأركان المنسية من العتمة ، صارت البريمادونا ميتة تماماً .

منذ قليل ، احتضنت الممثلة الشابة نفسها منتظرة التصفيق ، ولكنها اكتشفت فجاة التصميم الغريب للقاعة الذى يقضى بأن يجلس المتفرجون وظهورهم للمسرح . جلست على الكرسى واضعة يديها على المسند ، وأمكنها بهذه الطريقة أن توجد مسافة كافية بين ساقيها ، قبل أن ترفعها ، لتعرف شكل البياض فى قاعة خالية من البكاء.

البريمادونا التى وصلت للثامنة والتسعين دون أن تفكر فى أيام الخميس المقبلة ، كان صوتها يخرج من جهاز التسجيل المخبأ بعناية ، ولأن القطة حين انحشرت فى عنقها ظل فمها مفتوحاً دون حركة ، فقد عرف الجميع الخدعة . فى الحقيقة ، لم يكن الخروج من المأزق مستحيلاً ، فالكراسى جميعها كانت خالية ، وليس ثمة من يتلصص على صاحبة الصوت من الأعداء القدامى ، كما كانت أجهزة التصوير عطلانة منذ وقت طويل . إضافة إلى هذا ، لم تكن هناك جلبة ، فقد حاذرت البريمادونا وهى واقفة لثلاث ساعات على سرير غرفة نومها ، ألا تعرف الممثلة الشابة – التى تنتحر فى الصالة – أى شئ عما حدث.

* موت الممثلة الشابة

.. قالت فى حضوره غياب ، وفى غيابه كل الحضور .

ثم أضافت ، : مثل طائر فى العنق ، مثل صائد يخاف من نفسه .

وعقبت : يعبر من ثقب إبرة ، وفى الليل يموت.

تقيأت طعام أسبوع كامل على السلالم ، واكتشفت عندما أخرجت المرآة من حقيبة يدها وجود نقطة دم محبوسة فى ركن العين . ثم تركت خيالها المجهد يسيل على سطح دار المسنين ، قبل أن تموت عند التقاطع . بتشريحها عرف الأطباء عذابها : كان قلبها فى الجانب الأيمن من صدرها ..

* البريمادونا تضحك

.. ضحكت البريمادونا وهى تختبر ماضيها عند طبيب الولادة . كانت تعرف القليل عن أمجاد

العائلة . بوضع الصور فى حالة تجاور محكم ، والمرور بسرعة أقل قليلاً من سرعة الضوء ، يتحول التاريخ أمام عينيها لفيلم محكم من أفلام الحركة .

فى العناية المركزة صرخت : أقاربى يموتون فى العالم الآخر . وعندما وضعوا جهاز التنفس الصناعى على أنفها تأكد لها أن مقبرة فى طرف المدينة تجولت فى الشوارع القريبة من البحر على كرسى متحرك.

" اليود مهم لنمو الموتى " . هذا ماأكده الطبيب الشاب الذى تعرض لخطأ فنى عند ولادته تسبب فى تلك الطريقة الغريبة التى كان يتكلم بها. كان الصوت يلى حركة الفم بثوان قليلة ، وحين يتوقف الفم يكون الصوت لايزال منهمكاً فى إنهاء الجملة ، فيبدو مثل ممثل راح ضحية لعملية دوبلاج غير متقنة . ولكنها كانت متأكدة أن ثمة مّن نزع عظامها أثناء الغيبوبة حتى صارت مثل سحلية.

كانت القطة فى الواحة ، حيث أتوا بالبريمادونا عمياء ، وكان قوامها نصف المتماسك يهتز مثل قطعة من " الجيلى".

بعد نصف ساعة ، أخرجوا من بطن العذراء ثمانية وتسعين عاماً من الصراخ ، وبعض الأبناء المحتملين . وحيث خبطت بقدميها الأرض متذكرة طفولتها ، صرخت القطة مع طاقم المستكشفين ، فقد انفجر شلال المياه المعدنية ، متجهاً صوب شعيرات عانتها المصبوغة ، لتعود إلى بياضها الحقيقى ، وهكذا ضحكت البريمادونا من جديد ، قبل أن تطلق صرختها الشهيرة فى أوبرا " عايدة " ، ثم تقع ميتة فى مكانها ..

* دست سمّها فى التخت

.. كان المنشد الضرير يبحث عن صوته فى فتق هواء ، حيث عبرت الطائرات منذ قليل تاركة نقاطاً جافة من الدماء بدت ، فى البئرين المتطلعين لعتمة قناعه الصامت ، كتثاؤب خجل لإله محبط . فى إرتعاشة جلبابه ، وبامتداد كتفيه اللذين خلصهما ماضيه القريب من ثقل الإثمين الرفيعين ، أمكنه أن يتخيل حياة الكائنات القليلة التى عبرت بهدوء بين صفين من المقاعد الرسمية ، باتجاه البحر ، والتى — وعبر الامتداد النسيجى الصامت لتخيله — بدت كحيوانات حقل هاربة تهرول فى قلب المقابر باتجاه نقطة انطلاقها فى تلك الظهيرة ، وحيث كان المنشد الوحيد المكن فى مكان كهذا يرقب ظلال التحركات الأنثوية لهلاك موشك ، كانت القطة قد دسّت سمها فى التخت ، وعند الطريق الموحل الصاعد لأعلى ، حيث يتخلى المكان عند نقطة معلومة عن غرامه المترب المعلق ، أمكنه أن يبصر أسراب الشيعة الذين انهمكوا فى وضع اللمسات الأخيرة لسباق الدراجات البخارية . المنشد الذى تحول الذباب بين يديه فجاة لألم عذراء أتاها الإثم فى منامها ، كان يهش ، بمنشة صغيرة فى فمه ، تلك السعادات التى هاجمت النائمين فى مخيم الإيواء ، وعندما أحس بوقع اللاجئين وهم يعبئون الأرز الأصفر فى حقائب السامسونايت ، كان شباكا صدغية قد انفتحا ، فخرجت الريح من جانبى وجهه صانعة نهاية ملائمة للطنين الذى حول اتساخ أظافره لأسطورة صغيرة.

بعث بالتحايا لنفسه، ثم صنع ثقباً جديداً فى عروسة طفولته الورقية ، تاركاً المعبد يحترق ذاتيا ،

وفى الصباح عثروا على التمثال الرخامى الشاخص لأسفل حيث كان المنشد الضرير يدلى باعترافه الأخير ، للنمل ..

حكايتان فى حكاية

.. صنع حظيرة كبيرة ، وببطء ، أخذ يلم دجاجات الميتافيزيقا ، وعند حجر أمه الميتة – والتى كان طلاء أظافرها وشفتيها يتجددان ذاتياً – وضع الأجساد الصارخة اللامرئية ، تاركاً العصا فى اليد العجفاء تدورها . كان ضئيلاً ، وفى فوديه شيب . كان يطير قريباً ، وتعود أن يلم القملات المتضخمة بشعر أمه فى حصالة نقوده ، ولكنه كان مقتولاً بالسؤال الصعب : لماذا كلما اقترب الفجر يجد تاجاً مشرشراً يبرز فى مقدمة رأسه حتى إذا بان الضوء صرخ ، رافعاً رقبته لأقصى استطاعتها ، قبل أن يجد سخونة تجتاحه ، ليفيق على ضرب أمه المبرح – مغادرة موتها – ومزيحة دجاجة سمينة من بين وركيه.

فى شبابه كان يحلم بالسينما ، ولكن المشاهد القليلة التى أمكنه الحصول عليها كانت كلها فى الريف ، ولم يكن يدرى بنفسه إلا عندما يسمع صرخات كاك كاك الفزعة ، بينما المصورون يقومون بتقييده بالحبال . هكذا شاع مرضه فى الوسط الفنى ، وكانت الصدمة حين طلبوه ذات يوم ليقوم ببطولة فيلم إباحى مع الديكة . لم يكن ما أغضبه هو التلميح السافر بالشذوذ ، ولكن الاتهام المشين باللواط.

.. قبل بعد ذلك بصعوبة شديدة ، وبدافع واحد هو إنقاذ أمه – التى كانت فى تلك الأيام تحتضر – الظهور فى إعلان مرقة دجاج ، كان الإعلان عن ديك محافظ يرفض أن تتحول دجاجاته إلى مرقة ، ثم تدعوه إحداهن ليتذوق طبقاً من المرقة ، فيقول مندهشاً : « إيه الطعم اللذيذ ده ؟! » ، فتقدم له عبوة المرقة ، قبل أن يتجشأ سعيداً ، ويقفز فى العلبة.

نجح الإعلان نجاحاً منقطع النظير ، وأصبح شخصاً جماهيرياً ، كان كلما مر فى شارع يلتف حوله الأطفال ، وأجريت معه الحوارات التليفزيونية عن تلك الطريقة الغريبة التى كان من خلالها يبرز له عرف فى رأسه ومنقار فى مكان أنفه دون أى حيل فنية .. وهكذا انهالت عليه العروض ، ولكنه رفضها كلها ، خاصة أن أمه – التى كانت انتصاره الوحيد الباقى – ماتت فى ظروف ملتبسة وهى راقدة على سبع كرات تنس طاولة . وحتى عندما قدّرته الدولة باختياره شعاراً للدورة العالمية التى سيتابعها العالم بأكمله ، ظل حزيناً ، وتزامنت مفاوضات وضع صورته على علم الدولة مع تفكيره فى الانتحار . قام الأطفال بثورة لم تشهدها الدولة قبل ذلك حتى من رجالها كانت أولى ثمارها الموافقة على التعديل فى توزيع النشيد الوطنى لتستبدل الآلات النحاسية بأصوات الديكة والدجاج والعصافير . كل ذلك لم يكن كافياً للرجل الذى لم يكن يستطيع احتمال شعوره المؤلم بالوحدة مع امرأة ماتت تماماً تاركة له علامات حياة غريبة لم يكن يجرؤ حيالها على أن يودعها المقبرة ، لم تكن تتوقف عن إغراق البيت ببولها وبحصوات دقيقة جافة من البراز .. إضافة إلى طلاء أظافرها وطلاء شفتيها اللذين كانا يجددان من نفسيهما بل ويغيران من ألوانهما كل صباح . حتى جاء ذلك اليوم الاستثنائى الذى غادر

فيه هيكل جسدها البيت متجهاً إلى الدير . كانت عصاها الغليظة تتحرك فى الهواء بنفس الطريقة التى كانت تدورها بها ، مفزعة جحافل الريش غير المرئى دلف إلى الدير ، إن هو إلا سبع طوابق فى كل طابق سبع راهبات وسبعة أسود . الغرفة المفتوحة إلى يساره كانت واحدة من سبع غرف مغلقات دونها . دخلها فوجد رجلاً نحيلاً يجلس فى ظل سبع مرايا كل مرآة بحجم ، مما جعله يبدو كسبعة إخوة لهم ملامح مشوهة لأب قديم مشكوك فى صحة أساسه . كان سؤاله عن أمه أمام الرجال السبعة يقضى أن يطرح السؤال بسبع صيغ دون أن يغير من مغزاه.

لاحظ أن الرجل الذى تضاعفه المرايا يحتضن طوال الوقت قطة ترقد فى حجره غير أن القطة لاتظهر فى المرايا ، فيبدو الرجل – عبر السطوح السبعة – كلاعب بانتوميم محترف يملس بيديه على فراغ هواء حيوانى – فكر فى أمر هذه القطة . بعد وهلة ، وجد سبع قطط بأحجام مختلفة تجلس هانئة هادئة بين أيدى رجال المرايا السبعة ، ولكن الرجل الذى فى مواجهته ليس بين يديه شئ . عرف أن فى الأمر لغزاً ، قبل أن يقول فى عبارة مسرحية والدموع تترقرق من عينيه : الحياة لغز كبير.

نظر للمرايا من جديد ، فوجد نفسه عارياً سبع مرات بسبع أوضاع مختلفة وسبع أكف تملس على مؤخراته . أمامه كانت القطة تجلس راضية ولكن الرجل لم يكن موجوداً . الغريب أنه أحس بحركة غريبة تعبث فى جسده رغم أنه كان يقف وحيداً . فجأة وجد القطة تضحك ، بينما راحت عضلات جسده تنقبض ، وسلسلة ظهرة راحت تحدودب على شكل قوس . وأحس ببروز يغادر مؤخرته آخذا فى الإستطالة قبل أن يشهر حرا وحياً فى الهواء ، صرخ فسمع صوتاً غريباً يخرج من فمه.

عند عودته إلى البيت ، وجد الهواء خفيفاً ، والكائنات الفزعة ميتة عند قدمى أمه التى تأكد من موتها عندما تشمم رائحة التعفن وعندما وجد شفتيها وأظافر أصابعها وقد تخلصتا من الطلاء . لم يستطع أن يمنع نفسه – فى هيئته الجديدة – من إحضار الطبيب ليتأكد من موت المرأة التى عرف الآن أنه عاش معها عمراً كاملاً دون أن يعرفها . أكد الطبيب أنها ماتت بالطاعون . وفقط ، عندما بدأت الكائنات فى الهرب ، استطاع أن يراها ، كانت آلاف الفئران القرمزية تأخذ طريقها نحو السماء ، أشهر مخالبه ، ولكنه عند السماء السادسة فقد اتزانه ، فوقع ، ووجدوه صباح اليوم التالى ، فى الشارع المواجه للدير ، ميتاً ، وأمه بجانبه ، تضحك ..

* عصافير يهوذا

.. نزعت قداسة جملها التلغرافية من جهاز " الأنسر ماشين " ، قبل أن تبدأ ، ببطء ، فى دحرجة كرة الثلج باتجاه قاعة العزاء.

فى غرفة بعيدة ، كان ولى الله الصالح يرقب تجشؤه فى حضرة بنات السباحة الإيقاعية ، قبل أن يطلب ، فى حكمة ، من أتباعه الغارقين فى البكاء الذى يخلفه الذكر ، أن يقصوا عليه قصة الرب مع العصافير ومن جديد ، سأل ولى الله الصالح عن اسم المسلول الذى يهاجمه فى الكوابيس ممتطياً هودج وفى يده طائرة ورقية وحول لثامه الخشن آلاف العصافير تحركها الخيوط السماوية . قال له تابعه الذى بدأ يجهز للمؤامرة : فرانز كافكا ولى الله الصالح رآها فى ماء البئر . هكذا سمى القطة :



نرسيس ، ولم يكن قد بدأ دس أجهزة تجسسه فى الأشجار.

بدأت القطة صباحها من فجيعة المشاهد اليومية ، فعندما قال ولد لبنت " حبنا قصة خلق صغيرة " لم يكن يقصد تلك الكارثة التى على إثرها تم نقلها لمستشفى الأمراض النفسية ، حيث تجولت فى شوارع نصف المدينة ووقفت أمام البوتيكات وهى عارية إلا من أوراق شجر حول عورتها . هاجمته القطة فى تليفون العملة بينما كان يطمئن على سير إجراءات دفن أبيه .. قبضوا على ولى الله الصالح وهو يسرق الدجاج من سطوح بيت الأيتام ، هكذا عرف الخدعة ، فذلك الذى باغته مراراً فى كوابيس يقظته ، لم يكن فرانز كافكا ، ولكن : شبح يهوذا ..

* أحد ..

.. أعلنت خوفها من الكبارى المعلقة ، ثم انصرفت إلى شئون دنياها . قبلها ، كانت المدينة ترزح تحت شرور الأربعاء . الأربعاء الذى يلى الاثنين والثلاثاء ويسبق الخميس والجمعة.

لم يكن مقصدها يوماً تحرس فيه الظهيرة الذباب من نفسه ، ولايوم تنسل فيه عربات الجيش من أسر الصورة الشعرية.

أنفها فى البيادة التى عادت وحدها للمنزل معلنة عن موت صاحبها ، وعيناها فى النص الذى تكمن مرجعيته فى البياض بين السطور . ناهشة ناشبة فى المتن الذى كان هامشه يعلن لها كل شئ . كانت القطة تعرف أصول المعمار : يموت رجل كل دقيقتين عندما تزل قدمه فى قشرة موزة . الطوبة بجوار الطوبة لاتصنع جداراً . الحجر فوق الحجر لايقيم سداً . لهذا السبب هلكت المدينة التى كانت تتنفس شهيق ساكنيها . فى صباح الأربعاء المذكور بدأت الفتنة ، وفى المساء لم يتوقع أحد أن يكون ذلك الجالس بهدوء فى الكافيتريا ، ببذلة واقية من الرصاص ، هو قاتل حمزة .

التشريفة

د. فخرى لبيب

استيقظ بطبعى مبكرا .أحب سماع الأذان. أسبق المؤذن أو الحق به مع أنغام صوته.صياح الديك يهلل بباكورة إشعاعات الفجر يبعث النشوة فى نفسى يعلن فرصة الميلاد.

لكننى الآن لا أصغى للأذان ولالصياح الديك. أهب على طرقات آمرة تدك باب منزلى. أفتحه لأجد أمامه جنودا وضابطا يرتدون السواد، وضابط أخر يرتدى الزى الملكى. كانت دقاتهم فى الظلام تثبت الليل فلا يبين له صباح.

اقتحموا المكان بلا استئذن.

– أمن دولة

قال مرتدى الزى الملكى. أنا اعرفهم جيداً، فليست تلك هى المرة الأولى.

– فين أوضة مكتبك؟

أقف متصلبا .

– معاك أمر تفتيش؟

أظهر فى جيبه ورقة. سرعان مادسها فى جيبه ثانية. أقول له ومازلت واقفا متصلباً:

– أشوفه.

رد باستهانة:

- بعدين . ورينا مكتبك الأول، قبل ما ندخل الأوضة ع النايمين.

أتقدمه نحو مكتبى.يسبقنى جندى شاكى السلاح. يجلس الضابط الملكى فوق مقعد مكتبى، يقلب فى أوراقى، مستبيحاً كل شئ. من ورائى دخل الضابط الشاب الغارق فى السواد أخذ يلقى بالكتب من فوق أرفف المكتبة حتى تكومت فى تل صغير فوق الأرض . قلت له:

. دى كتب . دى أفكار وثقافة.

نظر إلىّ فى استهزاء، صعد فوق التل بقدميه . تصورت هذا الشاب الفذ «المحب للثقافة» عندما يصبح لواء، وابتسمت - غاظته إبتسامتى ففرك الكتب تحت حذائه.

فتش ضابط أمن الدولة باقى المنزل. لم يجد شيئا. قال:

- إلبس.

قلت مندهشا مستفهما:

- حضرتك عاوز حاجة؟

قال فى ضيق وتبرم:

- البس، عشان تيجى معانا.

- أنت قلت معاك أمر تفتيش!

قال فى حسم لإنهاء المناقشة:

أنا م قلتش. أنت اللى سألت على أمر التفتيش . وهوه نفسه أمر القبض عشان تستريح .

سألته مندهشا:

- هيه إيه الحكاية؟

لم يجب. واصلت سؤالى:

- هوه إنتو قفلتو التجمع ولا أيه؟

تلاعبت على شفتيه ابتسامة.

- لا يا سيدى . حزب التجمع لسه فى مكانه.

- طب أمال إيه الحكاية؟

قال فى هدوء:

- ضبط تحفظى بس . لغاية م تخلص التشريفة.

وإزدادت دهشتى.

- تشريفة مين؟

- الريس جاى من أمريكا . ولما تنتهى التشريفة هيفرج عنك على طول.

ولم أفهم كثيرا مما قال، لكننى ارتديت ثيابى وودعت زوجتى وبناتى، وحملت حقيبتى المعتادة فى مثل تلك «المهام» المفاجئة.

خارج باب الشقة مباشرة، وعلى امتداد السلم حتى باب العمارة، فسيارة الشرطة البوكس، وقف صفان من الجنود يرتدون الملابس السوداء وهم لابد أن يكونوا تحت إمرة الضابط الشاب «المحب للثقافة»، وقد حملوا الرشاشات ووقفوا فى وضع استعداد. وتمنيت لو أمكننى إيقاظ كل الجيران ليتفرجوا على هذا

الموكب المهيب الذى أسير فيه حماية لأمن الدولة . أمامى الضابط صاحب الزى الملكى وخلفى الضابط صاحب الزى الأسود. لكن الدنيا كانت ظلاما، ولم يكن يبين من هذا الموكب غير ظلال تبدو كأشباح أثيرية تجئ كالكابوس مع نسمات فجر خنقت إشعاعاته.

انطلقت السيارة البوكس وخلفها سيارة الحراسة. وقفت البوكس وطلبوا منى النزول فنزلت. كنا أمام قسم النزهة - أحاط بى جنديان - تقدمنى الضابط الملكى. مال إلى حجرة الضابط النوبطشى - سلمنى إليه وغادر استدعى الضابط النوبطشى جنديا - قال له فى سأم وهو يوشك أن يتثاءب.

- وديه التخشيبة.

سألنى الجندى ونحن نتجه إلى التخشيبه..

- أموال عامة؟

قلت:

- لا، سياسى.

هز رأسه السياسى زبون حافظته مليئة بالشعارات. ومتهم الأموال حافظته مليئه بالمال العام. الذى يمكن لهذا الجندى أن يحظى ببعض من فتاته. فتح باب التخشيبة فهبت منه ريح عفنة. لامفر من الدخول ، فالجندى لابد وأن ينفذ ما أمر به. وعلىّ وأنا أدخل ألا أُظهر التقزز فى قسماتى. فذلك عالم بذاته، لا يقبل من يضيق به. أفسح أحدهم لى مكانا فوق الأرض فجلست فوق حقيبتى.

سألنى جارى:

- رشوة ولا اختلاس؟

ابتسمت.

- لادى ، ولا دى أنا سياسى.

أبدى الرجل دهشته.

- أهلا وسهلا. بس إيه المناسبة؟

- التشريفة، تشريفة الريس.

قهقه الرجل.

- ده بيجى نص التخشيبة، ممسكوين تشريفة.

كان المنظر غريبا. فجميع نزلاء التخشيبة تقريبا يرتدون ملابس بلدية أو عادية فقيرة.

وساءلت نفسى إن كانت الحركة اليسارية الجديدة د نجحت إلى هذا الحد المذهل بين الجماهير الشعبية.

قلت لجارى سياسيين!!

عاد يضحك من جديد،

- دول بياعين البطاطا والتسالى، السودانى واللب يعنى، والدره المشوى . دول السريحة اللى بيبيعوا للزباين اللى جاييناهم الحكومة فى انتظار الريس . الحكومة م بتحبش السريحة قامت مسكتهم لغاية التشريفة م تخلص. وعشان الأمن والأمان برضه.

والحكومة كمان عاوزة التشريفة نضيفه. مش ممكن أمريكا واسرائيل يصوروا و التشريفه، ويطلع فيها

الواغش ده.

وعجبت لهذا الرجل وتعليقاته، فسألته:

– وانت جاى فى أيه؟

قال وهو يرفع حاجبيه:

– والله أنا برئ.

كنت معتادا على مثل تلك الإجابات . فقلت له مؤكدا:

– طبعا، طبعا، بس هيه إيه تهمتك؟

قلب يديه مع حاجبيه:

– تزوير فى أوراق رسمية.

– وانت أصلا شغلتك إيه؟

– محاسب

– أهلا وسهلا.

أحسست بالإرهاق .تثاءب وتثاءب جارى. وسقطت نائما حيث كنت . لا أدرى كم مر من وقت. لكننى استيقظت علي دفعة في ذراعى، وصوت يقول:

– إصحى يا أستاذ.

كان جارى المحاسب. اكتشفت بنظرة سريعة أن التخشيبة قد خف زحامها كثيرا.

خَلَت من كثير من سكانها. تساءلت:

– راحوا فين أمال بتوع التشريفة؟ بتوع البطاطا والتسالى؟

وابتسم جارى.

– خرجوا. التشريفة خلصت. أنا سبتك نايم. يظهر إنك كنت تعبان قوى.

وسمعت اسمى يُنادى من باب التخشيبة. قال جارى:

– يمكن فُرجت.

ابتسمت وأنا آمل ذلك.

– من بقك لباب السما.

قال الشاويش:

– فيه ضيوف جايبينلك.

أسرعت إلى حجرة الضابط النوبطشى. كان هنالك شقيقى وزوجتى . تبادلنا «السلامات» فى اشتياق، كأن بعادا طويلا مر، أو بعادا أطول قادم. سألت زوجتى:

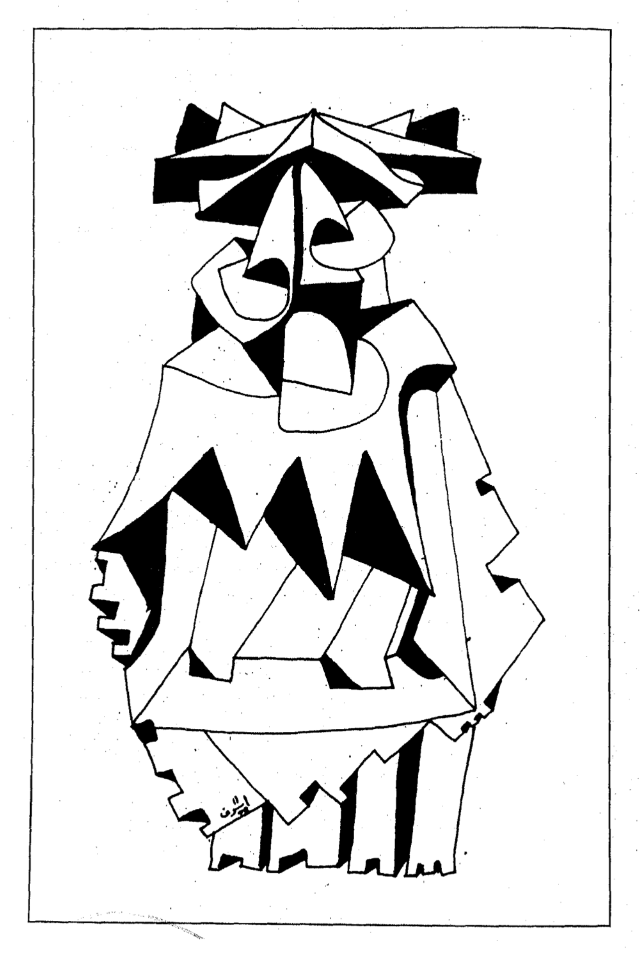
– إزى البنات؟

قالت وهى تهز رأسها:

– كويسين.

قلت للضابط النوبطشى:

– ضابط أمن الدولة قلى إنى هخرج بعد التشريفة على طول.



ابتسم ابتسامة متخابث.

– وانت بتصدق أمن الدولة برضه!!

قال ذلك وهو ينظر إلى شقيقى، الذى كان ضابطا أيضا. ثم تشاغل فى أوراق أمامه. مال أخى علىّ وهمس:

– التأشيرة إللى على ورقك م بتقولش كده. دى بتقول«يوضع فى الحجز لحين صدور تعليمات أخرى».

ويبدو أن الدهشة كست ملامحى. فأكد أخى لى ما قال بهزات متتالية فى رأسه.

– ياسيدى م نت عارفهم ومش مرة قالولك تعال خمس دقائق بس، فقدت فيها خمس سنين

بدا الفزع على وجه زوجتى. قلت مهونا:

– يمكن الزمن غير الزمن. عموما ربنا يستر.

نهض شقيقى ووراءه زوجتى، فنهضت أنا أيضا. قال شقيقى:

– إنت قدها وقدود. وإحنا إن شاء الله هنشوفلك محامى كويس.

شددت على إيديهما. قالت زوجتى وهى تسلمنى لفافة كبيرة:

– دول شوية أكل وسجاير. وشد حيلك.

– الشدة على الله.

عدت إلى التخشيبة – فتحت اللفافة، ودعوت جارى المحاسب لمشاركتى الطعام . إنتابتنى الهواجس. هل يوجد سياسيون غيرى فى التخشيبة . وإن صدق ذلك، فمن هم بين كل تلك الوجوه التى لا أعرف أحداً منها. يبدو أن المسألة ليست مسألة تشريفة، كما زعم الضابط الملكى. ولماذا أشار أخى إلى البحث عن محام. هل يعرف شيئا آخر أخفاه عنى؟ إن المحامى يعنى احتمال قضية. هل عدنا مرة أخرى إلى تلك الأيام؟ وهل انتهت تلك الأيام أصلا حتى يكون ما نحن فيه عودة إليها؟

مضت ساعة تقريبا، قضيتها أتفحص الوجوه أمامى. والتى كست أغلبها ملامح تائهة أو واجفة أو خائفة أو ملهوفة على ضياع شئ يوشك أن يختفى إلى أزمان بلا حدود.

البعض يدخن فى شراهة، والبعض يتشارك سيجارة فأمنحهم بعضا مما معى. ويغمزنى جارى المحاسب وهو يهمس:

– بلاش كده لحسن يطمعو فيك .

وإبتسمت.

– متخفش عليا. أنا برضه سوابق قرأرى.

واتسعت عيناه.هززت رأسى وأنا أكمل:

– دى المره التالته، قول الرابعة. متعدش.

صمت وهو ينظر إلىّ مندهشا، بينما ارتفع عند باب التخشيبة صوت الشاويش ينادى اسمى. حملت حقيبتى وودعت زملاء التخشيبة، وانطلقت.

نظر إلىّ ضابط الترحيل. كان يوقع أوراقا أمامه. أومأ اليه الضابط النوبطشى بما يعنى أننى الشخص المقصود. قال الضابط النوبطشى:

– مع السلامة.

سألت:

– على فين إن شاء الله؟

لم يجب أحد. تلك واحدة من عادات ضباط الترحيل. يغلفون أعمالهم بسرية تحيطهم بهالة من الغموض والأهمية. ولم أكرر السؤال، حتى لا يفاجئني الصمت مرة أخرى.

همس الجندى الذى كان يزين معصمه الأيسر بحلقة من «الكبش»، وزين معصمى الأيمن بالحلقة الأخرى:

– القلعة يا أستاذ. ع القلعة إن شاء الله.

نظرت اليه وابتسمت شاكرا

«القلعة تانى يا ولاد الإبالسة»

عندما صعدت السيارة البوكس يجرنى خلفه عسكرى الحراسة، سمعت صوتا مألوفا يصيح، لا أدرى دهشة أم فرصة:

– إستاذ فكرى!!

وتبينته فى عتمة السيارة.

– أهلا مجدى. إزيك. تشريفة برضه؟

وقهقه ضاحكا.

– أيوه تشريفة. أنا جاى من قسم مدينة نصر.

قلت وأنا أهز رأسى:

– واضح إن إحنا هنشرف القلعة. فى تخشيبة المباحث العامة.

– الله أكبر. دى حملة بقه ولا إيه؟

وقال جندى الحراسة المقيد إلى يد مجدى :

– بلاش كلام والله. أحسن إنتو كده هتودونا فى داهيه.

وقال مجدى وهو يرفع يده المربوطة بيد الجندى ضاحكا:

– يا راجل اتكل على الله، م نت فى الحديد برضه.

وقال الحارس فيما يشبه الغضب:

– بس حديد عن حديد يفرق.

وأكمل مجدى ضاحكا:

– ولا يفرق ولا حاجة. بس انت اللىّ مش واخد بالك.

وصلنا القلعة. الاستقبال متوتر. الضابط النوبطشى فى حالة ضيق شديد. قال لضابط الترحيل، وهو يوقع باستلامنا:

– هيه إيه الحكاية؟ كل شوية تنقطونا باتنين، تلات:

ومط ضابط الترحيل بوزه.

– ياسيدى أنا العبد المأمور. خد ده، أخد ده. م تخدش ده، م خدش ده. وإنت سيد العارفين. السلامو عليكو.

وانصرف وقد بدأت غبشة المساء.

قال الشاويش للضابط النويطشى:

– يا باشا، العنبر خلاص اتملا. مفيش غير زنزانة واحدة، والإيراد إتنين.

قال الضابط متبرما:

– اتصرف يا شاويش. حطهم سوا لغاية م يبانلهم صبح.

ونظرت إلى مجدى وتبادلنا الإبتسام. يسعدنا أن يشعروا بالضيق. أن نضع لهم مشكلة أن نضعهم فى حيرة. ألسنا نحن فى ضيق وحيرة ولا ندرى ما هى المشكلة بالضبط!

عندما وضعنا الشاويش فى الزنزانة الوحيدة المتبقية فارغة، كان العنبر ساكنا.

قال مجدى:

– لازم نعرف إيه الحكاية؟

سألته:

– إزاى؟

قال:

– هتشوف.

أحضر جردل البول واعتلاه. جمع إنفاسه فى صدره وزفقرها عالية:

– مساء الخير يا زملا.

ولم ينتظر الردود التى تصاعدت قوية أو واهنة.

– نحب كده نتعرف. كل واحد يقول اسمه. واسم المحامى بتاعه، أو اللى هيبقه بتاعه.

وبدأ بنفسه:

– أنا مجدى عبد السميع. ومحامى الأستاذ نديم الهلالى.

وتصاعدت التحيات:

– أهلا مجدى.

– حمد الله ع السلامة يا زمل.

– إنت شرفت يا خويا؟

– دى بينّها هتحلو قوى.

وإرتفعت الضحكات. قال مجدى:

– خلونا بالدور. نبتدى بزنزانه واحد؟

وجاء الصوت هادئا:

– مصطفى عبد الباسط. المحامى الأستاذ نديم الهلالى.

همس مجدى:

– ده ٨ يناير – الحزب الشيوعى ثمانية يناير.

ثم صاح

– زنزانة اثنين؟

- ماجد حسان. المحامى الأستاذ نديم الهلالى
همس مجدى:

- ده عمال شيوعى - حزب العمال الشيوعى.
ثم صاح
- زنزانة ثلاثة؟
- فتحى محمد. المحامى الأستاذ نديم الهلالى.
- ده مصرى، فرع حدتو . الحزب الشيوعى المصرى يعنى.
- زانزانة أربعة؟
- سليمان سالم. المحامى الأستاذ نديم الهلالى.
- ده مصرى برضه، بس فرع الشروق.
- زنزانه خمسة؟
- عبد الحميد الشايب. المحامى الأستاذ نديم الهلالى.
قلت أنا:
- ده تجمع . بس إيه نديم الهلالى، هوه محامى الكل ولا إيه؟
- طبعا،ده القديس الأحمر،
- زنزانة ستة؟
- يوسف حبيب. المحامى الأستاذ نديم الهلالى.
همس مجدى:
- ده مطرقة.
ضحكت.
- يعنى ده قريبك.
قهقه مجدى ثم صاح:
- زنزانة سبعة؟
- طاهر يوسف. المحامى الأستاذ نديم الهلالى.
ته ته. تيار ثورى يعنى.
- زنزانة ثمانية؟
- فريد صدقى. المحامى الأستاذ نديم الهلالى.
- ده مؤتمر.
- زنزانة تسعة؟
- سيد سعيد. المحامى الأستاذ نديم الهلالى.
- ده انقسام على ته ته.
- زنزانه عشرة؟

- كريم كارم. المحامى الاستاذ نديم الهلالى.
ده تروتسكى.
ووجدت نفسى اندفع سائلا:
- هية دى تنظيمات سرية ولا علنية! دنت عارفهم كلهم.
قهقه ضاحكا.
- م حنا داخلين، خارجين اسوا. من سجن لسجن
ثم والى نداءاته وتوالت الردود. كل ساكن زنزانة يعلن عن اسمة واسم محاميه. اختلفت أسماء النزلاء، لكن اسم المحامى ظل واحداً، الاستاذ نديم الهلالى-المحامى.
أحسست بالانبهار، وتصورت نديم الهلالى يملأ قاعات المحاكم تطوعا دفاعا عن هؤلاء الذين لا يملكون دفع شئ غير أعمارهم.
كانت الردود قد وصلت إلى زنزانة ٢٨. ومضى وقت ولم يجب صاحبها. وصاح مجدى:
- زانزانة ٢٨، رد علينا لو سمحت.
غير أن أحدا لم يرد.
وتساءل مجدى:
- هيه فاضية وألا إيه؟
واجبته فى خلفه:
- الشاويش قال، زنازين العنبر كلها مليانه، ماعدا زانزانتنا.
وقال مجدى في توجس:
- لحسن يكون جراله حاجه.
ثم عاد يصيح:
- يا زميل تمانتا شر طمنا عليك، رد علينا.
وخيم ترقب مشوب بالتوتر.
ثم جاء صوت قوى عميق.
- أنا نديم الهلالى المحامى..
وارتفعت صرخات أقرب للآهات.
ثم حل صمت وسكون ثقيل ثقيل مع عتمة المساء.
وسقط مجدى فوق جردل البول جالسا وقد ذهبت عيناه بعيدا وخرجت من فمه كلمات أقرب للنميمة:
- كده، تبقه التشريفة طربقت.

البطريرك

موسى نجيب موسى

افترش روحه أمام الباب الخارجى للكاتدرائية عله يفوز يوما بالمنصب فمنذ أن تراءت له صورته وهو فى ملابس البطريرك يسعى جاهدا لنيل هذا المنصب ، ركن خلفه خمسين عاما من النسك والرهبنة بكل مافيها من ذكريات الدير وأحلام التوحد والملكوت كما أنه نظف قلبه تماما من وحشة البرية والمحاربة وحيدا فى قلب الميدان ، تذكر ذات مرة عندما لوى ذراع الشيطان الذى هاجمه وهو فى طريقه إلى المغارة التى ينفرد فيها بمن يحب ، كان يعتبر ذلك إحدى علامات قدومه إلى الكرسى الكبير . أبوه كثيرا ماكان يقول له أريد أن أراك عظيما ، وعندما يرى نظرات التعجب فى عينيه يقول له انظر فى المرآة ، اقتنع كثيرا بكلام أبيه لدرجة أنه كان يفعل مثل المراهقات ويضع فى جيب سترته مرآة صغيرة فكلما انفرد بنفسه فى أى مكان يخرج المرآة وينظر فيها بتعمق علها تفصح له عن سر عظمته التى أرادها له أبوه لكنها أبدا لم تفعل ذلك ، يبتسم ويحك ذقنه التى أطلقها منذ زمن ولم يعد يهتم بها أو بتهذيبها حيث إنه أقسم بأنه لن يعتنى بها إلا عندما يستدعونه لتنفيذ التكليف .. مازالت ضربات سوط أمه تحدد أماكنها بوضوح على ظهره فلقد عاقبته بشدة عندما أخبروها أن الأولاد الأشقياء فى الشارع استدرجوه إلى شونة بنك التنمية الخربة وحاولوا تخريب رجولته ، وقد كان يفتخر بذلك كثيرا

حيث إنه استطاع بمفرده أن يتغلب على عشرة أولاد ولم يمكنهم من النيل منه أو من رجولته ، التى أصابها الكثير من الوهن فى مراحل عمره التالية ، بين حين وآخر ترن فى أذنه حكايات جدته الكثيرة فى ليالى كيهك الباردة عن البطريرك وبركاته وكانت دائما تتباهى بأنها تعرفه منذ كان راهبا فى إحدى الأديرة التى تبتلعها صحراء مريوط ، وكانت تذهب له مرة أو أكثر كل عام ، لم يكن وقتها يدرك سر البهجة التى تملأ وجه جدته «المكرمش» والذى يحمل بين ثناياه ثمانين عاما قضت عليها بقوة ، كلما حدثته عن بركة هذا البطريرك معها ، وكانت تقول له : إن أمك هذه بنت موعد ومولودة بكلمة من فمه . عندما كان يسرح ويشرد بعيدا تقرصه فى أذنه بيدها المعروقة وتقول له (عرفت ازاى حلت فيه البركة يا ابن الكلب) يهرب منها بصعوبة ويلوذ بحضن أمه الغض ويبكى على صدرها ويقول لها من بين دموعه التى تبلل سوتيانها (تيتا وحشه دائما تحكى لى حكايات بايخة وتقرصنى فى أذنى) تصفعه أمه بكفها البض على خده المتورم ببياض مبهج وعندما يحمر خده تلعن اليوم الذى رفعت فيه كفها عليه بعد أن يلفظه حضن أمه يلجأ مباشرة إلى حضبن البنت مريم ابنة قسيس الكنيسة لايعرف لماذا كان يخرجها معلم الكنيسة من قلب المعمودية الجاف كل يوم أحد بعد انتهاء الصلاة ولا يهون على قلب المعلم أن يتركه إلا بعد أن يطبع أصابعه الغليظة على عنقه العريض ، وقتها تضحك البنت مريم كثيرا وتجرى نحو أبيها القس الذى يحملها لتلعب فى لحيته البيضاء حتى عندما كبرت البنت مريم وظهرت أنوثتها فى نهدين أبيضين مكورين فى استدارة عجيبة ووجه صاف ينطق بملامح البراءة وقوام كثيراً ماتمنى أن يحتويه، وعندما أراد أن يحقق أمنيته لم تشعر برجولته فلعنته وسبت أهله ، كما أنها وافقت دون تردد على الزواج من الولد " كرم" الذى كان يتزعمهم فى الشارع وكثيرا ماكان ينال منه ضرباً مبرحا لأن البنت " مريم" كانت تحب أن تلعب معه (عروسة وعريس) أكثر منه حتى عندما فشل " كرم" فى المدرسة وشعر لأول مرة بأنه يتفوق عليه اشترى له أبوه شهادة كبيرة من " بلاد بره" وعلقها وسط زفة كبيرة فى واجهة حانوت (المساخيط) الذى يمتلكه . لاتدخر ذاكرته مشاهد كثيرة من زياراته المتعددة لخالته فى القرية التى ولدت فيها أمه وجدته ، ولكنه يستطيع بسهولة أن يتذكر عندما حاول ولأول مرة فى حياته أن يصعد الجميزة العجوز التى تقبع أمام باب خالته وتلقى بجسدها كله فى الترعة وقتها انزلقت قدماه وسقط فى الترعة التى مكث فى قاعها ساعات لايعرفها بعد أن فشل الجميع فى إخراجه منها بما فيهم فرقة الضفادع البشرية التى استدعاها العمدة من البندر . فى فجر اليوم التالى وبينما الجميع جالسون على شاطئ الترعة انفجر نور هائل من قلبها وشوهد وهو يرتفع شيئا فشيئا عن سطحها البارد حتى لامست قدماه الأرض وسار فى هدوء حتى دخل حجرته المخصصة له فى منزل خالته بعدها لايعرف لماذا كان يزوره أناس كثيرون كلهم

بسطاء وطيبون من يقبل يده ومن يقبل قدمه .. من يشعر به وهو يحاول خلسة أن يقطع جزءاً ولو بسيطاً من ثيابه المباركة ويدسها فى جلبابه ويخرج سعيداً كأنه فاز بالفردوس ، كان يسمع كلاما كثيرا لايعرف مغزاه :

– ده راجل مبروك

– مكشوف عنه الحجاب.

– ده سره باتع ..

– البنت " باتعة" العاقر حبلت على إيديه.

– وكمان (مجلى) الأعرج رجع يمشى تانى .. وكان كلام كثير يدور فى القرية يرمى أن خالته كثيرا ماكانت تراه من ثقب الباب وهو يطير فى أجواء الحجرة مرفرفا بجناحين نورانيين.

لملم روحه التى داستها سيارات العلمانيين ودخل إلى الكاتدرائية بينما الترانيم والألحان تملأ أذنيه .. يسر نفسه كثيرا ذلك الجمع الهائل من المطارنة والأساقفة والكهنة الإكليروس كافة يسير وسطهم فى خيلاء مصطنعة حتى وصل إلى الهيكل ، سجد وعندما أفاق وجد نفسه محشورا داخل صندوق خشبى ضيق . بعد أن أنهى البطريرك الصلاة بصعوبة حاول رفع غطاء الصندوق الثقيل شاهد أباه يقف فى وجوم غريب ينظر إلى اللاشئ ، وأمه تنوح بشدة وتهيل تراب الكاتدرائية الذى كان يقول عنه دائما بأنه سيصير مقدسا كلما مر عليه دخولا وخروجا من الكاتدرائية ، بينما شاهد جدته تجمع حولها الناس وهى تحكى لهم عن بركات البطريرك المتنيح.

أحـــاول التنفـــس

نازك ضمرة

كنا سبعة ، وبيننا ود وعلاقات طويلة ، تستطيع أن تقول أننا إخوة ، سمع الجيران والحساد ضحكاتنا ، شاهدوا انفراج أساريرنا بعد كل اجتماع نعقده ، تقاطر المؤيدون والمريدون حولنا ، انضم إلى جمعنا الكثيرون ، صار عددنا كبيرا ، وزادت هيبتنا جدا .

أين المروحة يازوجتنا ؟

لماذا لاتنام وترتاح ؟ الساعة الثالثة صباحا

حرارة الغرفة مرتفعة ، أحس بضيق شديد فى التنفس ، إننى أختنق .

الليل للراحة يارجل ، تبحث عن الأشياء الصعبة فى الأوقات الصعبة وتسرق النوم من عينى ، إذا كنت لاتريد النوم فلماذا لاتدع غيرك ينام ؟

أراد إجابتها ، فلديه الكثير من الكلام ، ضربات قلبه تزداد تسارعا ، حمد الله أن قابس المصباح الكهربائى قربه ، يحرص كثيرا أن يظل ضوء احتياطى قرب سريره ، يحتاجه لقراءة الوقت وللتأكد من أسماء الأدوية وأنواعها ، أو لتناول مسكن أو منوم ، أو لفحص ضغط الدم ، تتضايق كثيرا من سهره الطويل .. صمد ونجح فى لجم لسانه .. قام يبحث عن المروحة ، سمعها تغمغم من النعاس كلاما لم يفهمه عن المكان الذى تضعها فيه ، مشى متعثرا متثاقلا متمايلا ، ينظر حوله وخلفه وعلى جانبيه ، بحث فى غرفة الضيوف فلم يجدها ، وقبل أن يعود لغرفة نومهما خائبا ليعيد سؤاله عن مكانها ، كانت قد وضعتها له بمحاذاة الجانب الآخر من السرير ، قرب طاولته ولوازمه ، وحينما رآها ازداد إحساسه بالحرارة والعزلة.

(أتحس بشئ من الرضا بعد تشغيل المروحة؟ .. هل بدأت نبضات قلبك تهدأ وتقل تسارعا؟.. إنها لاتعلم ماذا جرى ، ولست فى وضع مريح لتشرح لها ماحدث . لسانك يعجز عن الكلام ، ويحرمك القلق والفزع من

الهدوء ، لاتستطيع مواصلة الرقاد فى الساعات الباقية من الليل)

حزن وفزع مما مر ، خوف وقلق مما سيأتى ، آلام لاتبرح عقله وصدره ، قرب منطقة القلب ، فالأمر خطير إذن). صوت سقوط على الشرفة خارج الغرفة ، أرهف السمع ، أيمكن أن يكون لصاً ، كثرت أخبار السطو على المنازل فى عمان فى السنوات الأخيرة ، إفلاس ، حقد ، تمرد ، أو هو الشذوذ..؟

يجد نفسه وحيدا ، تكالب الأعداء وتكاثروا عليه ، اصطف أقاربه وأبناؤهم يشاهدون مايحدث له ، يد أحدهم تمتد إلى شعر ذقنه تضمه ثم تلفه على أصبع من يده ، آخر يلوى رقبته ، وثالث يبعد أصابعه عن شاربه ، ثلاثة أو أكثر ركزوا أيديهم على الجنبين أسفل الخصر ، يرقبون النتيجة كلهم.

لاتدرى زوجته مايه ، ولم تدر ماحصل قبل قليل ، يحب لمس الصدر ، وتأمل الحلمات المتوثبة، هكذا سمع من كبار جماعته الذين يطلقون الذقون الطويلة ، فتعلم منهم ، تحولت أصابعه إلى أقطاب كهربية ، ثم غاب الاثنان فى نوم عميق.

أجاب على استنكار أحد الناصحين من المارة المسرعين : .

– أنا قوى ! .. قوى جداً .. معى إخوانى وخلفى عزوتى ، وديونى عليهم كثيرة لاتحصى .

– لن ينفعوك ! .. اهدأ وفكر لوحدك ! لاتنخدع بكلام الناس!

سخر من كلامه وكأنه لم يسمع شيئا ، تصدى للمتسللين إلى داخل العمارة ذات الطوابق الكثيرة ، كان لها باب رئيسى ونوافذ من كل اتجاه ، انى اتجهت ستجد لك مخرجا ، وعند الضيق سيأتى له ألف صديق ، سب ولعن وتطاول ، ازداد تطاوله باللسان فقط، استصغر شأنهم فبدأ يجرب الاحتكاك بهم ، وما أثار غيظه أنهم يفعلون الكثير مما لايعجبه ، يخشى أن تتعلم بناته وأولاده قلة حيائهم ، مع أنه يحب تأمل الأجساد الجميلة، وبصراحة كانت أجساد نسائهم ورجالهم جميلة ، لكنهم كضيف ثقيل الظل ، يفرض وجوده عليك ، ويطلب مقاما وأنت كاره له ، كان يزداد غيظا وكمدا عليهم كلما شاهدهم يقتربون ، يقومون ويقعدون ، يستلقون شبه عراة تارة وهم يقطفون الزهور حول العمارة ، أو يزرعون بدلها تارة أخرى (سأوبخهم كلما شهدت أخطاءهم) . لم يردعهم اعتراضه ولااحتجاجه ، والأصح أنه لم يعقهم.

سرعان مانظفوا أنفسهم ورؤوسهم ، مشطوا شعورهم ، أحسنوا هندامهم ، وعادت لهم هيبتهم ، تقمصوا أناقتهم ، وحسن مظهرهم ، لم يكونوا كثيرين ، ظن أنه يستطيع إبعادهم لوحده ، حتى دون عون من إخوته الذين يتكاثرون وبسرعة يتناسلون ، ولكثرة ما اقترب منهم ، ظن أن فيهم ضعفا ، أو كما يقول المثل الشعبى (خشت عينه فيهم).

شاهدنى إخوتى المحبون ، وشجعنى زبائنى والمبغضون ، وأنا أرمى الحجارة عليهم ، لم أقصد إيذاءهم ، بل إغاظتهم وتنفيرهم ، بل طردهم وإبعادهم عن عمارتنا ، حملت حجرا بحجم برتقالة هذه المرة وألقيته بقوة عليهم ، نفر أغلبهم ، لكن واحداً منهم لم يجفل ، يحفر الأرض ويرتب الأعواد والقضبان الحديدية ، تدحرج الحجر على ظهره حيث كان محنياً، كاد الحجر أن يصطدم برأسه، لولا أنه حناه كثيراً فى الوقت المناسب ،

المهم أنه سلم ولم يصب بأذى ، لكننى رأيت إليتيه تهتزان وهو ينفر متجنبا حجرى فى اللحظة الأخيرة ، فى تلك اللحظة هاج وماج ، كان يلاطفنى أو يغافلنى ، يتوسل أن أستمع له ، أو ألتقى به من قبل ، لكنه نفض يديه من التراب بعدها ، مشى بخطوات ثابتة بطيئة صوبى ، تأملت طوله وضخامة عضلات رقبته وعرض كتفيه ، حينها أدركت خطأى ، لكننى أعرف أن إخوانى السبعة وناسى وأعوانى كثيرون (أمس كنا مجتمعين فصار الكل يتهدد ويتوعدهم !..) رأيت النوافذ كلها مغلقة من جميع الجهات ، لمحت خلفى رجالا ونساء من الأعداء ينتظرون قرب الباب ، قلت فى داخلى :(ليسوا أذكى منى ، سأتسلل للطابق الأرضى ، وإن تضايقت سيكون بامكانى أن أخرج من بابه الخلفى والذى لايعرفه أحد) ، ظل الرجل يتقدم صوبى بخطى ثابتة وئيدة ، لم يظهر هياجا ولا صخبا ، يتقدم وأنا أرجع حتى وصلت الجدار، بعدها أسرعت للبدروم ، ومع ذلك لم يسرع خطاه ، أبقى على ثباته فى تقدمه ، وأنا أزيد سرعتى فى الهبوط تحت مستوى وجه الأرض ، حتى وصلت بابا صغيرا ، لكننى أستطيع رؤيتهم ، (ما أصعب تلك اللحظات وماأمرها ! .. أين إخوتى وناسى ؟) يمكننى رؤية القليل من الجو الخارجى ، بل لم أعد قادراً على فعل شئ سوى النظر إلى السماء ، وأستطيع أن أستنشق بعض الهواء لكنه ثقيل وله رائحة غريبة، أصابتنى صدمة كبرى حين اكتشفت الباب مثبتا بأسلاك شائكة ، مددت يدى لأفكها فأسرع أفراد من المشاغبين بدفع الباب بقوة والضغط على ذراعى ، حالوا دون وصول الدم لأصابعى ، ودون وصول أصابعى لتفكيك الأسلاك الرابطة المعقدة ، وبعد جهد جهيد وأنفاس صعبة استطعت سحب ذراعى ، ظل الباب مقفلا على ، وبقيت وحدى فى الدهليز.

من بين الأسلاك الشائكة وأنا محصور أرى الرجل يتقدم ، وآخرون يظهرون خلفه وحوله ، وبعضهم ينزلون من العمارات وعن الأشجار ومن السماء ، وآخرون يصعدون من تحت الأرض يدعمون خصمى العنيد ، الشرر يقدم من عينيه (ياإلهى ! أية ميتة سأموتها على يدى ذلك الحاقد بارد الأعصاب ؟ أين إخوتى ؟ أين عزوتى وجماعتى ؟...) ناديت على الكثيرين منهم ، أعتقد أن معظمهم سمع نداءاتى الملهوفة ، تشاغل معظمهم أو كأنهم وضعوا أصابعهم فى آذانهم أو فوقها ، تسلطت عليهم رغبة النوم فراحوا فى نوم عميق ، هيئ لى أننى أسمع شخيرهم ، وأتأمل أحلامهم ، ونأى من سمعنى بأنفسهم عن موقع الصدام ، حزنت ... حزنت ... حزنت كثيرا لعنت نفسى وأهلى وأقاربى ، لكنى لم أستسلم ، قلت فى نفسى لابد أن هناك طريقة ما لحماية نفسى ، حتى لايصبح هذا البدروم قبرا لى.

أشد ما آلمنى هو مشاهدة أطفالى حولى ، ونظرات الصدمة والتساؤل فى أعينهم ، لابد أنهم وجدوا منفذا اللحاق بى ، وأكثر ما أفزع أطفالى هو بشاعة وجوههم، شوهت الكراهية نظراتهم ، لم أعهد رؤية ذلك إلا فى بعض الأفلام الأمريكية ، مخلوقات غريبة ، كائنات من كواكب مجهولة ، يسيرون محملين بأجهزة عجيبة لم نعهد رؤيتها من قبل ،. أحس بجفاف فى حلقى ، وأطفالى ينكمشون ، يجتمعون فى الركن حول أمهم ، لايحتملون مجرد النظر فى وجوه المهاجمين ، داهمتنى حاجة ماسة للمرافق ، سأبقق لو كان فى فمى لعاب ، مازال ذاك الذى اهتزت إليتاه يتقدم صوبى بدم بارد، تحس بالغيظ الذى فى نفسه وبسوء نيته ، ويتقاطر المساعدون له من

كل مكان ويتزايدون ، وأنا وحدى فى زنزانتى أنا وأسرتى ، صدرت منى صيحة استغاثة قوية لإيقافه ، كانت كافية لتسمع من فى القبور ، لم يجد ذلك شيئا ، فلا تقدم قريب ولاغريب لمساعدتى ، ولاتوقف تقدم ذاك العدوانى ومن خلفه ، ازدادت أعداد البشعين المنبثقين من كل مكان ، (إلحقونى ياربعى ! .. اعقروهم قبل أن يجهزوا على .. أنا أحبكم ، وسأظل أحبكم حيا أو ميتا ، أريحونى من كابوسهم البغيض ، ونظراتهم الجامدة المتهددة!) صدر الكثير من الصياح منى ، قفزت عاليا حتى أسمعهم نداءاتى ، قمت بحركات صبيانية ، أو ربما تظهر ذلى وعجزى وتفاهتى ، قال بعضهم وهم يتشفون " طائش ومجنون" ، رأيتهم يتكاثرون ، رجالا ونساء من كل مكان ينسلون ، بح صوتى ، وتكاثر عدد أهلى المستطلعون ، رثا لحالى جيرانهم وجيران جيرانهم لكنهم أنى ينفعون ، قلت أخيراً بصيحات يائسة: (اعينونى قبل أن يفتكوا بى ، استغلوا الفرصة وأنا صامد فى بيتى ، سأستأسد مهما مات من أطفالى) رثت لحالى النسوة ، أرسلن لى بعضا من مصاغهن ، وأكداسا من أطعمة جافة : جبنا مالحا ، وتينا مجففا ، قمحا وذرة وشعيرا وزيتوناً ، لكن كل ذلك لم يكن مقصدى ، لم أشأ أن أقع فريسة لهم فيقتلون من عائلتى ، وينهبون ماينهبون من بيتى ، وأنا مقيد اليدين أو مقلوع العينين ، أفزعتنى احدى نسائهم المهاجمات فكشفت عن صدرها المتدفق استهزاء وتحديا ، قالت (سأتعرى وأنا أدوس على جباهك وجباه أهلك) أخرى أنزلت سروالها ثم قالت :(ستشرب فضلاتنا أنت وأهلك إن لم تهرب طالبا الرحمة منا) فزعت بناتى وأبنائى من طول الشعر ومن كثافته ، وأغمضت زوجتى عينيها ، وسقطت مغشيا عليها، (أنا فى عذاب ومعانات ياأهلى ! فهلا تداركتمونى قبل فوات الأوان؟ حاولت رفع زوجتى لكننى فوجئت بأيد تناوشتها ، أحسست أننى أداس أنا وكرامتى ، أصابتنى دوخة وانهيار قاومت الأيدى الكثيرة التى تعصرنى وتقيد من حركاتى ، شاهدت نعالا عسكرية ضخمة قرب فمى ، وشممت عرق أقدام قرب أنفى ، أدركت أن كبريائى فى خطر بعدها صرت أرجو قائدهم الانتظار ، وأطلب منه حسن الجوار ، أصيح ثانية وثالثة طالبا الرحمة ، أريد التحرك يمنى أو يسرى ، متصلبا أود الالتفاف ، محصوراً فى بدروم وفى ظلام ، حواسى وقدراتى تشلها الكثير من القيود ، والبشاعة تزداد تقدما وإحاطة بموقعى ، وقبل أن تمتد يد الغول للفتك بى تهزنى زوجتى بقوة ، أصحو من نومى ، ألتفت لها مضطرب القلب مع شدة الخفقان ، أحاول التنفس الطبيعى مثل كل الناس ، لكننى أشتم رائحة عطر منعش ، والمروحة تهدئ من روعى.

سآتى مرة أخرى للوافد الجديد

إسلام عبد الرحيم

(١)

سوف تعدل من ثيابك أمام المرآة مع أنك لا تحتاج لذلك . تنزل السلالم فى بطء ولا تدرى لماذا . تتوقف على الدرجات لتعقد رباط حذائك على غير عادتك . ستشعر بمذاق فنجان قهوتك السادة وأنت تنحنى لتصل أصابعك إلى الحذاء الذى ترفعه قدمك..

على درجة مناسبة من درجات السلم .تضيق عيناك حين تصطدم بأشعة الشمس، لترتسم خطوطا على جبهتك وبين حاجبيك . تصل إلى الأتوبيس دون أن تدرى وصلت، فقدماك تعرفان الطريق أكثر منك. تنتظر أن يمتلئ الأتوبيس .تجلس أمامك امرأة وطفل على كتفها تستكين رأسه . تنتقل إلى آخر كرسى لتدخن سيجارتك بدون عقدة ذنب. يسير الأتوبيس ويتحرك دخان سيجارتك إلى الخارج . ستتابعه عيناك فى حزن ولا تدرى لماذا . تبتسم لأن عادتك أن تنزل مبكراً نصف الساعة لأن الأتوبيس سيتعطل . تبدأ سيجارتك الجديدة من حيث انتهت الأخرى . ستسلى نفسك بتأمل من حولك . من هيئاتهم وملابسهم ستخمن المحطة التى سينزل فيها كل منهم . ستنجح . تبتسم فى حالة رضا عن نفسك . يتعطل الأتوبيس . سينتابك شعور حانق على بعد نظرك .تعرف أنه لن يسير الآن . تتخلى عن الأمل الزائف على عكس من تبقى من الركاب . ستكمل المسافة إلى المترو سيراً على الأقدام . تتذكر . تلقى سيجارتك قبل صعود السلالم . تقف فى الطابور . تمد أصابعك من فتحة الزجاج . سيوقفك شاب ويسألك عن بطاقتك . ستبتسم فى هدوء وترد عليه بنفس سؤاله . ينعقد حاجباه ويمسك معصمك إلى حجرة جانبية . ستتوقف أمام المكتب الصغير .العينان المحفورتان فى زى رسمى تتفحصاك وتعيد السؤال . ستخرج بطاقتك وتبتسم فى هدوء يصيب الزى الرسمى بالقلق. يتلو عليك بياناتك بصوت غير منخفض . ستشعر بأنك تفقد دروعك. ستتسع ابتسامتك . يعلو صوت الزى. ستخرج ما بجيوبك على المكتب ذى من المعدن اللامع . يسألك عن المكان وسبب ذهابك إليه. «لأننى لا أجد ما أفعله هذا الصباح» هكذا ستجيبه . ستصيبه إجابتك ولن يستطيع التصرف . تستعيد أشياءك ببطء وتعيدها كما كانت . سترتفع ضحكاتك لأنك نزلت مبكراً ساعتين . تدخل تذكرتك .المترو ينتظرك .عند دخول قدمك الأخرى سينغلق الباب ولن يسمح لآخر بالعبور . سيتحرك المترو ولن تدرى كيف يمر الوقت ، وستفشل فى تحديد إيقاعه .كل ما ستحاوله أن تنتبه إلى محطة هبوطك. ستطلب من الواقف بجانبك أن ينبهك قبلها بمحطة. سيظن أنك لا تعرف القراءة . ستضحك . ستركتن بظهرك إلى الباب المغلق . تغلق عينيك لحظة. تهزك يد. ستتحرك قبل أن تسمع الرد على كلمة شكر ستتسم بها شفتاك .قدماك تصعد وتهبط .تصدمك أشعة الشمس خارج المحطة . تسأل

أحد المارة عن الساعة . ستبتسم .تشعل سيجارة وتتجه للمكان المحدد. ستستند إلى سيارة بجانب الطريق . تبدأ فى قضم أظافرك التى ستتركها يومين لتجد ما تفعله الآن. ستحاول أن تشعل أقصى عدد من سجائرك . سوف تلقى بالأعقاب بعيداً ،ما عدا ثلاثا .ستأتى هى وتنظر إلى الأرض حيث تقف لتحصى عدد ما أشعلت من سجائر .وتغضب عليك .تطأ سيجارتك الثالثة بقدمك اليسرى لتجد أن رباط حذائك قد انحل . ترفع قدمك وتدخله فى حذائك وتعتدل . تبتسم.

ستعقد حاجبيك وتتساءل عن اليوم الذى أنت فيه / تستوقف أحد المارة وتسأله/ سيبتعد عنك فى خطوات سريعة وسيعتقد أنك مجنون أو مسطول/ ستبتسم فى تسامح وتشعل سيجارة/ سينتابك التفكير فى وجودها / سترى خيالك يضرب لكم ميعاد اللقاء ومكانه دون أن تدرى هى/ ستهز رأسك فى عنف والفكرة لن تنصرف عنك/ ستشك أن اليوم هو يوم اللقاء / ستعلن خيالك الخصب / يمر بجانبك أحد المارة يتحدث فى موضوع هام/ ستعرف أنه هام لأنه يتحدث مع نفسه بصوت عال. تستوقفه وتسأله عن اليوم الذى أنتما فيه / سينظر إليك بشفقة ويخبرك أن الأيام جميعا سواء / سيخبرك أنك تستطيع اختيار اليوم الذى تريده أن يكون / ستشعر بالارتياح وتشكره كثيرا / سيبتعد عنك فى خطوات سريعة ويستكمل موضوعه الهام/ ستزيح بقدمك عقب سيجارة بعيدا ،لأنه دخيل على العدد/ ستختلط أفكارك / ستردد العديد من الأغانى لتتساقط كلماتها منك/والسيجارة فى يدك/ وفى رأسك ستختار اليوم الذى تريده أن يكون /سترى وجهك فى زجاج السيارة التى لا تحتملك.

وستتساءل عن مجيئها

والدخان يبتعد عنك

ستعقد حاجبيك

وستلعن خيالك مرة أخرى

فتهز رأسك فى عنف...

سوف تعدلين من حصار الإيشارب على رأسك مع أنك لا تحتاجين لذلك.

تنزلين السلالم فى بطء . ستتوقفين على الدرجات وتبحثين فى حقيبة يدك الجلدية . تتوجهين فى خطوات سريعة. ستنظرين إلى ساعتك ،تعقدين حاجبيك. تتأملين من حولك ،المترو ينتظركم . عند دخول قدمك الأخرى سينغلق الباب ولن يسمح لآخر بالعبور . سترتكنين بظهرك إلى الباب . ستقررين أن تنظرى حيث تقف قدماه، لتحصى عدد السجائر التى أشعلها . تعرفين أنك لن تجدى سوى ثلاث سجائر منتهية . تعرفين أنه يلقى بالباقى بعيدا. وهو يعرف أنك تعرفين . ستبتسمين . ستنتظرين إلى ساعة أحدهم . ستنقرين بأظافرك على حقيبة يدك الجلدية.

لن تدرى كيف يمر الوقت وستفشلين فى تحديد إيقاعه . ستلاحظين عينين

فضوليتين . تتوجهين بنظرك إلى أصابعك التى تلامس جلد حقيبتك فى حركات منتظمة. تفكرين فى لحظة العودة بدونه. ستهزين رأسك فى عنف ولن تنصرف عنك الفكرة . تنتبهين لضرورة مغادرة العربة. ستعرفين أن العينين الفضوليتين تتابعان انصرافك. تصدمك أشعة الشمس خارج المحطة . ستتوجهين إلى المكان فى خطوات سريعة .سينتابك القلق حين تجدين المكان خاليا . يراه خيالك يشترى علبه سجائر من مكان قريب . ستنظرين إلى الأرض ولن تجدى ثلاث سجائر منتهية.

ستهزين رأسك فى عنف ولن تنصرف عنك الفكرة ستشكين تستوقفين أحد المارة وتسألينه سينظر لك فى خوف ستبتسمين فى تسامح.

سينتابك التفكير فى وجوده ستهزين رأسك فى عنف ولن تنصرف عنك الفكرة يمر بجانبك أحد المارة يتحدث

فى موضوع هام ستعرفين أنه هام لأنه يتحدث مع نفسه بصوت عال تستوقفينه وتسألينه عن اليوم الذى أنتم فيه سينظر إليك بشفقة ويخبرك أن الأيام جميعا سواء سيخبرك أنك تستطيعين اختيار اليوم الذى تريدين أن يكون ستشعرين بالارتياح وتشكرينه كثيرا سيبتعد عنك فى خطوات سريعة ويستكمل موضوعه العام ستختارين اليوم ستنظرين إلى ساعتك التى توقفت عقاربها على الموعد تماما ستنزل دموعك فى صمت

تتذكرين

تتسلل دموعك إلى لسانك مع اتساع ابتسامتك

ستتذكرين " يوسف" و" مريم " كما طلب منك

ستستندين إلى سيارة متوقفة بجانب الطريق

تفتحين الكتاب على الصفحات المنشودة

ستعتمدين دون أن تدرى على ذاكرتك لأن دموعك ستشوش الرؤية وتمزج الأحرف ستصدقين

تبتسمين

ستخرجين من حقيبتك علبة سجائر وتمسكين بثلاث

ستلقين بنهايتهما حيث كان يقف تماما

ستكسرين ماتبقى من علبة التبغ ، وتلقين بالأعقاب بعيدا

ستنهمر دموعك فى صمت

ابتسامتك

ستنظرين إلى زجاج السيارة

سترين خصلة بيضاء هربت من حصار الإيشارب ، لم تكن موجودة من قبل ستتلين الفاتحة

وتسألين الرحمة

وتهزين رأسك فى عنف ...

(٣)

البرد والسلام يهبطان عليك

ستعرف أنها تفعل كل ماطلبت

ستحاول أن تبتسم

لكن اليد الحانية ستخلط عظامك وتزيحك إلى الركن القريب

تفسح مكانا للوافد الجديد

ولن تجد رأسك لتهزها فى عنف

ستتساءل عن من ينتظر الوافد الجديد

ولن تعرف أبدا

لكننى أعرف

فى مكان ما ، ووقت ما

سأسأل عن اليوم

وآتى لأطمئن

الأصوات المصاحبة للوافد الجديد تعلو

لاأحتمل ..

قصة قصيرة

ليس للجنة فرع آخر

محمد عبد العظيم على

تنبت شفتاك أغصان الياسمين وتشرق شمس وجهك على قلبى الندى فتصيبينى العلة المشتهاة . تحاولين تلطيخ حديقتى النابتة بالـ « ميك أب» ، يعلن رجل بنظارات طبية فى مؤتمر مفتوح أن «الأندروفينات» قد طهرت معاقل وجنتيك من الدخلاء وأعلنت لون العقيق حاكماً على البلاد . نتبادل الرسائل الحبيسة باشارات (مورس) حريصين على ألا تتلامس أقدامنا ونزقنا الطفولى لايخفى الضحكات حين يتساءل الجالسون عن مصدر النبضات . طفلة أنت تلهو فى الحقول بلا وجل، تصادقين كل الذئاب ياليلى فتهز أذيالها من حولك وتبتسم أنيابها .

حين أحدثك عن الثقافة وأقرأ عليك ما أكتب تتظاهرين بالاهتمام لكننى من حين لآخر أقتنص نظرتك للمدى . تختلف حتماً تلك النظرات عن الأخرى ، خاصة حين تنظرين للأحراش بداخلي ، تخترق نظرتك المستنقعات وتدخل لحديقتى الخاصة ، هناك تضبط فتيات أحلامى عاريات يتحممن ، يجرين هاربات ، يخالج الغضب وجهك – لو تعرفين أن وجهك الطفل لايستطيع استيعاب الغضب فتبدين أكثر دهشة وجمالاً – تمنيت لو تستطيعين الإمساك بهن ، ستكتشفين حينها إنهن يحملن وشم وجهك جميعاً.

يستوطن الحزن وراء قناع البساطة ، والأعجب إحساسى بحزنك حتى لو أخفيته وراء تسعة وتسعين باباً ، وسواء أعلنت أو حجبت ذلك أثق أنك تعرفينه . الحق أننى قلت للصديق أن حزنك هو سحرك لكنه صفعنى باجابة لها وقع الثلج . أتراجع حين أوقن بالهزيمة فى معركة غير متكافئة ،

يسمون تلك هزيمة رغم أنها تسمى انسحاباً حتى فى قواعد الشطرنج ، أجتر أحزانى فى صمت وعلى مهل وأخرج بمائة درس مستفاد . مولع أنا بالشجن الخفى ، لكن صاحبى يقول إننى إنسان لاتعمل عندى الغرائز بصورة طبيعية ، منطو على « ليبيدو» ضامر . لا أنقل لك هذا الكلام واثقاً من أنك تفهمينه دون قراءة عشرات الكتب أو الجلوس على كراسى الندوات . بداخلك الحقيقة التى نهرب منها خلف كتبنا وندواتنا وثقافتنا.

الشجن أستاذى ورفيق عمرى . لم أحب قبلك شخصاً ولن أحب بعدك شيئاً إلا بالشجن . يسبقنى (نزار) بخطوة أخيرة حين يقول : " إن الإنسان بلا حزن ذكرى إنسان " . دائماً أنا مسبوق حتى فى صلاة الجماعة ، لوقت كنت أحلم بأننى أذهب مبكراً لصلاة الجمعة ثم أكتشف أنه ليس يوم جمعة . قلت لك ذات مرة إننى أود أن أؤلف كتاباً عن فلسفة الضعف . أنا و(نيتشة) من برج واحد كما تعرفين ، سبقنى هو لكنه كان هشاً يكتب عن القوة . أريد أن أكون صوت الضعفاء ، أفكر لهم ، سأخصص فصلاً عن كيفية تعلم الكراهية . الأقوياء لايتعلمونها ، يولدون بها . أعرف أنك سترجعين رأسك للوراء وترفعين عينيك وتقولين :" ألااااه " ممطوطة فأتوقف عن الحديث.

أخبرتك أيضاً بحلمى أن أتحول لبخار يجوب أنحاء العالم يوماً كاملاً ثم يهبط ذرات مع الندى ليطبع قبلة على خد كل امرأة .. تغارين قليلاً .. هه .. دعينى أخفى ذلك المخلوق عنك قبل أن يخرج جثث (نزار) و(عبد الحليم) والآخرين ويمزقها بوحشية ثم يتجه لقلبك لينتزع أرواحهم فلا يقدر.

النساء وضعن خطوطهن فى حياتى ، أولهن أمى إذ تنفرد بأكثرها ثم جئت لتمحى وترسمى كما يروق لك . أحب رسومك حتى لو رآها الآخرون شخبطات مجنونة . تذكريننى بأمى . لابد انها كانت فتاة مجنونة مثلك. إذا قلت لك إننى أود احتضانك الآن بمنتهى قوتى ، ستؤيدين بجنون، لكننى أخشى أن تتحولى إلى فتات ، تطلبين منى أن أنثرك على قمم الجبال ، أرفض بشدة معلناً أن الله سيهبنى أروع مركبة فضاء لأنثر فتاتك على كل كوكب وتهتز المجموعات الشمسية ، تترنح ثم تتوقف تماماً استعداداً للدوران فى الاتجاه العكسى ، تندفع فتاتك فى الكون . لا احتضنك وتستمر النجوم فى دورانها آمنة.

بالأمس وسوست لى النجوم بامكانية استنساخ حلمى الموزع للقبلات على خدود النساء ، أقرر أن أنسخ كل القبلات من أجلك وأصنع لجسدك فستاناً سابغاً يغطيه . يخيط فمى فى الخيال ثوبك قبلة قبلة ، يغطيك وينسحب ذيلاً خلفك مقبلاً الأرض التى تستمد شرفها من خطوك عليها.

تكثرين من الأسئلة وأنا الذى أفتى الناس فى الدنيا والدين وأمور الحب أشعر بأننى طالب حب فقير فتصبح أجوبتى تدور حول " لا أعرف" يتسع العالم من حولى حتى يسع أسئلتك المدهشة فلا يعرف ، يجلس بجوارى على مقاعد الدراسة من جديد ، وربما سنتبادل المحاضرات ، من المؤكد أننا سنصبح أصدقاء والفضل لك . حبك زندقة بمن قبلك ، إلحاد بأن يأتى بعدك ، وإنما أراك قطباً صوفياً

موكول له تصريف أمر العشق فى السماء وإنزاله للبشر بمقدار فاذا هو يفيض عليهم حتى يخشى الله على عباده الهلاك فيخرجه من السماء إلى طرف الأرض ويجعله قطباً أرضياً تهتدى به بوصلات العالم.

أنا الذى عرفتنى ديكتاتوراً ذكياً ومقنعاً أجدنى أمامك ديكتاتوراً عجوزاً مازال يثق فى ذكائه فيقرر أن يلعب فى أخريات حياته لعبة الديمقراطية فيفرج عن أسراه الرومانسى النزعة ، ينتزع مخالبه الجميلة واحداً فواحداً بمنتهى الإثارة كرقصة استربتيز تطول كثيراً لأن نهايتها تعنى اعتزاله كعجوز خرف . تحرضيننى على ترك هؤلاء العجائز الكامنين فى الندوات ،تقولين انهم يستولون على عالمى ، يصبحون كل العالم . أقول :" الخيال يصنع العالم " ، تردين بأنهم ليسوا إلا عاجزين يدعون النيل من قلب الحقيقة .. كذبة يتمنون قطعة حياة حقيقية ، يهرولون إذا لاحت.

أرى العمى تمحوه المعرفة وأنت تفتحين لى عالماً متسعاً .. عالماً باتساع العالم.

تبتسم شفتاك ويشرق قلبك فينمحى وجهى وتذوب أعضاذى ، تسألينى عن منظر مريح ، أفتش فلا أجد ابتسامة طفلة . تقولين:

" هل تعرف ماذا أرى ؟"،

تستطردين:" شاطئاً .." ثم تنغلق شفتاك،

أكمل : " برمل أبيض وماء شفاف مخضر اللون .."

" ألاااه"

" سماء برتقالية بدون شمس تضئ كفوسفور باهت"

".. أحبك "

" اسميها باسمك .."

"..."

" أراك دائما هكذا "

« شرارة العبارة»

مختارات من الشعر الألمانى المعاصر

إعداد وترجمة:
عبد الوهاب الشيخ

(١) لودفيش شتاينهر :

ولد عام ١٩٦٢ ، ويعيش فى ميونيخ . شاعر وكاتب مقالات ، له مجموعة شعرية صادرة عن دار نشر هايدرهوف عام ١٩٩٨ بعنوان « ساعة من الموسيقى عند فيمير».

الكتاب

الكتاب الأخير
للشاعر
القصائد الأخيرة
التى يتحدث فيها
عن الأعمدة عن الصرخة
عن الضباب عن الحجرة البيضاء
والتى يتساءل فيها
دوماً
عما تعنيه كلمات
كالزمن والفراغ –
الشاعر ميت
والكتاب
المطبوع حديثاً
يرقد على المنضدة
الكتاب أملس
ولامع
الكتاب يفوح
برائحة الغراء
برائحة حبر الطباعة

برائحة الحياة

عالم ثابت

لتشعل الضوء
هاهى الحجرة مازالت هنا
داخل الحجرة ماتزال طاولة الكتابة
فوق طاولة الكتابة مايزال الكتاب
فى الكتاب ماتزال الصفحة
فى الصفحة ماتزال العبارة
فى العبارة ماتزال شرارة
الصفحة
الكتاب
المنضدة
الحجرة

إذا ما الكتب

يتساءل بيركلى
إذا ماكانت الكتب
تظل موجودة
عندما تختلى الحجرة
بنفسها فى الليالى
وإذا ماكانت الأوراق والأشجار
تبقى فى المتنزه الموحش؟
انظر بجماع روحك
إلى الكعوب المهترئة
انفض الغبار بعيداً
أنصت إلى حفيف
الأوراق
وفكر فى الإجابة

مرة أخرى

٢) يورجين إزرائيل:

ولد عام ١٩٤٤ ويعيش فى تورنهاجن بجوار برلين.
شاعر وصحفى ، صدرت له منذ عامين مجموعة شعرية عن دار نشر F. W. cordier بعنوان « نتيجة بحرية »

أنت : بعد فراق طويل

جميلة
شأنك فى اليوم الأول
لكن غربة
سنواتنا المشتركة
تقبع فيما بيننا

عزلة

عندما أطوقك بذراعى
تمسك يدى اليسرى
دائماً
من جديد
بيمينى

فى الصباح

سكران
متعباً
انظر فى المرآة
إلى الرأس الميت لأبيك
هاقد منحه الرب
حياة طويلة

هطول البرد فى غير اوانه

لاتجذبى
أوراق الزهر
ولاتعدى لتعرفى
إن كان أحدهم يحبك

فى الصباح سوف يهطل البرد
ويكون لديك قطع من الثلج
كيما تحصينها
كيما تذوب

فاذا نقص العد واحدة
اقطعى عظمةً صغيرة من أصبعك
وطوحى بها
منهية العد بـ نعم

٣) إرفين أينتسينجر :

ولد عام ١٩٥٣ فى استراليا داخل حوش كنيسة ، حيث عاد إلى نفس المكان فيما بعد مدرساً للغتين الإنجليزية والألمانية . قام بترجمة العديد من الأعمال الهامة عن الأدب الإنجليزى إلى اللغة الألمانية آخرها أشعار جون اشبرى

ابطال دون عرق

لقاح الأزهار. خدر عذب فى الليل
خدشت الملائكة الأشجار وفوق طريق الدراجات
تنتثر الزجاجات
نصف مريض يتجول الكلب عبر المظلة ، يحدق فى
سجن الزهور . وفى الطابق الأول ينام مسافر عابر ،
حذاؤه الأحمر الفاقع موضوع فى النافذة ، بينما فى الأسفل
داخل صالة المطعم تسرع قردة الفيديو عبر المنحدر
المزين بالأضواء الصارخة
بعض المعانى المجردة تنفك مغاليقها : هل المفروض
أن تكون هى اللوالب السرية التى بها ..؟ آخر الدرجات
الثلاث هى الأكثر اتساعاً . عليها أخلد الكلب إلى النوم
ذات مرة منذ شهرين . بعد أن ترك حزمة من الورق
بها خبر ما وملفوفة فى خرقة رطبة تسقط فى خطمه.
حينذاك لم يكن أحد آخر يهتم بذلك الخبر على أية حال.

وجه منكس

تتجول عصا العجوز ، بينما يتهاوى الرجل
على الأرض ، ويواصل الجميع سيرهم فى نشاط . بعد ذلك
– فى المساء – يداعب السيد دى ميولا مبتسماً أوتار جيتارته
وآلاف البشر الجسورين فى زهرة العمر يهللون له : لماذا حقاً ؟

وكلما ازداد وضوحاً أن كل شئ واحد على أية حال ،
ظهرت مرة واحدة اختلافات بين الاختلافات : نظافة تامة
فى ذلك الوقت والآن ، جراحة المعدة فى باكستان
وجراحة المعدة فى كلورادو .... ما الذى يتبقى إذن ؟.
ولكن عندما تتحول رسالة ملتهبة عادية فجأة إلى قوس قزح
فقل على كافة الألعاب النارية السلام.

يقفز قاطع الطريق حتى يطرح ارضاً

بعد ذلك بعامين فقط رميت الأرواح الصالحة
بالرصاص واهتاجت أشياء عديدة
لكنها بقيت قوية داخل نباتات البوص
خياط صيفى ومكتبه لابد أن يبحرا طول اليوم
عبر البلل الجبان وداخل دلو ، به شظايا بعض المرايا ، تنهدت بشكل حقيقى جداً كافة الأضواء
الأشد دقة : لا أسئلة ، واضح – هكذا كان الأمر!

لكن فى شارع قريب من الأريكة غنى أحدهم
بصوت خاد : اسمعونى من فضلكم ، أيها الناس
عندما يصيبنى الرعب الآن ، تصبح جميع الإجابات
سيئة جداً . ففكروا فى الأمر جيداً
أو لا تفكروا أبداً ! الدغل يأخذ فى الضيق وراء الأبواب
فهيا إلى الغداء هذه المرة ، أو كى ؟

٤) فرانتس هودياك

ولد فى رومانيا عام ١٩٤٤ ومثل العديد من الكتاب ذوى الأصول الألمانية ، قرر أن يغادر رومانيا ويعيش فى ألمانيا ، حيث وصل إليها عام ١٩٩٢ تعكس قصائد هودياك حياته وتجاربه فى ألمانيا بطريقة ساخرة . والقصائد المترجمة مأخوذة من مجموعته الصادرة عام ١٩٩٧ بعنوان:

(Ankunft Kunjunktiv)

اسطورة

كان على أن أتقيأ
فعدوت نحو أقرب
مرحاض عمومى
لكن حينما رأيت أى نوع
من الأيديولوجيات التقت
على الحوائط
فقدت الرغبة فى التقيؤ
فعلتها فى الخارج،
منحنيا على شجرة
أيها الخنزير،
صاحت سيدة أنيقة جداً
جداً ، إن لدينا
مراحيض عمومية،

ألا تعرف هذا؟

دفاع عن اطلانتس

دائماً وبلا انقطاع ، ماتزال التلسكوبات
تتحرى دون راحة عن الإيمان
والكفر ، مع هذا دعوهم لشأنهم ، أولئك الذين
يستعملون منكم التلسكوبات ، تلك القارة
التى لم تكتشف ، ولاتوجد بها ساعات،
أو تضييع للوقت ، أو ذاكرة
ومامن سبب للحب أو إطلاق
النار، ولاتحتلوا وفق رغبة
غير واضحة ، أيضا تلك
القارة الأخيرة ، التى عليها يستريح
العدم ، متوافقاً مع ذاته.

متحف فان جوخ

رجل
كان يستجدى سيجارة
بالطبع ، قال ، مايزال لدى
جناحان هائلان،
لكن ماعاد لدى ساقان
يمكننى الاندفاع بهما
لو أننى أستطيع القفز
على الأقل ،
يا إلهى،
لأحدث هذا زلزالاً
هل معك ولعة أيضاً؟
شكراً.

فى أثناء الطريق

طالما لم تصل
فالحرية مريرة مع ذلك
يمكنك ، أثناء الطريق ، أن تلعب
دون نهاية بالأشياء ، وتفصلها عن
مسمياتها . إن معنى الباب
على سبيل المثال ، لا وزن له ، أيا
كان مايقودك إليه . فقط دهشتك
هى مايمكن أن تعطيه المغزى

(٥) ظافر زينوقاق

ولد عام ١٩٦١ فى أنقره ، ويعيش الآن فى برلين حيث يكتب بالألمانية منذ ١٩٧٩ . يشارك فى تحرير مجلة Sirene المتعددة اللغات . فازت مجموعته الشعرية (Fernwehanstalten) بجائزة أدلبرت فون خاميسو والأشعار المترجمة مأخوذة منها.

النمر والغابة ونحن

النمر لم يعد حزيناً
لقد فتحنا القفص وأخذناه
نشمه بحب يشمنا
ويغشاه النوم فى أمان
إنه يحلم
– مثلما
نحلم من أجله –
بالغابة له وحده
ترفع الغابة المعتمة جنسه الأبيض
تدفع بابنا

نواصل الحلم
حتى حينما يرعبنا
النمر أليف فى المنزل
الغابة موحشة ورطبة
سريعاً يقبل الصيف والأنفاس الثقيلة
تندس داخل جلدنا النحيل

المرآة الخفية

حتى الطرق تصبح قصيرة فيما بيننا
الحائط المشمس للمنزل يبدو شفافاً تقريباً
حيث تنحنى المرآة على الباب
جميلة فى احتجابها

كل هذا مؤقت
وينتظر خطوتنا
لكننا لاننتحرك
ونكبح أيدينا

لا أحد ينام
عندما يريد ألا يستيقظ من حلم
ينحنى لوهلة على الباب
ويفتش عن اللغة التى لم تكتب

الكراسة الزرقاء

العينان فحسب أتذكرهما قليلاً
لقد سجلتك فى كراسة زرقاء
كراسة نسيتها للأبد
العينان فحسب أتذكرهما قليلاً

مازال الوقت مبكراً على تلك اللحظة
التى أفكر خلالها بك فحسب
أغلق الباب علىّ داخل منزل موحش
وأنسى البلد الذى يقع فيه ذاك المنزل

كم الوقت الآن
من الذى يقف فى هذه الساعة أمام الباب
ويستعمل بابى كمرآة
لينظر وراءه

إننى مندهش من عدم إحساسى بالألم
لم يعد هناك مكان للأحاسيس
ولا إحساس لمكان
يقع به منزل ويتحرك ناس

العينان فحسب أتذكرهما قليلاً
هل كانتا زرقاوين أم أنها الكراسة فحسب
تلك التى نسيتها للأبد وقد ملئت
بالعلامات الباهتة
العينان فحسب أتذكرهما قليلاً
فى ذلك المنزل الموحش بلا مكان
يصبح الجسد خفيفا قبل طور السكون
الذى لا أهمية فيه للأسماء أو الكراسة الزرقاء.

(٦) كريستوف فيلهلم أيجنر :

ولد عام ١٩٥٤ ودرس الألمانية فى زالتسبورج حيث مازال يعيش . تشمل أعماله خمس مجموعات شعرية ، والأشعار المترجمة هنا من

مجموعته الصادرة عام ١٩٩٦ « نفى بندول الساعة»

الحقـــل

بجوعه يخلخل
الصقر الهواء فوق الحقل
فيمتصه.
ثم يبصقه
مع فريسته بعيداً
على الشجرة التالية

لطمات الموج

الهواء مسمر فجأة
زرقة جافة باهتة
كما لو كان قلب الطبيعة قد توقف
بالطبع مازالت الطبيعة تعمل
النمال تعبر الشرفة
وعلى البشرة التركية لحمام السباحة
دوائر حية من حشرات غارقة

القنـابـر

أثناء الضغط الشديد للربيع
تقفز فى الحقول
غازلة بضربات أجنحتها
أناشيد من خيوط عسلية
بين الأرض والضياء
تهبط ببطء مثل مظلات
صغيرة مفتوحة
حتى تنقطع الخيوط
وتتساقط قطرات كثيفة

(٧) داجمر ليوبولد:

ولدت عام ١٩٥٥ ، درست الأدب المقارن فى ماربورج وتوبينجن ونيويورك . وتعيش الآن فى ميونيخ . ولقد ظهرت روايتها الأولى (إدموند) عام ١٩٩٢ وحصلت على جائزة Aspekte كأفضل عمل أول فى نفس العام.

شهوة النساء

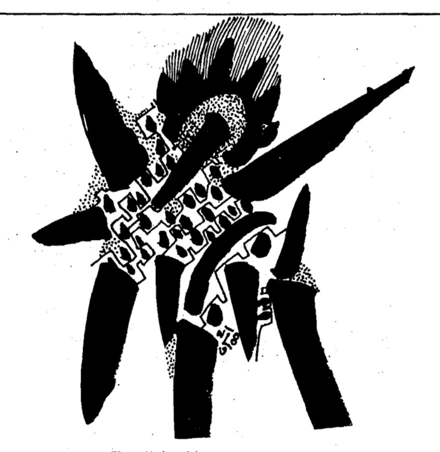
فى عصر الباروك
كان الرجال يتلصصون دائماً
من ثقب الباب
على ليسبى / ألجيرته / فلافيا
وهن يغتسلن

الآن حان دور
كيوبيد

مابعد حداثى ، فيما أظن*

بادارة الظهر للمعدة،
تلتمع بلورات من الرمل
فوق مؤخرتك
المدورة
الراسخة
الجميلة
العارية

ومثلما هو الحال دائماً
أستعمل يدى



في الكتاب

وأنت أيضا تفعلين

* في الأصل بالإنجليزية Postmodern,i guess

ألمانيا ١٩٩٢

السكر المعقود في السنوات السمان
ينحل ، ونحن
ذواقة الحلو
نحتج على الحرمان

بعض شعر تلك
الحياة الأشد فقراً:

لايقبل التجزئة،
وإلا صار
نثراً

لابد أن تدرك هذا
(بالإضافة إلى أن
ألسنتنا قد اعتادت الحلو)

كتابة

القصيدة
لغة غريبة
لايمكن أن تتعلمها
أو تنساها
لقد كنت تترجم
جلدي

الروائى السورى: خالد خليفة

أكتب بعيداً عن القوانين السائدة

حوار: نضال حمارنة

خالد خليفة روائى وكاتب دراما ..أحد مؤسسى (مجلة ألف) صدرت عام ١٩٩٠- صدر له رواية «حارس الخديعة» ١٩٩٣ ومؤخرا رواية «دفاتر القرباط» .قدم مع المخرج هيثم حقى أعمالا درامية متميزة (سيرة آل الجلالى) و(قوس قزح) .

روايته «دفاتر القرباط علامة مهمة ، وجديدة فى أسلوبها التخييلى .. فتحت خطاً رحباً وتفاؤلياً فى حقل الرواية فى سورية بين الجيل الجديد من الأدباء . واقتحمت التابوات المحرمة بواقعية خصبة وغير ساذجة .وقدمت عالماً غرائبياً أسطوريا بأسلوب سردى مختلف ملئ بروح المغامرة .. فى حوارنا معه سندخل معاً فى عمق هذه المغامرة -الرواية.

س١ : سنبدأ من العنوان- لماذا- دفاتر القرباط ؟ مع أن الرواية تحكى عن حياة قرية العنابية -والقرباط- جماعة النور -جماعة تعبر القرى؟..

* القرباط فى الرواية وإن كان تواجدهم غير دائم إلا أنه ليس عابراً . فبصماتهم وأنفاسهم بقيت وأثرت على تفاصيل وأشخاص هذا المكان . المسمى بالعنابية . فإذا قاربنا بمنظور نقد لا أدعيه قلنا بأن تواجدهم كان كالعاصفة مثلا .. فهذا المكان الساكت بتفاصيله وحياته اليومية المكررة والملة كان يحتاجهم تماما ..كى نستطيع قراءة شخوصنا وأمكنتنا..فأبو الهايم وعائشة وكثير من الشخصيات الأخرى.. هذا العبور العاصف للقرباط قد غير مسارات حياتهم وهنا يغدو القرباط مجازاً للحركة والتحول فى مكان ساكن . بالاضافة إلى أن الرواية كما أعتقد تناولت

تفاصيل حياتهم اليومية وحاولت رسم بورتريهات لشخصيات ينتمون إلى القرباط . كنشمة والملك المخلوع إلخ.. لذلك لم يكن هذا العنوان للتسويق أو للإبهار كما رأى البعض.

س٢: الراوى كان أحد الأبطال .ونقل إلينا ما يحدث من خلال عينيه وأذنيه .. هل أردت رواية أقرب إلى السيرة الذاتية؟.

* أبعد ما تكون هذه الرواية عن السيرة الذاتية وهنا سأعيد السؤال إليك وأقول لك هل كان الراوى موجوداً .. أنا حقيقة أسأل هذا السؤال لنفسى الآن بعد طباعة العمل.. فالعمل سرد عبر عدة شخصيات وضمائر وإن كانت متداخلة ..كهادى العنابى مثلا ..الجدة ، مثلا الراوى .. بالإضافة إلى ضمير الغائب .. هذا التحدى التقنى أفسح لى المجال للتجريب والعمل على بنية سردية غير مستقرة ومختلفة وأستطيع الادعاء بأنها غير ثابتة وكنت حين أكتب أحس بحرية كبيرة فى الولوج إلى عوالم شخصيات رسمت على ما أعتقد بدقة.. وهذا التجريب فتح أمامى وكشف لى إمكانات السرد الهائلة.

وهذا ساعدنى كى أعمل بعيداً عن القوانين السائدة ، فكانت مساحة التجريب فى اللغة والجملة والمفردة.. وأعتقد بأن النتائج كانت قلقة وتدعو للتساؤل وهذا ما أريده بالضبط فلا توجد لغة مستقرة كما لا توجد شخصية روائية ذات لون واحد.. ولكن حين نكتب نحن دوماً نستعين بذاكرتنا بما عشناه بما رأيناه من أمكنة وشخوص .هناك شخصيات فى الرواية أستطيع الادعاء أننى أعرفها تماماً كالجدة مثلا فهى قريبة جداً من جدتى التى راقبت انفعالاتها سنوات طويلة وبعد انتهائى من الرواية أحس المقربون منى بأن هناك كثيراً من الشخصيات التى عاشت معى فى طفولتى قد رمت بظلالها شخوص الرواية.

س٣: زمن الرواية الواقع الحى.. لكنه يتقاطع مع أزمان ماضية وبالتالى ينقلنا إلى أماكن مختلفة متخيلة تدمجه مع الحاضر المعاش فى القرية هل أردت أن يكون سردك الروائى مثل طريقة تفكيرنا وحياتنا بالعموم كمجموعة بشرية؟.

من أكبر التحديات التى واجهتها وصممت على دخولها مسألة الزمن الروائى ..عدا أننى مولع فى كتابتى بتشكيل وتداخل الأزمنة لأنى أعتبر التحدى التقنى فى الرواية اليوم- هو تحدى الزمن واللغة-فكل الحكايات تقريبا كتبت .. وتنوعت أساليب السرد وتقاطعت فى الرواية خلال الثلاثين سنة الماضية ، قدمت انجازات هائلة وتجارب متنوعة.. وأنا ككاتب روائى أحيانا أحس بالعجز عن تجاوز الآخرين. ومبرر وجودى الوحيد كروائى هو العمل على صنع صوتى الخاص وسردى ولغتى وأيضا الاضافة إلى تجارب الآخرين.. فإذا كنت سأدور فى أفلاكهم لا أعتقد بأن أحداً سيحتاج إلى نصى وهذا يقلقنى فعلا ويستدعى منى دوماً العمل بهدوء وصبر . الزمن فى« دفاتر القرباط» كان متداخلا إلى درجة بأنى كنت أحس أحيانا بالضياع. أعجبنى هذا الضياع

ودافعت عنه كما دافعت شخصية (هادى العنابى) الشخصية القادمة من الماضى عن وجودها واستطاعت أن تكون موجودة فى نسيج الحاضر ولن أشغل ذهنى كثيرا فى تقييمات نقدية لمدى نجاح أو فشل هذا التواجد .. ولا أعرف إن كان يشبه حياتنا فكل ما أردته هو إضافة شئ إلى تقنيات الرواية.. رغم معرفتى بأنه ليس بجديد.

س٤: شخصيات الرواية– الجدة التى تجدد جلدها . هادى وبحثه عن النفق من أجل الكنز .تمسك الجميع بالمكان .كل منهم على طريقته .ثم فى النهاية يتخلى الأبطال عن الحلم.. عن المكان والسفر إلى خارج قرية العنابية! هل أردت مفاجأة القارئ ..؟ أم أردت القول أن الحالة العامة أقوى من أى تغيير؟!.

أنا لا أساعد على فهم شخوصى وروايتى بعد طباعتها .ولا أستطيع هذا .. فلدى اعتقاد بأنه يجب أن يقدموا دلائل مختلفة ولا تزعجنى إن كانت متناقضة .فدوماً بعد طباعة كتابى أفاجأ بدلالات لأفعال تقوم بها الشخصيات وهذه مفاجآت تسعدنى لأنى أعتبر هذه الشخصيات إن كانت بهذا العمق والغموض فإنها مرشحة للبقاء . هذا أولاً –أما عن علاقة الماضى بالحاضر وكما قلت عبر الراوى الذى افترضتيه شاباً أو الجدة العجوز ..فأنا لا أعرف حقيقة ولم أدع بأنى قد قدمت إشارات لهذا الفهم فكل ما صنعته تركت الشخصيات تجول حرة فى الأزمنة والأمكنة وعملية الضبط لحركتها وتطورها ومفاهيمها كانت أقرب ما تكون إلى تدخل خجول من قبل كاتب يعتز بأنه قد خلق هذه الشخصيات كى يمارس جزءاً من أنانيته وسطوته عليهم.. أكثر ما أحب فى كتابة الرواية الشخصيات التى تلغى أنانيتى وتستطيع الإفلات من سطوتى وأعتقد بأن هادى العنابى والجدة والراوى وأحمد الجمل شخصيات قد مارست فعالياتها بعيداً عن هذه الرقابة الصارمة لذلك قدمت لك كقارئة هذه الدلالات ومن الممكن أن تقدم لقارئ آخر دلالات مختلفة تماماً وهذا يمتعنى ويسعدنى وأحس بأنى لم أخسر الرهان معها.

س٥ العنابية قرية نائية تعيش خارج الزمن الحداثى للعالم المعاصر.. تملك حضارتها وتاريخها .. بينما شخوصها يعيشون صراعاً واغتراباً أقسى من اغتراب المجتمعات الصناعية.. وهم حقيقة أشخاص معزولون لماذا حسمت خيارات واختيارات الشخوص روائيا؟!.

أحيانا تمارس الأمكنة سطوتها علينا ففى العنابية التى بدت مكاناً معزولا وبعيداً أيضا.. الشخوص ومعزولون عن المكان والعالم فاغترابهم كان واضحا ..كل شئ مؤجل فى هذا المكان : الحب والسعادة والأحلام لذلك كان هناك حديث ولأكثر من مرة فى الرواية عن الروائح وتفاصيل صغيرة قد لا تشكل أية دلالة إن نزعناها من حيزها (كشجرة .. أورسائل أم مسعود) الجدة التى تصل ولا تصل .شخصية فاطمة الأخت الكبرى نموذج للعيش ، اختارت مع زوجها الرحيل إلى بيروت كفضاء للعيش ومكان للعمل . بينما زليخة الأخت الصغرى فتحولاتها أخيرا قد حسمت

قلقها واختارت عزلتها الداخلية لأنها ببساطة بدت امرأة ستقضى بقية عمرها فى هذا المكان (العنابية) واختارت شخصية الجدة كى تتشبه بها) . فلو أعدنا دراسة تفاصيل كل الشخصيات وركزنا على علاقتهم مع هذه العزلة وقلقها لاكتشفنا بأن الجميع فشل بينما نجحت سطوة المكان بالعنابية لمن يراها من بعيد لا تمتلك تفاصيل كثيرة ولكن لمن يعش بداخلها يستطيع البحث عن معادلات لعيشه ..قد تبدو وكثيرة لكنها مكررة وهذا استدعى منى .. أستطيع الادعاء كاجتهاد لتكرار بعض الفقرات كما هى تماماً.. وهذا يحيلنا إلى ما قلناه بأن الرواية قد تبدو بسيطة وأنا كقارئ الآن لا يحب أعماله ..! أجدها معقدة جداً.

س٦ كونك كاتب دراما تلفزيونية لأعمال وجدت ترحيباً من المشاهدين والنقاد، كان آخرها «قوس قزح» من إخراج المبدع هيثم حقى ..ما الموضوعات التي تثيرك .. أو تفضل الكتابة عنها؟:

ككاتب دراما ..أنا مولع بالأعمال المعاصرة ولا أحب الأعمال التاريخية . وإن كنت أعتقد بضرورة وجودها .وهذا الولع قادنى إلى اكتشاف كم هو ممتع أن تلتقط تفاصيل صغيرة من حياتنا وأعتقد بأننى ككاتب أولاً وأخيراً سواء فى الرواية أم فى الدراما أننى منحاز تماما إلى الإنسان ولا يعنينى تمجيد الشخصيات والماضى الذى أعتبره سبباً فى نكستنا عكس الجميع الذين يعتقدونه سبباً لإحساسنا بالفخار . بالنسبة لقوس قزح أمتعنى كتابة هذا العمل وبعد أن أنهيته ، أحسست كم نحن مقصرون بحق ما يجرى من حولنا وأحسست كم نمى لدى دقة الملاحظة وكم جربت ..فطريقة كتابة هذه الأعمال المنفصلة والمتصلة تمنح الكاتب فرصاً رائعة للتجريب .وبالتأكيد لن أتركها تذهب هباء.

نـــدوة

أسبانيا مصر :

الشعر على ضفاف المتوسط

عيد عبد الحليم

هل هى مصادفة أن يكون أشهر البحور الشعرية الأسبانية ينتمى إلى هذه المدينة الرائعة « الاسكندرية» وأن تتضافر عبر رؤاه جوانب من التراث الشرقى ، رغم تباين المناخات والأمزجة، وهذا ماحاول « ملتقى للشعراء المصريين الأسبان » أن يقوله فى أمسياته المختلفة ، ولعل أنجحها الأمسية التى أقيمت بمكتبة الاسكندرية - وماتلاها من حلقة نقاشية حول واقع الشعر المصرى الأسبانى » التى شارك فيها من الجانب المصرى الشاعر د. حسن طلب ود. محمد أبو العطا - المستشار الثقافى المصرى فى إسبانيا - ، ومن الجانب الأسبانى الشاعر دى كاسترو » والشاعر دييجو بالبيردى - وأدارها الناقد د.صلاح فضل والذى قدم فى البداية عدة أسئلة كمقترحات للنقاش أولها - السؤال عن ضرورة الشعر فى عالم اليوم الذى يعيد النظر فى كل مسلماته - هل مازال للشعر مكانه الذى ظل يحتفظ به على مر الوجود.

والثانى: عن خصائص الشعر فى كل من الثقافتين « المصرية - والأسبانية » كما يرقبها الشعراء العرب والمتخصصون الأسبان ، وماهى القواسم المشتركة فى التجربة الشعرية فى البلدين .

السؤال الثالث يتعلق بالتصور لواقع الشعر بعد هذا الملتقى وتطوره فى التجربتين بالسلب أو الإيجاب.

السؤال الرابع إلى أى حد فى التجربة الأسبانية انفصلت الموسيقى عن اللغة ، وما وضعية قصيدة النثر على خريطة الشعر الأسبانى .

وقد اتخذ المتحدثون من هذه الأسئلة مدخلاً فأكد الشاعر والناقد الأسبانى « دى كاسترو» أن ماطرحه د. صلاح فضل شئ مهم جداً عن الوجود الشعرى يفكر فيه أى شاعر حين يكتب وإن لم تظهر هذه الأسئلة داخل النص الشعرى بشكل مباشر ، وفى اسبانيا فى ظل تلاحق المعلومات وتراشقها تحاول أجهزة الإعلام أن تسفه

من التوجهات الفكرية، مما يضع الشاعر أمام تحديات كبرى باعتباره إحدى ركائز العملية الثقافية ، وتجعله يضع أمام عينيه تلك القضية « أنه إذا كان هناك مستقبل للشعر فعليه أن يبحث عن ماهو عظيم فى الثقافة وينحى جانباً كل ما وجد من أجل التضليل والتلميع – وهنا أذكر ماقاله الشاعر « أنطونيو ماتشادو » « الشعر حوار للإنسان مع زمنه ».

وأعتقد أن هذا الحوار عليه أن يمس التاريخ ، وشعرنا عليه أن يدخل إلى أعماقنا فيستخرج من التاريخ الإنسانى مايمكن أن نتقاسمه نحن معشر الشعراء .

وأضاف « كاسترو» أما عن الشكل التقنى فنحن لانمثل القصيدة بل نسرد البيت تلو الآخر بشكل أكثر حيادية، وقد وجدت القصيدة النثرية عند الشعراء العظام أمثال « خوان رامون خمينيث » خاصة فى قصيدته الرائعة « مساحة » وغيرها من القصائد التى تخرج عن الوزن ، بالإضافة إلى ذلك هناك قصائد التفعيلة وأشهرها « البيت السكندرى» الذى يتكون من أحد عشر مقطعا ، فهناك تأثير للجانب السمعى والإيقاعى.

وكذلك هناك نوعية من شعر الرواد يخرج من منطقة اللاوعى والخيال كما عند « لوركا» الذى مزج بين الجانب الواقعى والمتخيل.

**

أما الشاعر حسن طلب فأشار إلى أن السؤال عن ضرورة الشعر سؤال قديم ، ففى كل وقت تتوقف فيه الحضارة لابد وأن تسأل نفسها لتعيد نسق القيم ، وقد مر الشعر العربى بهذه المراحل فى العصر الجاهلى والعباسى الذى جاء فيه شاعر طرح أزمة التمزق العربى فى ذلك الوقت فى شطر واحد :

« فلم أقل ولن أقول »

لكن إذا ارتبط الشعر بظروف اجتماعية وسياسية فقد فقد ضروريته ، ومن يحكم عليه من خلال كونه ضرورة لأشياء خارجية فقد حكم عليه بظروف خارجة عن معناه الأصلى.

وهذا يدعونا إلى النظر إليه باعتباره هو فى حد ذاته « ضرورة » لا باعتباره خادماً فى ساحة المجتمع أو السياسة أو الدين – ويرى طلب – أن المدارس التى ربطت بين الشعر وعلائق خارجة عنه فشلت كلها ، فالفن التشكيلى الأوروبى فى بعض الأحيان كان خادماً للدين المسيحى ولم ينتج سوى أشياء تقليدية ، وحينما كان الشعر العربى خادماً للدين كانت كل القصائد التى كتبت فى هذا الاتجاه ضعيفة فنياً ، بدليل أن مانذكره الآن من قصائد لشعراء دنيويين لادينيين.

وأضاف طلب أن ضرورة الشعر فى حد ذاته ضرورة ملحة كضرورة اللغة التى هى عتبة الحياة على حد تعبير « هيدجر» باعتبار أننا مخلوقات تستطيع فهم نفسها والآخر.

**

أما الشاعر الأسبانى دييجو بالبيردى – فأشار إلى أن الحديث عن « مستقبل الشعر » ليس مشكلة الشعراء ، إنما المشكلة الأهم تكمن فى كيفية توصيله وتواصله مع العالم بشكل أكثر كثافة ، فنحن نصنع القصائد لأننا كشعراء نحتاج إلى ذلك ، لكن لايهمنا أن يتحرك الجميع لسماعها ، فالمشكلة ليست فى الكم فلو وصلنا بما

أردناه فى قصائدنا إلى شخص واحد فاننا نقدم بذلك تبريراً لعملنا .

وأضاف بالبيردى أن إمكانية التأثر والتأثير بين الشعراء العرب والأسبان فى صنع القصيدة ناتج عن أن هناك مشاعر متبادلة ، فالتقدم في المجال الشعرى يتأتى من معرفة جيدة بالحضارة الإنسانية عامة.

وهذا ماحدث للأدب الأسبانى على مدى مراحله المختلفة فالبساطة التى توجد بداخله - كما عند « بورخيس » - مثلا - تأتى نتيجة التأثر بالآداب الانجليزية ، وكذلك عند الشاعر « لويس سرنادا » وأكتافيو باث فى الرواية.

وقد عبر بالبيردى عن اعجابه باشتقاق لفظ « الشعر» عند العرب من « الشعور » وأكد أن هذا التعبير يؤدى إلى رؤية مهمة للعالم باعتباره تعبيراً عن الحس الذى هو الإبداع والخلق.

**

وأشار د. محمد أبو العطا إلى أن العروض الشعرى الأسبانى تخفف منذ قرن من الزمن من كثير من المعوقات فى الكتابة فالقافية فيه مخالفة ومتوافقة وهو مما يعطيه فسحة فى التعبير.

أما الملاحظة الثانية التى أوردها أبو العطا أن الملمح المميز للشعر الأسبانى فى الوقت الراهن هو الإيجاز فى إيراد المعانى الصعبة والأخيلة الرائعة والأفكار العميقة فى قصائد لاتتعدى - فى أكثر الأحول - خمسة أسطر .

**

وقد شهدت الندوة عدة مداخلات من الشعراء أحمد عبد المعطى حجازى والذى طالب باصدار مختارات شعرية مصرية وأسبانية حقيقية ومدققة ولاتكون بشكل عشوائى ، لأن ماظهر فى الفترات السابقة كان له طابع شخصى ، دون وجود مرجعية علمية يمكن أن يحترم فيها المصدر الشعرى.

أما الشاعر محمد إبراهيم أبو سنة فأشار إلى أن الشعر باعتباره ضرورة أمر أكد عليه الكثيرون أمثال « جان كوكتو» الذى قال « الشعر ضرورى» ، وكذلك « هولدرين» الذى قال « الشعر أثمن الأشياء».

فالشعر فى كل لغات الأرض ينبع من نفس الحساسية، والموسيقى التى هى العنصر الأساسى فى جماليات الشعر أو ما اسماه بـ « السر الخفى المعلن» الذى يجعل من الشعر فناً عالمياً يتخطى حدود الزمان والمكان .

وعن أهم المؤثرات فى الشعر الأسبانى أكد د.حامد أبو أحمد - فى مداخلته - أنها جاءت عن طريق الشاعر النيكارجوى « روبن داريو» خاصة كتابه « نثريات دنيوية» الذى جعل منه رائداً للشعر الأسبانى نتيجة لثقافته الواسعة.

أما الشاعرة الأسبانية « لورا» فأكدت أن هناك أزمة فى ترجمة الشعر الأسبانى فمعظم المترجمين يعتمدون على ترجمة « لوركا» - فقط الذى صار شعره إدماناً للكثيرين فى اليونان يعرفه حتى الباعة الجائلون ، وكثير من التجارب الحديثة لم تترجم إلى الآن.

الرؤية الاجتماعية والنفسية فى« زقاق المدق»

زياد أبو لبن

يرصد نجيب محفوظ من خلال رواية« زقاق المدق» الحى الشعبى القاهرى بكل تفاصيله ، فلا يترك شخصية من شخصيات الرواية إلا ويصفها وصفا دقيقاً ، وينسج حولها قصة لا تقل أهمية عن قصص الشخصيات الأخرى ، فتصبح جميع الشخصيات أبطالا لقصصه ، من حميدة إلى زيطة إلى المكان نفسه(زقاق المدق) ، والمكان بطل له ملامحه وصفاته وتغيراته.

هذا عالم مشحون بالحكايات الرائعة من حكاية الرجل الأزهرى- موظف الأوقاف ،المتصوف ، المرشد لأهل الزقاق ، الذى اتخذه أهل الحى وليا من أولياء الله الصالحين ، إلى المرأة الأرملة (سنية عفيفى) ، التى بلغت الخمسين من عمرها ، فضاقت بوحدتها وصاقت وحدتها بها ، فراق لها الزواج على استحياء ، وشغلها كل الوقت مع شغلها فى جمع المال واكتنازه ، ففازت بزوج شاب فى الثلاثين من عمره ، إلى حكاية صانع العاهات زيطة، وتخريج عدد من الشحاذين والمتسولين الذين اتخذوا من عاهاتهم وسيلة للعيش ، فزيطة يصنع لكل واحد منهم عاهة تليق به ، وتختلف عن غيره ،كما يحددها زيطة، وحكاية حميدة والفتى العاشق (عباس الحلو) الذى يلقى حتفه على أيدى الجنود البريطانيين فى حالة ثورة غضب على جميدة التى باعت اللذة للجنود من أجل الغنى والزينة والترف، إلى حكاية القهوة الشعبية، التى تضم عدداً من الطارئين على أهل

الحى ، وصاحبها أحد فتوات الحى سابقا ، بالإضافة إلى وكالة شعبية يديرها رجل غنى ، ويعمل فيها جمع كبير من الناس، إلى جانب بيوتات الزقاق ،كل هذا يشكل عالماً مكتملاً ومتحركاً حركة لا يقطعها ليل ولانهار.

هذه الحكايات وتلك القصص ينتظم بعضها مع بعض فى وحدة واحدة ، وفى لغة سهلة ممتعة تقود القارئ من بداية الرواية إلى نهايتها دون ملل أو كلل ، ويجد القارئ إلى جانب المتعة، العظة والفائدة. وقد رأى طه حسين فى كتابه «نقد وإصلاح» «فى فصل من أدبنا الحديث»، وأن هذه الرواية تنطوى على قيمتين خطيرتين هما: «إنها» قصة متقنة رائقة، لا تكاد تأخذ فى قراءتها حتى تستأثر بك استئثاراً كاملاً وتشغلك عن كل شئ غيرها ، ثم تمضى فيها حتى إذا فرغت منها لم تستطع الإعراض عنها كما تعرض عن كثير من الكتب والقصص بعد أن تفرغ من القراءة ، وإنما أنت ذاكر للقصة، مفكر فى كثير من أحداثها وأشخاصها ،حريص على أن تستزيد من مصاحبة الكاتب والنظر فيما أظهر من كتب أو قصص أخرى ، قد أحببت الكاتب واستعذبت روحه وشق عليك أن تفارقه أو أن تشغل عنه بغيره من الكتاب . أما القيمة الثانية الخطيرة لهذا السفر الضخم فهى أنه بحث اجتماعى متقن كأحسن ما يبحث أصحاب الاجتماع عن بعض البينات ، يصورونها تصويراً دقيقاً ، ويستقصون أمورها من جميع نواحيها ، وما أكثر ما خطر لى وأنا أقرأ هذا الكتاب أنه لم يوجه إلى الكثرة من القراء ليجدوا فيه ما يطلبون من المتعة الفنية الخالصة التى تشوق وتروق ، وإنما وجه أيضا إلى الباحثين الاجتماعيين الذين يبحثون ليعلموا وإلى الباحثين الاجتماعيين الذين يبحثون ليصلحوا . ولا أكاد أعرف كتاباً أجدر بأن يقرأه وزراء الشئون الاجتماعية ورجال البحث والاستقصاء فى هذه الوزارة من هذا الكتاب . فهو قصص وعلم فى وقت واحد ، وهو من أجل ذلك مرض للقلب والعقل والذوق جميعاً»(١).

هذه شخصيات تبقى فى الذاكرة من حميدة وأم حميدة وعباس الحلو وزيطة وبوشى وحسين كرشه والمعلم كرشه وحسنية الفرانة وسليم علوان والعم كامل وفرج إبراهيم والشيخ رضوان الحسينى والشيخ درويش ..إلخ ،وقد قام نجيب محفوظ بالكشف عن أعماق نفوس الشخوص جميعها ، فحللها وكشف ما بداخلها من نوازع الخير والشر،كما قام بالكشف عن الجوانب الاجتماعية التى تنتظم شخوص الزقاق سواء فى ترابط بعضهم مع بعض ، أو فى تصوير نفسياتهم ودواخلها فى الرواية، ويتم ذلك من خلال تيار اللاوعى المتمثل فى المونولوج الداخلى واستبطان الشعور والحلم ، أما التصوير الاجتماعى فيتم من خلال تيار الوعى القائم على الحوار المباشر وحركة الشخوص فى الرواية ونموها ،حتى أن المكان / الزقاق يقع ضمن هذا التيار الجمعى فى الرواية ، باعتبار أن الزقاق أحد أهم شخوص الرواية ، وهذا ما يراه ثروت أباظة

عندما كتب عن زقاق المدق فى مجلة الرسالة عام ١٩٤٨(٢) .

سوف أركز حديثى على شخصيتين اثنتين ، لما لهما من أهمية فى الرواية وحركة بنائها ، ولما تمثلان من الجانب النفسى والاجتماعى ، فالشخصية الأولى التى تمثل الجانب النفسى شخصية حميدة التى عاشت فى بؤس وشقاء فى مجتمع محافظ فى زقاق من أزقة القاهرة، وتحولت إلى بائعة لذة فى مدينة متحررة من القيم والعادات التى يتسم بها الزقاق ،من أجل الغنى والزينة والترف ، وهذه اللذة تقدم إلى الجنود الإنجليز الذين تزامن وجودهم مع الحرب العالمية الثانية، ويعود عباس الحلو الذى أحب حميدة إلى الزقاق بعد أن سافر ليعمل ويعود بمهر حميدة بعدما با ع محل الحلاقة الذى كان رزقه ، ليجد حميدة قد هربت من الزقاق ، فاصطحب فى البحث عنها صديقه حسين كرشة، وعزم عباس على الانتقام من فرج إبراهيم الذى أغواها كما أغوى غيرها للعمل فى الملاهى الليلية والبارات، وهذا العزم جاء بعدما عرف من حميدة سبب هروبها ، وإن كان قد نفر منها وازدراها ، ليفاجأ بعد ذلك بحميدة فى البار وسط جنود إنجليز ، فيهجم على حميدة وبيده زجاجة ، إلا أن الجنود يوسعونه ضرباً حتى يسقط دون حراك (ميتاً) ،وتشفى حميدة من بعض الجروح التى تعرضت لها لتعود من جديد تبحث عن الغنى والزينة والترف.

الشخصية الثانية التى تمثل الجانب الاجتماعى هى شخصية «زيطة» صانع العاهات الذى يحاول أن يحل مشكلة البطالة ،وهى مشكلة اجتماعية، عن طريق العاهات المتنوعة التى يصنعها للناس الأصحاء كى يتسولوا من أجل العيش ، وزيطة يسخر ويتهكم على الواقع الاجتماعى بصور مختلفة وقاسية ومريرة، ومثاله تلك العاهات التى يصنعها للشحاذين والمتسولين ، وينال منها ضريبة لقاء عمله هذا ، وقد وصفهم نجيب محفوظ قائلاً «يجيئون صحاحا ويغادرونه عمياناً وكساحاً وأحداباً وقعسانا ومبتورى الأذرع أو الأرجل(٣) ، وزيطة على نقيض من الشيخ رضوان المتصوف الذى يهتدى بهديه أهل الحى عندما تضيق بهم الدنيا وتتكالب عليهم المحن دون شفقة أو رحمة ، فيجدون فى الشيخ رضوان عزاءهم ونصحهم وإرشادهم ، وينتهى الشيخ الذى يخرج عن صمته وهو يتساءل :«أليس لكل شئ نهاية»؟ ويؤكد : بلى لكل شئ نهاية(٤)..

لهذا يرى طه حسين أن هذه الرواية قد وجهت «إلى الباحثين الاجتماعيين الذين يبحثون ليعلموا وإلى الباحثين الاجتماعيين الذين يبحثون ليصلحوا»(٥) كما يقول توفيق حنا فى دراسته عن زقاق المدق» الزقاق نداء حى نشط مخلص ، ودعوة حارة مؤمنة لدراسة وقراءة ورسم وتصوير النفس المصرية فى أزقة وحوارى وشوارع وقرى ومدن وأمكنة وأزمنة النفس المصرية»(٦) . لكن تنتهى الرواية بأخبار كثيرة تعود إلى الزقاق من خارجه ، خبر مقتل عباس الحلو، وخبر القبض على بوشى وزيطة وهما يسرقان طقم أسنان ذهبياً من فم أحد الموتى

،وبوشى هذا عمل عند طبيب أسنان(تمورجيا) ، وأخذ خبرته من الحياة فعرف عند أهل الزقاق بالدكتور ، وكان يعتبر الخلع غالبا أحسن علاج، وكان يركب الأطقم الذهبية ، ويصفه نجيب محفوظ قائلا بأنه «أول طبيب يأخذ لقبه من مرضاه»(٧) أما زيطة صانع العاهات ،فقد وصفه نجيب محفوظ قائلا:: «كان يوجد شئ مكوم لا يفترق عن أرض المكان قذارة ولونا ورائحة لولا أعضاء ولحم ودم تهبه الحق– على رغم كل شئ– فى لقب إنسان»(٨) ،وخبر عودة الشيخ رضوان الحسينى من الحج ، وخبر حميدة التى عادت لتبيع اللذة من جديد ، والزقاق نفسه يصنع نهاية مفتوحة لشخصيات أخرى ، كما تبدأ قصة بنت الجزار الحسناء المستأجر الجديد ، وتنتهى قصة الزقاق بصوت الشيخ درويش وهو يقول وعيناه شاخصتان إلى سقف القهوة(٩).

من مات عشقا فليمت كمداً   لاخير فى عشق بلا موت.

–يا ست الستات.. يا قاضية الحاجات .. الرحمة .. الرحمة ياآل البيت ، والله لأصبرن ما حييت ، أليس لكل شئ نهاية ؟ بلى لكل شئ نهاية .ومعناه بالانجليزية **END** وتهجيتها .إى إن دى.

١–الرجل القمة : بحوث ودراسات ، اختيار وتصنيف :فاضل الأسود ،تقديم : د. سمير سرحان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٩ ، ص١١٧ –١١٨.

٢–الرجل القمة: بحوث ودراسات ، ص٧١.

٣–زقاق المدق ،نجيب محفوظ ، مكتبة مصر، القاهرة، د. ت ص٥٦.

٤–زقاق المدق ، ص٢٨٧ .

٥–الرجل القمة: بحوث ودراسات ، ص١١٨.

٦–الرجل القمة : بحوث ودراسات ، ص٤٤٧.

٧–زقاق المدق ، ص٨ .

٨– زقاق المدق،ص٥٦.

٩–زقاق المدق ، ص٢٨٧.



في العدد القادم

- ندوة الياس فتح الرحمن
- فى ليالى القصف السعيدة للدكتور مقداد رحيم



الأمل للطباعة والنشر رقم الإيداع ٧٥١٢ / ٩٢ «الثمن: ٣ جنيهات»